

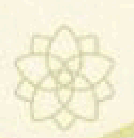
للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله

تأليف الشيخ الدكتور

عبد الفتاح بن محمد بن مصيلحي

خرج أحاديثه

محمود شعبان العوفي





مزود بـ QR
لمقاطع الشرح




فتح ذي المنـــة
بشـــرح
أصـــول الســـنة

للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ

تأليف

الشيخ الدكتور

عبد الفتاح بن محمد بن مصيلحي

خرَّج أحاديثه

محمود شعبان العوفي





بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وجعل الحق يعلو ولا يُعلَى عليه، ويبعث بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، فيذهب الباطل جفاءً، ويصير هباءً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحكيم العليم، الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وعلمه أفضل تعليم، وكرمه على كثير من عباده أبين تكريم، إلا من حاد عن طريقه وترك طريقه المستبين، فإنه يُرَدُّ إلى أسفل سافلين، ويُقيَّد له الشيطان فهو له قرين.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله النبي المصطفى، البشير المجتبى، خاتم النبيين، وسيد المرسلين.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد:

فإن توحيد الله تعالى والإيمان به - بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله - على الوجه الصحيح هو أساس هذا الدين؛ ولقد بعثت كل الرسل لبيان توحيد الله

تعالى وإفراده بالعبودية، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل:٣٦].

بل لعظم ذلك أمر الله تعالى المؤمنين بالإيمان أي بالثبات عليه، فقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء:١٣٦].

ودراسة العقيدة على وجهها الصحيح على مذهب السلف الصالح، وأئمة أهل السنة هي سياج الحماية من الوقوع في البدع والضلالات، ولا يكون هذا إلا بتوفيق الله تعالى، وفي هذا إشعار للمرء بأنه فقير إلى الله تعالى، فكما أنه فقير إلى الله تعالى في الطعام والشراب والشفاء، ونحوه، كذلك هو فقير إليه في الهداية والتوفيق والسداد، بل هو أولى وأعظم.

لذا اهتم علماء الأمة بنقل هذه العقيدة المباركة الواردة عن رسول الله ﷺ، وأصحابه الكرام، وعلماء أهل السنة، حتى تصبح العقيدة الصحيحة كنور الفجر الصادق المستطير الذي يزداد نورًا حينًا بعد حين، والذي إذا رآه الباطل لوى ذنبه كذنب السرحان، وليس كنور الفجر الكاذب المستطيل الذي يظهر ثم يعود ظلامًا.

فلا بد للعبد إذًا أن يغرس في قلبه شجرة العقيدة الصحيحة، وأن يرويها بالماء العذب من العلم النافع.

من أجل ذلك تبارى العلماء في كل زمان لبيان هذه العقيدة المباركة، وتأصيلها؛ إذ هي التي فيها النجاة في الدارين.

ومن أولئك الأعلام: الإمام المبجل إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل في كتابه المبارك **(أصول السنة)**، والذي نقوم بالتعليق عليه في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى، وما أجمل وأعظم وأنبل أن يجتمع في العالِم القول والعمل، والعلم النافع والعمل الصالح، والتأصيل الصحيح والاعتقاد السليم، ومع كل ذلك الثبات والتضحية من أجل هذه العقيدة، فكل ذلك اجتمع في الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وطيب ثراه، فلله درُّه من إمام.

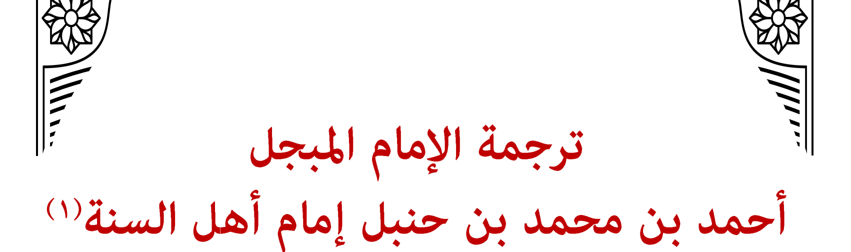
وإن الشرح والتعليق على مثل هذا الكتاب مع صغر حجمه لمن المهام الكبار؛ إذ إنه مجمل في عباراته، عظيم في معانيه، وذلك مع الشعور بالهيبة للإمام المبجل حين الشرح أو التعليق، لكن يكفينا أننا بذلك نسير على الدرب، ونقترب من الصالحين الأبرار، والعلماء الأخيار، ولو بالشرح لكتبهم والتعليق عليها، فكان هذا الكتاب بفضل الله تعالى ومنته الذي سميته **(فتح ذي المنة بشرح أصول السنة)**، وعمدت في الشرح والتعليق إلى اتخاذ أسلوب شرح العبارات وبيان معانيها، وذكر الأدلة التي تبين صحة هذا الاعتقاد ومسائله، وزيادة بعض المسائل المهمة المتعلقة بما ذكره الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ووضعت بعض العناوين للمسائل للتسهيل على طالب العلم في الوصول لما يريد من مسائل الرسالة، وأتبعت كل مجموعة من المسائل برمز ضوئي يساعد من أراد الرجوع والاستماع للدروس الصوتية.

واللهَ أسأل أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يجعله خالصة لوجهه، وأن يكتب له القبول، وأن يعصمنا من الخطإ والزلل، وأن يغفر لنا زلاتنا إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم،
والحمد لله رب العالمين.

كتبه

عبد الفتاح بن محمد بن مصيلحي



ترجمة الإمام المبجل
أحمد بن محمد بن حنبل إمام أهل السنة[١]

اسمه:

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيه: هُوَ: الإِمَامُ حَقًّا، وَشَيْخُ الإِسْلامِ صِدْقًا، أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حَنْبَلِ بنِ هِلالِ بنِ أَسَدِ بنِ إِدْرِيْسَ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ حَيَّانَ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ أَنَسِ بنِ عَوْفِ بنِ قَاسِطِ بنِ مَازِنِ بنِ شَيْبَانَ بنِ ذُهْلِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عُكَابَةَ بنِ صَعْبِ بنِ عَلِيِّ بنِ بَكْرِ وَائِلٍ الذُّهْلِيُّ، الشَّيْبَانِيُّ، المَرْوَزِيُّ، ثُمَّ البَغْدَادِيُّ، أَحَدُ الأَئِمَّةِ الأَعْلاَمِ.

هَكَذَا سَاقَ نَسَبَهُ: وَلَدُهُ عَبْدُ اللهِ، وَاعْتَمَدَهُ أَبُو بَكْرٍ الخَطِيْبُ فِي تَارِيْخِهِ، وَغَيْرُهُ[٢].

مولده:

قَالَ عبد الله بن أحمد: قَالَ لِي أَبِي: وُلِدْتُ فِي رَبِيْعٍ الأَوَّلِ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّيْنَ وَمائَةٍ[٣].

---

(١) من أراد التوسع في ترجمته رَحِمَهُ ٱللَّهُ فلينظر: مقدمة الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، تاريخ بغداد للخطيب، مناقب أحمد لابن الجوزي، سير أعلام النبلاء للذهبي، تهذيب التهذيب لابن حجر.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ١٧٨).

(٣) العلل ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل (٥١٧٨).

نشأته ورحلاته في طلب العلم:

نشأ يتيمًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وربته أمه، وطلب العلم صغيرًا، ورحل إلى بلدان كثيرة.

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كَانَ مُحَمَّدٌ وَالِدُ أَبِي عَبْدِ اللهِ مِنْ أَجْنَادِ مَرْوَ، مَاتَ شَابًّا، لَهُ نَحْوٌ مِنْ ثَلاثِيْنَ سَنَةً، وَرُبِّيَ أَحْمَدُ يَتِيمًا، وَقِيْلَ: إِنَّ أُمَّهُ تَحَوَّلَتْ مِنْ مَرْوَ وَهِيَ حَامِلٌ بِهِ(١).

وقال الخطيب: إمام المحدثين الناصر للدين، والمناضل عَنِ السنة، والصابر فِي المحنة، مروزي الأصل، قدِمَتْ أمه بغداد وهي حامل به فولدته ونشأ بها، وطلب العلم وسمع الحديث من شيوخها، ثم رحل إلى الكوفة، والبصرة، ومكة، والمدينة، واليمن، والشام، والجزيرة(٢).

وقال الأثرم: أخبرني بعض من كان يَطلب الحديث مع أبي عبد الله أحمد بن حنبل، قال: ما زال أبو عبد الله بائنًا من أصحابه، قال: ولقد فَقدتُه يومًا عند إسماعيل ابن عُلَيّة، فدخل وهو ابنُ أقل من ثلاثين سنة، فما بقي في البيت أحد إلا وسَّع له، وقال: ها هنا ها هنا(٣).

وقال الذهبي: طَلَبَ العِلْمَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، فِي العَامِ الَّذِي مَاتَ فِيْهِ مَالِكٌ، وَحَمَّادُ بنُ زَيْدٍ(٤).

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ١٧٩).

(٢) تاريخ بغداد للخطيب (٦/ ٩٠).

(٣) مناقب أحمد لابن الجوزي (ص ٢٤).

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ١٨٠).

۞ شيء من صفته الخَلْقية:

عَنْ مُحَمَّدِ بنِ عَبَّاسٍ النَّحْوِيِّ، قَالَ: رَأَيْتُ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ حَسَنَ الوَجْهِ، رَبْعَةً، يَخْضِبُ بِالحِنَّاءِ خِضَابًا لَيْسَ بِالقَانِي، فِي لِحْيَتِه شَعَرَاتٌ سُودٌ، وَرَأَيْتُ ثِيَابَهُ غِلاَظًا بِيضًا، وَرَأَيْتُهُ مُعْتَمًّا، وَعَلَيْهِ إِزَارٌ[(١)].

۞ شيوخه:

كان أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ إمامًا كبيرًا، ورحل كثيرًا، ولهذا كان له مشايخ كثر، وقد روى أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسنده فقط عن أكثر من مائتين وثمانين شيخًا، وكان من أبرز شيوخه، أبو عبد الله الشافعي، ويحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، ووكيع بن الجراح، وسفيان بن عيينة، وإسماعيل بن علية، وعبد الله بن نمير، وعبد الرزاق بن همام، وعفان بن مسلم، وأبو نعيم الفضل بن دكين، ويزيد بن هارون، وأبويوسف القاضي، وغيرهم كثير.

۞ تلاميذه:

روى عن أحمد تلاميذ كثر جمعهم الخلال وأفردهم في جزء وحده، وكان من أبرز تلاميذه، أبو عبد الله البخاري، ومسلم بن الحجاج، وأبو داود السجستاني، وعلي بن المديني، ومحمد بن يحيى الذهلي، وابنه عبد الله بن أحمد، وابنه صالح بن أحمد، وابن هانئ، والأثرم، والمروذي، وغيرهم كثير.

۞ ورعه وشيء من أخباره:

قال أحمد عن نفسه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَحَجَجتُ خَمْسَ حِجَجٍ، مِنْهَا ثَلاثٌ رَاجِلًا، أَنْفَقْتُ فِي إِحْدَاهَا ثَلاثِيْنَ دِرْهَمًا[(٢)].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ١٨٤).

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ١٨٣).

وعن عبد الله بن أحمد: سَمِعْتُ أَبِي يَقُوْلُ: قَدِمتُ صَنْعَاءَ، أَنَا وَيَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ، فَمَضَيتُ إِلَى عَبْدِالرَّزَّاقِ فِي قَريَتِهِ، وَتَخَلَّف يَحْيَى، فَلَمَّا ذَهَبتُ أَدُقُّ البَابَ، قَالَ لِي بَقَّالٌ تُجَاهُ دَارِهِ: مَهْ، لاَ تَدُقَّ، فَإِنَّ الشَّيْخَ يُهَابُ.

فَجَلَسْتُ حَتَّى إِذَا كَانَ قَبْلَ المَغْرِبِ، خَرَجَ، فَوَثَبتُ إِلَيْهِ، وَفِي يَدِي أَحَادِيْثُ انْتَقَيْتُهَا، فَسَلَّمتُ، وَقُلْتُ: حَدِّثنِي بِهَذِهِ - رَحِمَكَ اللهُ - فَإِنِّي رَجُلٌ غَرِيْبٌ.

قَالَ: وَمَنْ أَنْتَ؟

وَزَبَرَنِي، قُلْتُ: أَنَا أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ.

قَالَ: فَتَقَاصَرَ، وَضَمَّنِي إِلَيْهِ، وَقَالَ: بِاللهِ أَنْتَ أَبُو عَبْدِ اللهِ؟

ثُمَّ أَخَذَ الأَحَادِيْثَ، وَجَعَلَ يَقرَؤُهَا حَتَّى أَظلَمَ(١).

وقال أحمد بن منصور الرَّمَادِيُّ، سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّزَّاقِ، وَذَكَرَ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ، فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ نَفَقَتَه نَفَدَتْ، فَأَخَذتُ بِيَدِهِ، فَأَقَمتُه خَلْفَ البَابِ، وَمَا مَعَنَا أَحَدٌ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ لا تَجتَمِعُ عِنْدَنَا الدَّنَانِيْرُ، إِذَا بِعْنَا الغَلَّةَ أَشغَلْنَاهَا فِي شَيْءٍ، وَقَدْ وَجدتُ عِنْدَ النِّسَاءِ عَشْرَةَ دَنَانِيْرَ، فَخُذْهَا، وَأَرْجُو أَنْ لاَ تُنْفِقَهَا حَتَّى يَتَهَيَّأَ شَيْءٌ.

فَقَالَ لِي: يَا أَبَا بَكْرٍ -كنية عبد الرزاق- ، لَوْ قَبِلْتُ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا، قَبِلتُ مِنْكَ(٢).

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ١٨٦).

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ١٩٣).

۞ سعة حفظه:

قال أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَكُنْت أُذَاكِرُ وَكِيْعًا بِحَدِيْثِ الثَّوْرِيِّ، وَذَكَرَ مَرَّةً شَيْئًا، فَقَالَ: هَذَا عِنْدَ هُشَيْمٍ؟

فَقُلْتُ: لا.

وَكَانَ رُبَّمَا ذَكَرَ العَشْرَ أَحَادِيْث، فَأَحْفَظُهَا، فَإِذَا قَامَ، قَالُوا لِي، فَأُملِيهَا عَلَيْهِم[١].

وقَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ: قَالَ لِي أَبُو زُرْعَةَ: أَبُوكَ يَحْفَظُ أَلفَ أَلفِ حَدِيْثٍ.

فَقِيْلَ لَهُ: وَمَا يُدرِيكَ؟

قَالَ: ذَاكَرْتُهُ، فَأَخَذْتُ عَلَيْهِ الأَبْوَاب.

قَالَ المَرُّوْذِيُّ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللهِ: كُنَّا عِنْد يَزِيْدَ بنِ هَارُوْنَ، فَوَهِمَ فِي شَيْءٍ، فَكَلَّمتُه، فَأَخرَجَ كِتَابَهُ، فَوَجَدَهُ كَمَا قُلْتُ، فَغَيَّرَهُ، فَكَانَ إِذَا جلَسَ، يَقُوْلُ: يَا ابْنَ حَنْبَلٍ، ادْنُ، يَا ابْنَ حَنْبَلٍ، ادْنُ هَا هُنَا[٢].

۞ ثناء العلماء والأئمة عليه:

قَالَ قُتَيْبَةُ بنُ سَعِيدٍ: خَيْرُ أَهْلِ زَمَانِنَا ابْنُ المُبَارَكِ، ثُمَّ هَذَا الشَّابُّ -يَعْنِي: أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ، وَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا يُحِبُّ أَحْمَدَ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ، وَلَوْ أَدْرَكَ عَصْرَ الثَّوْرِيِّ وَالأَوْزَاعِيِّ وَاللَّيْثِ، لَكَانَ هُوَ المُقَدَّمَ عَلَيْهِم.

فَقِيْلَ لِقُتَيْبَةَ: يُضَمُّ أَحْمَدُ إِلَى التَّابِعِيْنَ؟ قَالَ: إِلَى كِبَارِ التَّابِعِيْنَ.

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ١٨٦).

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ١٩٤).

وَقَالَ: لَوْلا الثَّوْرِيُّ، لَمَاتَ الوَرَعُ، وَلَوْلا أَحْمَدُ، لأَحْدَثُوا فِي الدِّيْنِ، أَحْمَدُ إِمَامُ الدُّنْيَا(١).

وَقَالَ الشَّافِعِي: خَرَجتُ مِنْ بَغْدَادَ، فَمَا خَلَّفتُ بِهَا رَجُلًا أَفْضَلَ، وَلا أَعْلَمَ، وَلا أَفْقَهَ، وَلا أَتْقَى مِنْ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ(٢).

وقَالَ إِبْرَاهِيْمُ الحَرْبِيُّ: رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ، كَأَنَّ اللهَ جَمَعَ لَهُ عِلْمَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ(٣).

وقال وكيع وحفص بن غياث: مَا قَدِمَ الكُوْفَةَ مِثْلُ ذَاكَ الفَتَى - يَعنِيَانِ: أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ -(٤).

وَقَالَ مُهَنَّى بنُ يَحْيَى: قَدْ رَأَيْتُ ابْنَ عُيَيْنَةَ، وَوَكِيْعًا، وَبَقِيَّةَ، وَعَبْدَ الرَّزَّاقِ، وَضَمْرَةَ، وَالنَّاسَ، مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَجْمَعَ مِنْ أَحْمَدَ فِي عِلْمِهِ وَزُهْدِهِ وَوَرَعِه، وَذَكَرَ أَشْيَاءَ(٥).

وَقَالَ الحُنَيْنِيُّ: سَمِعْتُ إِسْمَاعِيْلَ بنَ الخَلِيْلِ يَقُوْلُ: لَوْ كَانَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيْلَ، لَكَانَ آيَةً(٦)، فثناء الناس عليه أكثر من أن يحصر في سطور رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ١٩٥).

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ١٩٥).

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ١٨٨).

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ١٨٩).

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ١٩١).

(٦) سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ٢٠٢).

۞ ثناء الناس عليه لثباته في المحنة:

خبر المحنة مشتهر وأفرد في تصانيف كثيرة، ولا يسع المجال لذكره هاهنا، فنشير فقط إلى ثناء بعض الناس عليه فيها:

قال المزني: أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ يَوْمَ المِحنَةِ، أَبُو بَكْرٍ يَومَ الرِّدَّةِ، وَعُمَرُ يَوْمَ السَّقِيفَةِ، وَعُثْمَانُ يَوْمَ الدَّارِ، وَعَلِيٌّ يَوْمَ صِفِّينَ(١).

وَعَنْ مُحَمَّدِ بنِ مُصْعَبٍ العَابِدِ، قَالَ: لَسَوْطٌ ضُرِبَهُ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ فِي اللهِ، أَكْبَرُ مِنْ أَيَّامِ بِشْرِ بنِ الحَارِثِ(٢).

وعن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيْمَ البُوْشَنْجِيَّ - وَذكرَ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ - فَقَالَ: هُوَ عِنْدِي أَفْضَلُ وَأَفْقَهُ مِنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ؛ وَذَلِكَ أَنَّ سُفْيَانَ لَمْ يُمْتَحَنْ بِمِثْلِ مَا امتُحِنَ بِهِ أَحْمَدُ، وَلا عِلْمُ سُفْيَانَ وَمَنْ يُقدَّمُ مِنْ فُقَهَاءِ الأَمصَارِ كَعِلمِ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ؛ لأَنَّه كَانَ أَجْمَعَ لَهَا، وَأَبصَرَ بِأَغَاليطِهم وَصَدُوقِهم وَكَذُوْبِهم(٣).

۞ وفاته:

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَبِيْعٍ الأَوَّلِ، يَوْمَ الجُمُعَةِ، سنة واحد وأربعين ومائتين(٤).

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٠١).

(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٠١).

(٣) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٠٢).

(٤) سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٣٧).

قَالَ الخَلَّالُ: سَمِعْتُ عَبْدَ الوَهَّابِ الوَرَّاقَ يَقُولُ: مَا بَلَغنَا أَنَّ جَمعًا فِي الجَاهِلِيَّةِ وَلا الإِسْلامِ مِثْلُهُ -يَعْنِي: مَنْ شَهِدَ الجَنَازَةَ- حَتَّى بَلَغَنَا أَنَّ المَوْضِعَ مُسِحَ وَحُزِرَ عَلَى الصَّحِيْحِ، فَإِذَا هُوَ نَحْوٌ مِنْ أَلفِ أَلفٍ[(١)].

❀ ❀ ❀

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ٣٣٩).



متن أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل

قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أُصُولُ السُّنَّةِ عِنْدَنَا: التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالِاقْتِدَاءُ بِهِمْ، وَتَرْكُ الْبِدَعِ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ فَهِيَ ضَلَالَةٌ، وَتَرْكُ الْخُصُومَاتِ، وَالْجُلُوسِ مَعَ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ، وَتَرْكُ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ.

وَالسُّنَّةُ عِنْدَنَا آثَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ، وَهِيَ دَلَائِلُ الْقُرْآنِ، وَلَيْسَ فِي السُّنَّةِ قِيَاسٌ، وَلَا تُضْرَبُ لَهَا الْأَمْثَالُ، وَلَا تُدْرَكُ بِالْعُقُولِ وَلَا الْأَهْوَاءِ، إِنَّمَا هُوَ الِاتِّبَاعُ وَتَرْكُ الْهَوَى.

وَمِنَ السُّنَّةِ اللَّازِمَةِ الَّتِي مَنْ تَرَكَ مِنْهَا خَصْلَةً - لَمْ يَقْبَلْهَا وَيُؤْمِنْ بِهَا - لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِهَا الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْأَحَادِيثِ فِيهِ، وَالْإِيمَانُ بِهَا، لَا يُقَالُ لِمَ وَلَا كَيْفَ، إِنَّمَا هُوَ التَّصْدِيقُ وَالْإِيمَانُ بِهَا، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ تَفْسِيرَ الْحَدِيثِ وَيَبْلُغْهُ عَقْلُهُ فَقَدْ كُفِيَ ذَلِكَ وَأُحْكِمَ لَهُ، فَعَلَيْهِ الْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّسْلِيمُ لَهُ، مِثْلُ حَدِيثِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ وَمِثْلُ مَا كَانَ مِثْلَهُ فِي الْقَدَرِ، وَمِثْلُ أَحَادِيثِ الرُّؤْيَةِ كُلِّهَا، وَإِنْ نَأَتْ عَنِ الْأَسْمَاعِ وَاسْتَوْحَشَ مِنْهَا الْمُسْتَمِعُ، وَإِنَّمَا عَلَيْهِ الْإِيمَانُ بِهَا، وَأَنْ لَا يَرُدَّ مِنْهَا حَرْفًا وَاحِدًا وَغَيْرَهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمَأْثُورَاتِ عَنِ الثِّقَاتِ، وَأَنْ لَا يُخَاصِمَ أَحَدًا وَلَا يُنَاظِرَهُ، وَلَا يَتَعَلَّمَ الْجِدَالَ.

فَإِنَّ الْكَلَامَ فِي الْقَدَرِ وَالرُّؤْيَةِ وَالْقُرْآنِ وَغَيْرِهَا مِنَ السُّنَنِ مَكْرُوهٌ وَمَنْهِيٌّ عَنْهُ، لَا يَكُونُ صَاحِبُهُ -وَإِنْ أَصَابَ بِكَلَامِهِ السُّنَّةَ- مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ حَتَّى يَدَعَ الْجِدَالَ وَيُسَلِّمَ وَيُؤْمِنَ بِالْآثَارِ.

وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَلَا يَضْعُفُ أَنْ يَقُولَ: لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، فَإِنَّ كَلَامَ اللهِ لَيْسَ بِبَائِنٍ مِنْهُ، وَلَيْسَ مِنْهُ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ، وَإِيَّاكَ وَمُنَاظَرَةَ مَنْ أَحْدَثَ فِيهِ، وَمَنْ قَالَ بِاللَّفْظِ وَغَيْرِهِ، وَمَنْ وَقَفَ فِيهِ، فَقَالَ: لَا أَدْرِي مَخْلُوقٌ أَوْ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامُ اللهِ، فَهَذَا صَاحِبُ بِدْعَةٍ مِثْلُ مَنْ قَالَ: هُوَ مَخْلُوقٌ. وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامُ اللهِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ.

وَالْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ رَأَى رَبَّهُ، فَإِنَّهُ مَأْثُورٌ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، صَحِيحٌ، رَوَاهُ قَتَادَةُ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ وَرَوَاهُ الْحَكَمُ بْنُ أَبَانٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ وَرَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ يُوسُفَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَالْحَدِيثُ عِنْدَنَا عَلَى ظَاهِرِهِ كَمَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالْكَلَامُ فِيهِ بِدْعَةٌ، وَلَكِنْ نُؤْمِنُ بِهِ كَمَا جَاءَ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَلَا نُنَاظِرُ فِيهِ أَحَدًا.

وَالْإِيمَانُ بِالْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا جَاءَ، يُوزَنُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَا يَزِنُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَتُوزَنُ أَعْمَالُ الْعِبَادِ كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ، وَالْإِيمَانُ بِهِ، وَالتَّصْدِيقُ بِهِ، وَالْإِعْرَاضُ عَمَّنْ رَدَّ ذَلِكَ، وَتَرْكُ مُجَادَلَتِهِ.

وَأَنَّ اللهَ يُكَلِّمُ الْعِبَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّصْدِيقُ بِهِ.

وَالْإِيمَانُ بِالْحَوْضِ، وَأَنَّ لِرَسُولِ اَللهِ ﷺ حَوْضًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتُهُ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَسِيرَةَ شَهْرٍ، آنِيَتُهُ كَعَدَدِ نُجُومِ اَلسَّمَاءِ عَلَى مَا صَحَّتْ بِهِ الْأَخْبَارُ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ.

وَالْإِيمَانُ بِعَذَابِ اَلْقَبْرِ، وَأَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُفتَنُ فِي قُبُورِهَا، وَتُسْأَلُ عَنِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، وَمَنْ رَبُّهُ؟ وَمَنْ نَبِيُّهُ؟ وَيَأْتِيه مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ، كَيْفَ شَاءَ اللهُ وَكَيْفَ أَرَادَ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّصْدِيقُ بِهِ.

وَالْإِيمَانُ بِشَفَاعَةِ اَلنَّبِيِّ ﷺ، وَبِقَوْمٍ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَا اِحْتَرَقُوا وَصَارُوا فَحْمًا، فَيُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى نَهْرٍ عَلَى بَابِ اَلْجَنَّةِ كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ، كَيْفَ شَاءَ اللهُ، وَكَمَا شَاءَ، إِنَّمَا هُوَ الْإِيمَانُ بِهِ، وَالتَّصْدِيقُ بِهِ.

وَالْإِيمَانُ أَنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ خَارِجٌ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ وَالْأَحَادِيثُ اَلَّتِي جَاءَتْ فِيهِ، وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ، وَأَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنْزِلُ فَيَقْتُلُهُ بِبَابِ لُدٍّ.

وَالْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ كَمَا جَاءَ فِي الْخَبَرِ: (أَكْمَلُ اَلْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا).

وَمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ فَقَدْ كَفَرَ وَلَيْسَ مِنَ الْأَعْمَالِ شَيْءٌ تَرْكُهُ كُفْرٌ إِلَّا الصَّلَاةُ، مَنْ تَرَكَهَا فَهُوَ كَافِرٌ، وَقَدْ أَحَلَّ اللهُ قَتْلَهُ.

وَخَيْرُ هَذِهِ اَلْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ نُقَدِّمُ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ كَمَا قَدَّمَهُمْ أَصْحَابُ رَسُولِ اَللهِ ﷺ، لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي ذَلِكَ، ثُمَّ بَعْدَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ أَصْحَابُ الشُّورَى الْخَمْسَةُ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَسَعْدٌ، كُلُّهُمْ يَصْلُحُ لِلْخِلَافَةِ، وَكُلُّهُمْ

إِمَامٌ، وَنَذْهَبُ فِي ذَلِكَ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ: (كُنَّا نَعُدُّ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ حَيٌّ، وَأَصْحَابُهُ مُتَوَافِرُونَ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ نَسْكُتُ).

ثُمَّ مِنْ بَعْدِ أَصْحَابِ الشُّورَى أَهْلُ بَدْرٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، ثُمَّ أَهْلُ بَدْرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى قَدْرِ الْهِجْرَةِ وَالسَّابِقَةِ، أَوَّلًا فَأَوَّلًا، ثُمَّ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثَ فِيهِمْ، وَكُلُّ مَنْ صَحِبَهُ سَنَةً أَوْ شَهْرًا أَوْ يَوْمًا أَوْ سَاعَةً، أَوْ رَآهُ فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِهِ، لَهُ مِنَ الصُّحْبَةِ عَلَى قَدْرِ مَا صَحِبَهُ، وَكَانَتْ سَابِقَتُهُ مَعَهُ، وَسَمِعَ مِنْهُ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظْرَةً، فَأَدْنَاهُمْ صُحْبَةً هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِينَ لَمْ يَرَوْهُ، وَلَوْ لَقُوا اللهَ بِجَمِيعِ الْأَعْمَالِ، كَانَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ صَحِبُوا النَّبِيَّ ﷺ وَرَأَوْهُ وَسَمِعُوا مِنْهُ، وَمَنْ رَآهُ بِعَيْنِهِ وَآمَنَ بِهِ وَلَوْ سَاعَةً، أَفْضَلُ لِصُحْبَتِهِ مِنَ التَّابِعِينَ، وَلَوْ عَمِلُوا كُلَّ أَعْمَالِ الْخَيْرِ.

وَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِلْأَئِمَّةِ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، وَمَنْ وَلِيَ الْخِلَافَةَ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَرَضُوا بِهِ، وَمَنْ عَلَيْهِمْ بِالسَّيْفِ حَتَّى صَارَ خَلِيفَةً، وَسُمِّيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْغَزْوُ مَاضٍ مَعَ الْأَمِيرِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ لَا يُتْرَكُ.

وَقِسْمَةُ الْفَيْءِ وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ إِلَى الْأَئِمَّةِ مَاضٍ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَطْعَنَ عَلَيْهِمْ، وَلَا يُنَازِعُهُمْ، وَدَفْعُ الصَّدَقَاتِ إِلَيْهِمْ جَائِزَةٌ نَافِذَةٌ، مَنْ دَفَعَهَا إِلَيْهِمْ أَجْزَأَتْ عَنْهُ، بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا.

وَصَلَاةُ الْجُمْعَةِ خَلْفَهُ وَخَلْفَ مَنْ وَلَّاهُ، جَائِزَةٌ بَاقِيَةٌ تَامَّةٌ رَكْعَتَيْنِ، مَنْ أَعَادَهُمَا فَهُوَ مُبْتَدِعٌ تَارِكٌ لِلْآثَارِ، مُخَالِفٌ لِلسُّنَّةِ، لَيْسَ لَهُ مِنْ فَضْلِ الْجُمْعَةِ شَيْءٌ؛ إِذَا لَمْ يَرَ الصَّلَاةَ خَلْفَ الْأَئِمَّةِ مَنْ كَانُوا بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ.

فَالسُّنَّةُ: بِأَنْ يُصَلِّيَ مَعَهُمْ رَكْعَتَيْنِ، وَيَدِينَ بِأَنَّهَا تَامَّةٌ، لَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ مِنْ ذَلِكَ شَكٌّ.

وَمَنْ خَرَجَ عَلَى إِمَامٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ كَانَ النَّاسُ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ وَأَقَرُّوا لَهُ بِالْخِلَافَةِ، بِأَيِّ وَجْهٍ كَانَ،- بِالرِّضَا أَوْ بِالْغَلَبَةِ - فَقَدْ شَقَّ هَذَا الْخَارِجُ عَصَا الْمُسْلِمِينَ، وَخَالَفَ الْآثَارَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: فَإِنْ مَاتَ الْخَارِجُ عَلَيْهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً.

وَلَا يَحِلُّ قِتَالُ السُّلْطَانِ وَلَا الْخُرُوجُ عَلَيْهِ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ عَلَى غَيْرِ السُّنَّةِ وَالطَّرِيقِ.

وَقِتَالُ اللُّصُوصِ وَالْخَوَارِجِ جَائِزٌ إِذَا عَرَضُوا لِلرَّجُلِ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَهُ أَنْ يُقَاتِلَ عَنْ نَفْسِهِ وَمَالِهِ، وَيَدْفَعُ عَنْهَا بِكُلِّ مَا يَقْدِرُ، وَلَيْسَ لَهُ إِذَا فَارَقُوهُ أَوْ تَرَكُوهُ أَنْ يَطْلُبَهُمْ، وَلَا يَتْبَعَ آثَارَهُمْ، لَيْسَ لِأَحَدٍ إِلَّا الْإِمَامَ أَوْ وُلَاةَ الْمُسْلِمِينَ، إِنَّمَا لَهُ أَنْ يَدْفَعَ عَنْ نَفْسِهِ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ، وَيَنْوِيَ بِجُهْدِهِ أَنْ لَا يَقْتُلَ أَحَدًا، فَإِنْ مَاتَ عَلَى يَدَيْهِ فِي دَفْعِهِ عَنْ نَفْسِهِ فِي الْمَعْرَكَةِ فَأَبْعَدَ اللهُ الْمَقْتُولَ، وَإِنْ قُتِلَ هَذَا فِي تِلْكَ الْحَالِ وَهُوَ يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ وَمَالِهِ، رَجَوْتُ لَهُ الشَّهَادَةَ، كَمَا جَاءَ فِي الْأَحَادِيثِ وَجَمِيعِ الْآثَارِ فِي هَذَا إِنَّمَا أُمِرَ بِقِتَالِهِ، وَلَمْ يُؤْمَرْ بِقَتْلِهِ وَلَا اتِّبَاعِهِ، وَلَا يُجْهِزُ عَلَيْهِ إِنْ صُرِعَ أَوْ كَانَ جَرِيحًا، وَإِنْ أَخَذَهُ أَسِيرًا فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَقْتُلَهُ، وَلَا يُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَلَكِنْ يَرْفَعُ أَمْرَهُ إِلَى مَنْ وَلَّاهُ اللهُ، فَيَحْكُمُ فِيهِ.

وَلَا نَشْهَدُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِعَمَلٍ يَعْمَلُهُ بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ نَرْجُو لِلصَّالِحِ وَنَخَافُ عَلَيْهِ، وَنَخَافُ عَلَى الْمُسِيءِ الْمُذْنِبِ، وَنَرْجُو لَهُ رَحْمَةَ اللهِ.

وَمَنْ لَقِيَ اللهَ بِذَنْبٍ يَجِبُ لَهُ بِهِ النَّارُ تَائِبًا غَيْرَ مُصِرٍّ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ، وَيَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ، وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ، وَمَنْ لَقِيَهُ وَقَدْ أُقِيمَ عَلَيْهِ حَدُّ ذَلِكَ الذَّنْبِ فِي الدُّنْيَا، فَهُوَ كَفَّارَتُهُ، كَمَا جَاءَ فِي الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَنْ لَقِيَهُ مُصِرًّا غَيْرَ تَائِبٍ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي قَدْ اسْتَوْجَبَ بِهَا الْعُقُوبَةَ فَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَمَنْ لَقِيَهُ وَهُوَ كَافِرٌ عَذَّبَهُ وَلَمْ يَغْفِرْ لَهُ.

وَالرَّجْمُ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَا وَقَدْ أَحْصَنَ إِذَا اعْتَرَفَ أَوْ قَامَتْ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ، وَقَدْ رَجَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَدْ رَجَمَتِ الْأَئِمَّةُ الرَّاشِدُونَ.

وَمَنِ انْتَقَصَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَوْ أَبْغَضَهُ بِحَدَثٍ كَانَ مِنْهُ، أَوْ ذَكَرَ مَسَاوِئَهُ كَانَ مُبْتَدِعًا، حَتَّى يَتَرَحَّمَ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا، وَيَكُونُ قَلْبُهُ لَهُمْ سَلِيمًا.

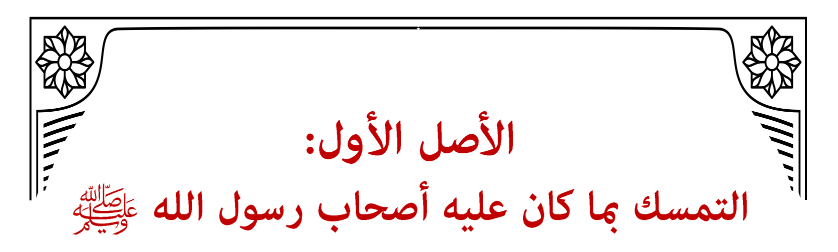
وَالنِّفَاقُ هُوَ: الْكُفْرُ، أَنْ يَكْفُرَ بِاللهِ وَيَعْبُدَ غَيْرَهُ، وَيُظْهِرَ الْإِسْلَامَ فِي الْعَلَانِيَةِ، مِثْلَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَقَوْلُهُ ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ» هَذَا عَلَى التَّغْلِيظِ، نَرْوِيهَا كَمَا جَاءَتْ، وَلَا نُفَسِّرُهَا. وَقَوْلُهُ ﷺ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا ضُلَّالًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»، وَمِثْلُ: «إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ»، وَمِثْلُ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»، وَمِثْلُ: «مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا»، وَمِثْلُ: «كُفْرٌ بِاللهِ تَبَرُّؤٌ مِنْ نَسَبٍ وَإِنْ دَقَّ»، وَنَحْوُ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ مِمَّا قَدْ صَحَّ وَحُفِظَ، فَإِنَّا نُسَلِّمُ لَهُ، وَإِنْ لَمْ نَعْلَمْ تَفْسِيرَهَا، وَلَا نَتَكَلَّمُ فِيهَا، وَلَا نُجَادِلُ فِيهَا، وَلَا نُفَسِّرُ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ إِلَّا مِثْلَ مَا جَاءَتْ، لَا نَرُدُّهَا إِلَّا بِأَحَقَّ مِنْهَا.

وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ قَدْ خُلِقَتَا، كَمَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ قَصْرًا وَرَأَيْتُ الْكَوْثَرَ... وَاطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا...»،

وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ ... كَذَا وَكَذَا» ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُمَا لَمْ تُخْلَقَا، فَهُوَ مُكَذِّبٌ بِالْقُرْآنِ وَأَحَادِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا أَحْسَبُهُ يُؤْمِنُ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

وَمَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ مُوَحِّدًا يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَيُسْتَغْفَرُ لَهُ وَلَا يُحْجَبُ عَنْهُ الِاسْتِغْفَارُ، وَلَا تُتْرَكُ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ لِذَنْبٍ أَذْنَبَهُ صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا، أَمْرُهُ إِلَى اللهِ تَعَالَى.



الأصل الأول:
التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ

قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أُصُولُ السُّنَّةِ عِنْدَنَا: التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالِاقْتِدَاءُ بِهِمْ.

قوله:" أُصُولُ السُّنَّةِ":

الأصول: جمع أصل وهو الأساس، أو هو ما يبنى عليه غيره.

والسنة: هي الطريقة، والمراد بها: طريقة النبي ﷺ.

ويختلف معنى السنة في الاصطلاح باعتبار العلم الذي ترد فيه كلمة السنة:

فالسنة تطلق عند الأصوليين، ويراد بها: كل ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير.

وتطلق عند المحدثين، ويراد بها: كل ما أضيف للنبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خَلْقِيَّة، أو خُلُقِيَّة.

وتطلق عند الفقهاء، ويراد بها: المستحب أو المندوب وهو ما يثاب فاعله امتثالًا، ولا يعاقب تاركه.

وتطلق عند علماء العقيدة، ويراد بها: ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه في أصول الدين، وهي ضد البدعة، ؛ لذلك سمَّى كثير من أهل العلم كتبهم ورسائلهم بالسنة، مثل السنة لابن أبي عاصم، وأصول السنة للحميدي، وأصول السنة للإمام أحمد، وغيرها من الكتب والرسائل.

فقوله " **أصول السنة** " أي أصول الإعتقاد.

قوله:"عِنْدَنَا":

أي عند أهل السنة، ولا يقصد بذلك المذهب الحنبلي، وإنما الأصول العامة عند علماء أهل السنة.

قوله:"التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالِاقْتِدَاءُ بِهِمْ":

هذا هو الأصل الأول في هذه العقيدة المباركة، وهو التمسك بما كان عليه أصحاب النبي ﷺ والاقتداء بهم.

وفي هذا الأصل مسائل:

۞ المسألة الأولى: تعريف الصحابي:

الصحابي: هو من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به، ومات على ذلك(١)، أي كل من لقي النبي ﷺ حال إيمانه ومات على الإيمان، ومن لقيه مؤمنًا ثم حدثت له ردة ثم عاد إلى الإسلام بعد موت النبي فهو صحابي أيضًا على الصحيح من أقوال أهل العلم، لكن من لقي النبي ﷺ وهو كافر ثم آمن بعد موته فلا يعد صحابيًّا؛ لأنه لا بد أن يلقاه حال الإيمان.

---

(١) نخبة الفكر لابن حجر (٤/ ٧٢٤)، والعراقي في شرح التبصرة (٢/ ١٢٠).

- والصحابة تتفاوت درجاتهم، فالصحبة جنس، فكل من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات على ذلك فهو صحابي حتى وإن قلّت صحبته، والصحبة من الأعمال الصالحة العظيمة التي قدرها الله تعالى واختارها لبعض عباده، فيجب التمسك بما كان عليه الصحابة من الأقوال والأفعال التي أخذوها من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ؛ إذ هم الذين عاصروا التنزيل، وهم أكثر من غيرهم علما، وأدق فهما، وأنقى قلوبا، وهم خير القرون وأفضلها بشهادة رسول الله ﷺ، فلن يأتي من بعدهم بأفضل ولا أسلم ولا أعلم ولا أحكم مما أتوا به.

۞ المسألة الثانية: أدلة هذا الأصل من الكتاب والسنة:

الأدلة على وجوب التمسك بماكان عليه أصحاب رسول الله، والاقتداء بهم كثيرة من الكتاب والسنة، منها:

قال تعالى ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة: ١٣٧]، فبين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن سبيل الاهتداء في اتباع الصحابة، والإيمان بمثل ما آمنوا به، ومخالفة ما كانوا عليه هو سبيل الضلالة والشقاق.

وقال تعالى ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥]، فرتب الله تعالى العقاب والعذاب على من اتبع غير سبيل المؤمنين، وأولى الناس بذلك، وأعظم المؤمنين إيمانًا هم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ولقد زكى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الصحابة في غير موضع من القرآن، فقال تعالى ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ

رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٢٦﴾﴾ [الفتح: ٢٦]، وأثنى تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على من اتبعهم، فقال تعالى ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

عن أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قَالَ: صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ قَالَ فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ، قَالَ «أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ» قَالَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»(١).

فجعل نسبة أصحابه إلى من بعدهم كنسبته إلى أصحابه، وكنسبة النجوم إلى السماء، وهذا التشبيه يؤكد وجوب اهتداء الأمة بهم ما هو نظير اهتدائهم بنبيهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونظير اهتداء أهل الأرض بالنجوم، وفيه أنه جعل بقاءهم بين الأمة أمنة لها وحرزًا من الشر وأسبابه، فلو جاز أن يخطئوا فيما أفتوا به على سبيل

---

(١) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، بَابُ بَيَانِ أَنَّ بَقَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَانٌ لِأَصْحَابِهِ، وَبَقَاءَ أَصْحَابِهِ أَمَانٌ لِلْأُمَّةِ حديث (٢٥٣١).

عمومهم، ويظفر بالحق من بعدهم لكان الظافرون بالحق أمنة للصحابة وحرزًا لهم، وهذا من المحال(١).

عَنْ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» فَلَا أَدْرِي فِي الثَّالِثَةِ أَوْ فِي الرَّابِعَةِ قَالَ: «ثُمَّ يَتَخَلَّفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ، تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»(٢)، فإخبار النبي ﷺ أن خير القرون قرنه وهذه خيرية مطلقة؛ فاقتضى ذلك تقديمهم في كل أبواب الخير، وهذا التقديم يوجب الاهتداء والاقتداء بهم.

عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: " كَتَبَ عَامِلٌ لَهُ يَسْأَلُهُ عَنِ الْأَهْوَاءِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ ، وَالِاقْتِصَادِ فِي أَمْرِهِ ، وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ ، وَتَرْكِ مَا أَحْدَثَ الْمُحْدِثُونَ بَعْدَهُ مِمَّا جَرَتْ بِهِ سُنَّتُهُ وَكُفُوا مُؤْنَتَهُ ، فَعَلَيْكَ بِلُزُومِ السُّنَّةِ؛ فَإِنَّهَا لَكَ بِإِذْنِ اللهِ عِصْمَةٌ ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ لَمْ يُحْدِثُوا بِدْعَةً إِلَّا وَقَدْ مَضَى قَبْلَهَا مَا هُوَ دَلِيلٌ عَلَيْهَا وَعِبْرَةٌ فِيهَا ، فَإِنَّ السُّنَّةَ إِنَّمَا سَنَّهَا مَنْ عَلِمَ مَا فِي خِلَافِهَا مِنَ الْخَطَأِ ، وَالزَّلَلِ ، وَالْحُمْقِ ، وَالتَّعَمُّقِ ، فَارْضَ لِنَفْسِكَ مَا رَضِيَ بِهِ الْقَوْمُ لِأَنْفُسِهِمْ؛ فَإِنَّهُمُ السَّابِقُونَ ، وَإِنَّهُمْ عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا ، وَبِبَصَرٍ نَافِذٍ كَفُّوا ، وَلَهُمْ كَانُوا عَلَى كَشْفِ الْأُمُورِ أَقْوَى ، وَبِفَضْلٍ فِيهِ لَوْ كَانَ أَحْرَى ، فَلَئِنْ كَانَ الْهُدَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ فَقَدْ سَبَقْتُمُوهُمْ إِلَيْهِ ، وَلَئِنْ قُلْتَ: إِنَّمَا أَحْدَثَ بَعْدَهُمْ مَا أَحْدَثَهُ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِهِمْ ، وَرَغِبَ بِنَفْسِهِ عَنْهُمْ ، لَقَدْ تَكَلَّمُوا فِيهِ بِمَا يَكْفِي ،

---

(١) رياض الجنة بشرح أصول السنة للأستاذ أحمد سالم (١ :٢٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد حديث (٢٦٥٢)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم حديث (٢٥٣٣).

وَوَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي ، فَمَا دُونَهُمْ مُقَصِّرٌ ، وَمَا فَوْقَهُمْ مُحْصِرٌ ، لَقَدْ قَصَّرَ دُونَهُمْ أَقْوَامٌ فَجَفَوْا ، وَطَمَحَ عَنْهُمْ آخَرُونَ فَغَلَوْا ، إِنَّهُمْ بَيْنَ ذَلِكَ ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ [الحج: ٦٧][١].

عَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ، أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ، فَقَالَ: «اخْتَلَفَ فِيهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَا رَأْيَ لِي مَعَهُمْ» قَالَ ابْنُ وَضَّاحٍ: هَذَا هُوَ الْحَقُّ. قَالَ أَبُو عُمَرَ: مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَنْ يَأْتِيَ بِقَوْلٍ يُخَالِفُهُمْ جَمِيعًا بِهِ[٢].

---

(١) صحيح بمجموع طرقه: أخرجه أحمد في الزهد (١٧٠٩)، وأبوداود (٤٦١٢)، وأبونعيم في الحلية (٥/ ٣٣٨)، وغيرهم من طرق عن عمر بن عبدالعزيز به.

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر (١/ ٧٧٠).



الأصل الثاني: ترك البدع

قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَتَرْكُ الْبِدَعِ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ فَهِيَ ضَلَالَةٌ.

قوله: "وَتَرْكُ اَلْبِدَعِ": أي ومن أصول أهل السنة والجماعة ترك البدع.

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: تعريف البدعة:

البدعة لغة: الشيء المخترع على غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩﴾ **[الأحقاف: ٩]**.

البدعة في الشرع: طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله – سبحانه –(١).

شرح التعريف:

قوله: طريقة: يقصد بها السبيل والسنة، وكل ما رُسم للسلوك عليه، أو اتخذ للتعبد به، سواءً كان في المسائل العلمية أو المسائل العملية.

---

(١) الاعتصام للشاطبي (١/ ٥٠) ط: دار ابن عفان السعودية.

قوله: في الدين: تقييد للطريقة المسلوكة بأنها في الدين؛ لأنها فيه تخترع، وإليه تنسب، وبه يلصقها مخترعها، فلو كانت طريقة مخترعة في الدنيا على الخصوص لم تسم بدعة.

قوله: تضاهي الشرعية: يعني أنها تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك، بل هي مضادة لها، سواء كانت المضاهاة بالإلزام أو المنع، كمن يلزم نفسه بعمل لم يلزمه الشرع به، أو يمنع نفسه من شيء لم يمنعه الشرع منه، على وجه القربة والديانة، وتكون المضاهاة بالإلزام أو المنع، كما تكون بقصد القربة، وتخصيص زمان أو مكان أو هيئة بصفة أو عمل لم يخصصها الشرع، وتكون بإلحاق حكم شرعي بالعمل المحدث، من غير أن يكون له ذلك الحكم، وغير ذلك من أنواع المضاهاة، فإن صاحب البدعة إنما يخترعها ليضاهي بها السنة، أو تكون هي مما تلبس عليه بالسنة، ولذلك تجد المبتدع ينتصر لبدعته بأمور تخيّل التشريع، بل كل خارج عن السنة بشيء من الابتداع لا بد له من تكلف الاستدلال بأدلة السنة على خصوص هذه المسألة المبتدعة.

قوله: يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى:

يعني أن المبتدع يقصد ببدعته هذه المبالغة في التعبد لله تعالى، فهو يفعل هذه الأمور المبتدعة بقصد التقرب إلى الله تعالى[١].

---

(١) حقيقة البدعة وأحكامها. للدكتور سعيد بن ناصر الغامدي (١/ ٢٥٤-٢٥٥). بتصرف.

۞ المسألة الثانية: متى يكون العمل بدعة في الدين؟

لا يكون العمل بدعة في الدين إلا اذا جمع ثلاثة أمور:

الأول: الإحداث.

الثاني: أن يضاف هذا الإحداث إلى الدين (المضاهاة).

الثالث: ألا يستند هذا الإحداث إلى أصل شرعي بطريق خاص أو عام.

✺ وإليك فيما يأتي إيضاح هذه الأمور الثلاثة:

١- الإحداث:

والدليل عليه قوله ﷺ: «من أحدث.....»[(١)]، وقوله: «وكل محدثة بدعة»[(٢)].

والمراد بالإحداث: الإتيان بالأمر الجديد المخترع، الذي لم يسبق إلى مثله، فيدخل فيه كل مخترع، مذمومًا كان أو محمودًا، في الدين كان أو في غيره.

وبهذا خرج ما لا إحداث فيه أصلا؛ مثل فعل الشعائر الدينية كالصلوات المكتوبات، وصيام شهر رمضان، ومثل الإتيان بشيء من الأمور الدنيوية المعتادة كالطعام واللباس، ونحو ذلك.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود حديث (٢٦٩٧)، ومسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور حديث (١٧١٨).

(٢) رواه مسلم في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة حديث (٨٦٧).

ولما كان الإحداث قد يقع في شيء من أمور الدنيا، وقد يقع في شيء من أمور الدين؛ تحتَّم تقييد هذا الإحداث بالقيدين الآتيين:

٢ - أن يضاف هذا الإحداث إلى الدين:

والدليل على هذا القيد قوله ﷺ: «في أمرنا هذا»، والمراد بأمره ها هنا: دينه وشرعه.

فالمعنى المقصود في البدعة: أن يكون الإحداث من شأنه أن يُنسَب إلى الشرع ويضاف إلى الدين بوجه من الوجوه، وهذا المعنى يحصل بواحد من أصول ثلاثة: الأصل الأول: التقرب إلى الله بما لم يشرع، والثاني: الخروج على نظام الدين، ويلحق بهما أصل ثالث، وهو الذرائع المفضية إلى البدعة.

وبهذا القيد تخرج المخترعات المادية والمحدثات الدنيوية مما لا صلة له بأمر الدين، وكذلك المعاصي والمنكرات التي استحدثت، ولم تكن من قبل، فهذه لا تكون بدعة، اللهم إلا إن فُعِلَت على وجه التقرب، أو كانت ذريعة إلى أن يظن أنها من الدين.

٣ - ألا يستند هذا الإحداث إلى أصل شرعي بطريق خاص ولا عام:

والدليل على هذا القيد: قوله ﷺ-: «ما ليس منه»، وقوله: «ليس عليه أمرنا».

وبهذا القيد تخرج المحدثات المتعلقة بالدين مما له أصل شرعي، عام أو خاص، فمما أُحدث في الدين وكان مستندًا إلى دليل شرعي عام: ما ثبت بالمصالح المرسلة؛ مثل جمع الصحابة رضي الله عنهم للقرآن، ومما أُحدث في هذا الدين وكان مستندًا إلى دليل شرعي خاص: إحداث صلاة التراويح جماعة في عهد

عمر رضي الله عنه؛ فإنه قد استند إلى دليل شرعي خاص، ومثله أيضًا إحياء الشرائع المهجورة، والتمثيل لذلك يتفاوت بحسب الزمان والمكان تفاوتًا بيِّنًا، ومن الأمثلة عليه ذكر الله في مواطن الغفلة.

وبالنظر إلى المعنى اللغوي للفظ الإحداث صحَّ تسمية الأمور المستندة إلى دليل شرعي محدثات؛ فإن هذه الأمور الشرعية ابتُدِئ فعلها مرة ثانية بعد أن هُجرت أو جُهلت، فهو إحداث نسبي.

ومعلوم أن كل إحداث دل على صحته وثبوته دليل شرعي فلا يسمى - في نظر الشرع - إحداثًا، ولا يكون ابتداعًا؛ إذ الإحداث والابتداع إنما يطلق - في نظر الشرع - على ما لا دليل عليه(١).

✵ وإليك فيما يأتي ما يقرر هذه القيود الثلاثة من كلام أهل العلم:

قال ابن رجب: (فكل من أحدث شيئًا ونسبه إلى الدين، ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه؛ فهو ضلالة، والدين منه بريء)(٢).

وقال أيضًا: (والمراد بالبدعة: ما أُحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، فأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعًا، وإن كان بدعة لغةً)(٣).

---

(١) قواعد معرفة البدع ومعيار البدعة، لمحمد بن حسين الجيزاني (ص: ٢٠ - ٢٤). بتصرف.

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (٢/ ١٢٨).

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (٢/ ١٢٧).

وقال ابن حجر: والمراد بقوله: «كل بدعة ضلالة» ما أحدث ولا دليل له من الشرع بطريق خاص ولا عام(١).

وقال أيضًا: وهذا الحديث [يعني حديث «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»] معدود من أصول الإسلام وقاعدة من قواعده؛ فإن من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فلا يلتفت إليه(٢).

۞ المسألة الثالثة: قواعد معرفة البدع(٣):

الأصول الجامعة للابتداع أصلان:

الأصل الأول: التقرب إلى الله تعالى بما لم يشرع.

الأصل الثاني: الخروج على نظام الدين.

✳ أولًا: الأصل الأول: وهو التقرب إلى الله تعالى بما لم يشرع:

وذلك أن القاعدة المطردة في هذا الدين أن التقرب إلى الله لا يكون إلا بفعل ما شرعه الله ورسوله ﷺ من العبادة، فمن تعبد الله بشيء لم يشرعه الله ورسوله فقد ابتدع، ويندرج تحت هذا الأصل قواعد:

القاعدة الأولى: كل عبادة تستند إلى حديث مكذوب على رسوله فهي بدعة.

---

(١) فتح الباري للحافظ ابن حجر (١٣/ ٢٥٤).
(٢) فتح الباري للحافظ ابن حجر (٥/ ٣٠٢).
(٣) ينظر معيار البدعة لمحمد بن حسين الجيزاني ص: ٢١- ٢٥).بتصرف.

مثال ذلك: الأحاديث الموضوعة في فضائل سور القرآن الكريم سورة سورة.

القاعدة الثانية: كل عبادة تستند إلى الرأي المجرد والهوى فهي بدعة، كقول بعض العلماء، أو العباد، أو عادات بعض البلاد، أو بعض الحكايات والمنامات.

مثال ذلك: ذكر الله تعالى بالضمير هو اعتماد على أن بعض المتأخرين كان يأمر به.

القاعدة الثالثة: إذا ترك رسول الله ﷺ فعل عبادة من العبادات مع كون موجبها وسببها المقتضي لها قائما ثابتا، والمانع منها منتفيا، فإن فعلها بدعة.

مثال ذلك: صلاة ركعتين عقب السعي بين الصفا والمروة.

القاعدة الرابعة: كل عبادة من العبادات ترك فعلها السلف الصالح من الصحابة، والتابعين، وتابعيهم، أو نقلها، أو تدوينها في كتبهم، أو التعرض لها في مجالسهم، فإنها تكون بدعة بشرط أن يكون المقتضي لفعل هذه العبادة قائما، والمانع منه منتفيا.

مثال ذلك: الإحتفال بأيام الإسلام ووقائعه المشهودة، واتخاذها أعيادا، كيوم مولده ﷺ، ويوم هجرته، ويوم بدر.

القاعدة الخامسة: كل عبادة مخالفة لقواعد الشريعة ومقاصدها فهي بدعة.

مثال ذلك: صلاة الرغائب، وهى اثنتا عشرة ركعة تصلى بين العشائين ليلة أول جمعة من رجب، بكيفية مخصوصة، وكذا صلاة ليلة النصف من شعبان، فإنها تسمى بصلاة الرغائب، وهي مائة ركعة بكيفية مخصوصة.

القاعدة السادسة: كل تقرب إلى الله بفعل شئ من العادات أو المعاملات من وجه لم يعتبره الشرع فهو بدعة.

مثال ذلك: التقرب إلى الله بالصمت الدائم.

القاعدة السابعة: كل تقرب إلى الله بفعل ما نهى عنه سبحانه فهو بدعة.

مثال ذلك: التقرب إلى الله بسماع الملاهي أو بالرقص.

القاعدة الثامنة: كل عبادة وردت في الشرع على صفة مقيدة فتغيير هذه الصفة بدعة.

مثال ذلك: السفر إلى بيت المقدس للتعريف فيه (تخصيصه بالزيارة في يوم عرفة).

القاعدة التاسعة: كل عبادة مطلقة ثبتت في الشرع بدليل عام فإن تقييد إطلاق هذه العبادة بزمان أو مكان معين أو نحوهما بحيث يوهم هذا التقييد أنه مقصود شرعا من غير أن يدل الدليل العام على هذا التقييد فهو بدعة.

مثال ذلك: تخصيص ليلة السابع والعشرين من شهر رجب بالصلاة، ومزيد الذكر.

القاعدة العاشرة: الغلو في العبادة بالزيادة فيها على القدر المشروع، والتشدد والتنطع في الإتيان بها بدعة.

مثال ذلك: التقرب إلى الله تعالى باعتزال النساء وترك الزواج.

✳ ثانيًا: الأصل الثاني: الخروج على نظام الدين:

ومعنى هذا الأصل: أن كل من جعل لغير الشريعة حق الانقياد والامتثال كالشريعة فقد جاء ببدعة وضلالة، ويندرج تحت هذا الأصل قواعد في معرفة البدع ترجع إليه.

القاعدة الأولى: كل ما كان من الاعتقادات والآراء والعلوم معارضا لنصوص الكتاب والسنة أو مخالفا لإجماع سلف الأمة فهو بدعة مثال ذلك: القول بترك العمل بخبر الواحد.

القاعدة الثانية: ما لم يرد في الكتاب والسنة، ولم يؤثر عن الصحابة والتابعين من الاعتقادات، فهو بدعة، مثال ذلك: الاستدلال بطريقة الأعراض وحدوثها على إثبات الصانع.

القاعدة الثالثة: إلزام الناس بفعل شئ من العادات والمعاملات، وجعل ذلك كالشرع الذي لا يخالف، والدين الذي لا يعارض بدعة مثال ذلك: وضع المكوس في معاملات الناس.

القاعدة الرابعة:الخروج عن الأوضاع الدينية الثابتة، وتغيير الحدود الشرعية المقدرة بدعة، مثال ذلك: جعل حد الزنى عقوبة مالية.

القاعدة الخامسة: الجدال والخصومة والمراء في الدين بدعة مثال ذلك: السؤال عن المتشابهات.

القاعدة السادسة: الإتيان بشيء من أعمال الجاهلية التى لم تشرع في الإسلام، مثال ذلك: النياحة على الميت.

قوله: "وَكُلُّ بِدْعَةٍ فَهِيَ ضَلَالَةٌ":

وهذا لفظ عام يعم كل بدعة، وهذا اللفظ قاعدة أصيلة في باب البدعة، وهو مأخوذ من حديث النبي ﷺ حيث قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»(١)، وقال: «وكل بدعة ضلالة»(٢)، وهذا يعني العموم، فلا توجد بدعة حسنة وبدعة سيئة، فالبدع كلها من الضلالة.

وعليه فلابد أن يكون لكل قول وكل عمل دليل من الشرع يشهد له، سواء كان ذلك بأصله أو بوصفه.

❋ قاعدة: تشريع الشيء بأصله لا يعني تشريعه بوصفه.

وعدم فهم هذه القاعدة يحدث خللًا ويوقع الناس في البدع دون ما يشعرون، مثال ذلك: أمر الله تعالى بالذكر حيث قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١﴾ [الأحزاب:٤١]، فتجد أناسًا يجتمعون ويذكرون الله بصور معينة لم ترد في كتاب، ولا سنة، ولم ترد عن أصحاب النبي ﷺ، كما يفعل الصوفية، ويقولون نحن نذكر الله، والله قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١﴾ [الأحزاب:٤١]، فنقول: هذا تشريع للذكر بالأصل، أما الوصف الجديد الذي فعلتموه وحافظتم عليه وجعلتموه عبادة فهذا يحتاج إلى دليل.

(١) رواه البخاري في كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود حديث (٢٦٩٧)، ومسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور حديث (١٧١٨).

(٢) رواه مسلم في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة حديث (٨٦٧).

وكذلك أيضًا قوله ﷺ «كل بدعة ضلالة»[(١)]، ينفي قول البعض أن البدعة قد ينطبق عليها الأحكام التكليفية الخمسة، فقد تكون واجبة، أومستحبة، أو مكروهة، أوحرام، أو مباحة، فكل هذا غير صحيح بهذا العموم.

أما استدلالهم بحديث عمر رضي الله عنه في التراويح لما جمع الصحابة حيث قال: نعمت البدعة تلك[(٢)]، فالمراد بالبدعة هنا البدعة اللغوية أي الشيء الجديد أو المستحسن ، أما في الشرع فهو كل أمر محدث في الدين، وحاشا لعمر والصحابة رضي الله عنهم أن يجتمعوا على بدعة في الدين، بل صلاة التراويح جماعة لها أصلٌ ووصفٌ مشروع، لكن تركها النبي صلى الله عليه وسلم لعلة، حيث صلى النبي ﷺ بأصحابه على هذه الهيئة لثلاث ليال، ثم لم يخرج في الرابعة خشية أن تفرض عليهم، فَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَلَّى فِي الْمَسْجِدِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَصَلَّى بِصَلَاتِهِ نَاسٌ، ثُمَّ صَلَّى مِنَ الْقَابِلَةِ، فَكَثُرَ النَّاسُ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ، أَوِ الرَّابِعَةِ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا أَصْبَحَ، قَالَ: «قَدْ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ، فَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ إِلَّا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ»، قَالَ: وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ[(٣)]، فلما توفي ﷺ عَلِمَ الصحابة - وذلك لعظم فهمهم ودقته- أن الوجوب انتفى، فلا إشكال في إقامة التراويح جماعة؛ لأنه لا يوجد تشريع بعد موت النبي ﷺ، والحكم يدورمع علته وجودًا وعدمًا، فجمعهم عمر رضي الله عنه لذلك.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه البخاري في كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان، حديث (٢٠١٠).

(٣) رواه البخاري في كتاب الجمعة، باب من قال في الخطبة بعد الثناء: أما بعد حديث (٦٢٤)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان حديث (٧٦١).

الأصل الثالث:
ترك الخصومات والمراء والجدال والجلوس مع أهل الأهواء

قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَتَرْكُ الْخُصُومَاتِ، وَالْجُلُوسِ مَعَ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ، وَتَرْكُ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ.

قوله:" وَتَرْكُ الْخُصُومَاتِ، وَالْجُلُوسِ مَعَ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ، وَتَرْكُ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ ":

أي ومن أصول أهل السنة ترك الخصومات فى الدين والجدال.

وفي هذا الأصل مسائل:

المسألة الأولى: معنى الجدال والمراء:

الجدال لغة: اللدد في الخصومة والقدرة عليها، وجادله، أي: خاصمه، مجادلة وجدالا.

والجدل: مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة، والجدال: الخصومة، سمي بذلك لشدته[1].

---

(١) مجمل اللغة لابن فارس (١/ ١٧٩)، لسان العرب لابن منظور (١١/ ١٠٥).

والجدال اصطلاحا: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله، بحجة أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه[(١)].

المراء لغة: الجدال ويقال للمناظرة: مماراة، وماريته أماريه مماراة ومراء: جادلته[(٢)].

والمراء اصطلاحا: هو كثرة الملاحاة للشخص لبيان غلطه وإفحامه، والباعث على ذلك الترفع[(٣)].

وقال الجرجاني: المراء: طعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه، من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير[(٤)].

وقال أبو الوليد الباجي: المراء هو مدافعة الحق بالقول، وترك الانقياد لما ظهر منه...، وهو تردد الكلام بين اثنين، يريد كل واحد منهما إظهار قوله، وإبطال قول خصمه[(٥)].

وهل هناك فرق بين الجدال والمراء؟

قيل: هما بمعنى واحد غير أن المراء مذموم لأنه مخاصمة في الحق بعد ظهوره ؛ وليس كذلك الجدال[(٦)].

---

(١) التعريفات للجرجاني (ص: ٧٤).
(٢) لسان العرب لابن منظور (١٥/ ٢٧٨)، المصباح المنير للفيومي (٢/ ٥٦٩).
(٣) مختصر منهاج القاصدين لأبي العباس بن قدامة (ص: ١٦٦).
(٤) التعريفات للجرجاني (ص: ٢٠٩).
(٥) سنن الصالحين وسنن العابدين لأبي الوليد الباجي (ص: ٤٨٤).
(٦) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (ص: ١٥٩).

✳ الفرق بين الجدل والمناظرة والمحاورة:

الجدل: يراد منه إلزام الخصم ومغالبته فقط، وليس إظهار الحق.

أما المناظرة: فهي تردد الكلام بين شخصين، يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله، وإبطال قول صاحبه، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق.

والمحاورة: هي المراجعة في الكلام، ومنه التحاور، أي: التجاوب، وهي ضرب من الأدب الرفيع، وأسلوب من أساليبه، وقد ورد لفظ الجدل والمحاورة في موضع واحد من سورة المجادلة في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ [المجادلة: ١]، وقريب من ذلك المناقشة والمباحثة.

فالمجادلة تتميز بملمح الشدة، كما تقدم، والمحاورة تتميز بملمح الهدوء.

۞ المسألة الثانية: أقسام الجدال:

ينقسم الجدال إلى قسمين:

✳ القسم الأول: الجدال المحمود:

وهو الذي يكون الغرض منه تقرير الحق وإظهاره ونصرته بإقامة الأدلة والبراهين على صدقه، وقد جاءت نصوص تأمر بهذا النوع من الجدال، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝١٢٥﴾ [النحل: ١٢٥]، فلو كان الجدال ممنوعًا مطلقًا ما أمر به سبحانه، لكنه أمر بالجدال بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٣٢﴾ [هود: ٣٢]، وقال ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟

أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ [العنكبوت: ٤٦]، فهذا يدل على أن الجدال المحمود هو جدال بالتي هي أحسن، والذي يكون المراد منه الوصول إلى الحق، وبآداب الجدال المعلومة، وهو مطلوب مُرغَّب فيه شرعًا، وقد أمر الله تعالى به في الدعوة إلى الله وإظهار الحق، فالإنسان في دعوته إلى الله ليس كل شيء يقبل منه، فقد يُرَدُّ بعضُ ما يقوله ويدعو به، فيحتاج إلى البيان والنقاش والجدال، فيجوز له ذلك لكن يجادل بالتي هي أحسن، فلا يجوز لإنسان إذا أراد أن يبين للناس الحق فجادلوه وعارضوه، يقول: أنا لا أجادل؛ لأن الجدال محرم، فلن ينتفع الناس إذًا، ولن يظهر الحق، ولكن لا بد من الجدال بالحكمة والموعظة الحسنة، ورجاء الوصول للحق وبيانه، فهذا هو الجدال المحمود.

ولقد كان هذا هو فعل الصحابة رضي الله عنهم، فلقد خرج ابن عباس رضي الله عنه للخوارج ليناظرهم، في جمع من الصحابة، وما أنكروا عليه.

عَنْ عبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «لَمَّا خَرَجَتِ الْحَرُورِيَّةُ اعْتَزَلُوا فِي دَارٍ، وَكَانُوا سِتَّةَ آلَافٍ» فَقُلْتُ لِعَلِيٍّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ «أَبْرِدْ بِالصَّلَاةِ، لَعَلِّي أُكَلِّمُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ» قَالَ: «إِنِّي أَخَافُهُمْ عَلَيْكَ» قُلْتُ: كَلَّا، فَلَبِسْتُ، وَتَرَجَّلْتُ، وَدَخَلْتُ عَلَيْهِمْ فِي دَارِ نِصْفِ النَّهَارِ، وَهُمْ يَأْكُلُونَ فَقَالُوا: «مَرْحَبًا بِكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، فَمَا جَاءَ بِكَ؟» قُلْتُ لَهُمْ: أَتَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ الْمُهَاجِرِينَ، وَالْأَنْصَارِ، وَمِنْ عِنْدِ ابْنِ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ وَصِهْرِهِ، وَعَلَيْهِمْ نُزِّلَ الْقُرْآنُ، فَهُمْ أَعْلَمُ بِتَأْوِيلِهِ مِنْكُمْ، وَلَيْسَ فِيكُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، لَأُبَلِّغَكُمْ مَا يَقُولُونَ، وَأُبَلِّغَهُمْ مَا تَقُولُونَ، فَانْتَحَى لِي نَفَرٌ مِنْهُمْ قُلْتُ: هَاتُوا مَا نَقِمْتُمْ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَابْنِ عَمِّهِ قَالُوا:

«ثَلَاثٌ» قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَ: أَمَّا إِحْدَاهُنَّ، فَإِنَّهُ حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي أَمْرِ اللهِ، وَقَالَ اللهُ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ۝٥٧﴾ [الأنعام: ٥٧] مَا شَأْنُ الرِّجَالِ وَالْحُكْمِ؟ قُلْتُ: هَذِهِ وَاحِدَةٌ، قالوا: وَأَمَّا الثَّانِيَةُ، فَإِنَّهُ قَاتَلَ، وَلَمْ يَسْبِ، وَلَمْ يَغْنَمْ، إِنْ كَانُوا كُفَّارًا لَقَدْ حَلَّ سِبَاهُمْ، وَلَئِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ مَا حَلَّ سِبَاهُمْ وَلَا قِتَالُهُمْ، قُلْتُ: هَذِهِ ثِنْتَانِ، فَمَا الثَّالِثَةُ؟ " وَذَكَرَ كَلِمَةً مَعْنَاهَا قَالُوا: مَحَى نَفْسَهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَهُوَ أَمِيرُ الْكَافِرِينَ " قُلْتُ: هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ غَيْرُ هَذَا؟ قَالُوا: «حَسْبُنَا هَذَا» قُلْتُ: لَهُمْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ قَرَأْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ كِتَابِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ مَا يَرُدُّ قَوْلَكُمْ أَتَرْجِعُونَ؟ قَالُوا: «نَعَمْ» قُلْتُ: أَمَّا قَوْلُكُمْ: «حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي أَمْرِ اللهِ، فَإِنِّي أَقْرَأُ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِ اللهِ أَنْ قَدْ صَيَّرَ اللهُ حُكْمَهُ إِلَى الرِّجَالِ فِي ثَمَنِ رُبْعِ دِرْهَمٍ، فَأَمَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يَحْكُمُوا فِيهِ» أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٩٥﴾ [المائدة: ٩٥]، وَكَانَ مِنْ حُكْمِ اللهِ أَنَّهُ صَيَّرَهُ إِلَى الرِّجَالِ يَحْكُمُونَ فِيهِ، وَلَوْ شَاءَ لحكم فِيهِ، فَجَازَ مِنْ حُكْمِ الرِّجَالِ، أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ أَحُكْمُ الرِّجَالِ فِي صَلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَحَقْنِ دِمَائِهِمْ أَفْضَلُ أَوْ فِي أَرْنَبٍ؟ قَالُوا: بَلَى، هَذَا أَفْضَلُ، وَفِي الْمَرْأَةِ وَزَوْجِهَا﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ۝٣٥﴾ [النساء: ٣٥]، فَنَشَدْتُكُمْ بِاللهِ حُكْمَ الرِّجَالِ فِي صَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ، وَحَقْنِ دِمَائِهِمْ أَفْضَلُ مِنْ حُكْمِهِمْ فِي بُضْعِ امْرَأَةٍ؟ خَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ " قَالُوا:

نَعَمْ، قُلْتُ: وَأَمَّا قَوْلُكُمْ قَاتَلَ وَلَمْ يَسْبِ، وَلَمْ يَغْنَمْ، أَفَتَسْبُونَ أُمَّكُمْ عَائِشَةَ، تَسْتَحِلُّونَ مِنْهَا مَا تَسْتَحِلُّونَ مِنْ غَيْرِهَا وَهِيَ أُمُّكُمْ؟ فَإِنْ قُلْتُمْ: إِنَّا نَسْتَحِلُّ مِنْهَا مَا نَسْتَحِلُّ مِنْ غَيْرِهَا فَقَدْ كَفَرْتُمْ، وَإِنْ قُلْتُمْ: لَيْسَتْ بِأُمِّنَا فَقَدْ كَفَرْتُمْ ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ۝٦﴾ [الأحزاب: ٦]، فَأَنْتُمْ بَيْنَ ضَلَالَتَيْنِ، فَأْتُوا مِنْهَا بِمَخْرَجٍ، أَفَخَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ، وَأَمَّا مَحْيُ نَفْسِهِ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَنَا آتِيكُمْ بِمَا تَرْضَوْنَ. إن نَبِيَّ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ صَالَحَ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ لِعَلِيٍّ: «اكْتُبْ يَا عَلِيُّ هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ» قَالُوا: لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ مَا قَاتَلْنَاكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «امْحُ يَا عَلِيُّ اللهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ، امْحُ يَا عَلِيُّ، وَاكْتُبْ هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ» وَاللهِ لَرَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ، وَقَدْ مَحَى نَفْسَهُ، وَلَمْ يَكُنْ مَحْوُهُ نَفْسَهُ ذَلِكَ مَحَاهُ مِنَ النُّبُوَّةِ، أَخْرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ " قَالُوا: «نَعَمْ، فَرَجَعَ مِنْهُمْ أَلْفَانِ، وَخَرَجَ سَائِرُهُمْ، فَقُتِلُوا عَلَى ضَلَالَتِهِمْ، فَقَتَلَهُمُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ»[1].

ومن ذلك أيضًا مجادلات الإمام أحمد لبعض المبتدعة، كما في مناظرته لهم في إثبات كلام الله تعالى:

قال الإمام أحمد: فقلنا: لِمَ أنكرتم ذلك؟ قالوا: إن الله لم يتكلم ولا يتكلم.

---

(١) **إسناده حسن:** أخرجه أحمد (٣١٨٧)، وعبد الرزاق (١٨٦٧٨)، والنسائي في الكبرى (٨٥٢٢)، وأبو عبيد في الأموال (٤٤٤)، وغيرهم من طريق عكرمة بن عمار عن أبي زميل عن ابن عباس به، وسماك صدوق، وباقي رجاله ثقات، وحسنه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

إنما كوَّن شيئًا فعبر عن الله، وخلق صوتًا فأسمع. وزعموا أن الكلام لا يكون إلا من جوف ولسان وشفتين.

قلنا: هل يجوز لمكون أو غير الله أن يقول: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢﴾ [طه: ١١، ١٢]؟! أو يقول: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ۝١٤﴾ [طه: ١٤] ، فمن زعم ذلك، فقد زعم أن غير الله ادعى الربوبية، كما زعم الجهم أن الله كون شيئًا، كان يقول ذلك المكون: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠]، وقد قال جل ثناؤه: ﴿وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ۝١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٤٣﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقال: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤]، فهذا منصوص القرآن.

فأما ما قالوا: إن الله لا يتكلم. فكيف يصنعون بحديث الأعمش، عن خيثمة، عن عدي بن حاتم الطائي: قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ما بينه وبينه ترجمان»[(١)]؟!

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب من نوقش الحساب عذب حديث (٦٥٣٩).

وأما قولهم: إن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم وشفتين ولسان. أليس الله قال للسموات والأرض: ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١﴾ [فصلت: ١١]؟! أتراها أنها قالت بجوف وفم وشفتين ولسان وأدوات؟!، وقال: ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ٧٩﴾ [الأنبياء: ٧٩] . أتراها سبحت بجوف وفم ولسان وشفتين؟!، والجوارح إذ شهدت على الكافر، فقالوا: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖۚ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢١﴾ [فصلت: ٢١]. أتراها أنها نطقت بجوف وفم ولسان؟!

ولكن الله أنطقها كيف شاء، وكذلك الله تكلم كيف شاء من غير أن يقول بجوف، ولا فم، ولا شفتين، ولا لسان.

قال الإمام أحمد رضي الله عنه: فلما خنقته الحجة قال: إن الله كلم موسى إلا أن كلامه غيره. فقلنا: وغيره مخلوق؟! قال: نعم. فقلنا: هذا مثل قولكم الأول، إلا أنكم تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرون.

وقلنا للجهمية: من القائل يوم القيامة: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ [المائدة: ١١٦]؟! أليس الله هو القائل؟!

قالوا: فيكوّنُ الله شيئًا، فيعبر عن الله كما كون شيئًا فعبر لموسى.

قلنا: فمن القائل: ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ٧﴾ [الأعراف: ٦، ٧]؟! أليس الله هو الذي

يسأل؟!

قالوا: هذا كله إنما يكَوَّن شيئًا فيعبر عن الله. قلنا: قد أعظمتم على الله الفرية، حين زعمتم أنه لا يتكلم، فشبهتموه بالأصنام التي تعبد من دون الله، لأن الأصنام لا تتكلم ولا تتحرك ولا تزول من مكان إلى مكان.

فلما ظهرت عليه الحجة قال: إن الله يتكلم، ولكن كلامه مخلوق.

قلنا: وكذلك بنو آدم كلامهم مخلوق فقد شبهتم الله بخلقه حين زعمتم أن كلامه مخلوق، ففي مذهبكم قد كان في وقت من الأوقات لا يتكلم حتى خلق التكلم، وكذلك بنو آدم كانوا لا يتكلمون حتى خلق الله لهم كلامًا، وقد جمعتم بين كفر وتشبيه، وتعالى الله عن هذه الصفة، بل نقول: إن الله لم يزل متكلمًا إذا شاء، ولا نقول: إنه كان لا يتكلم حتى خلق الكلام، ولا نقول: إنه قد كان لا يعلم حتى خلق علمًا فعلم، ولا نقول: إنه قد كان ولا قدرة له حتى خلق لنفسه القدرة[١].

فهذا الفعل من السلف يدل على أنه ليس كل الجدال مذمومًا.

❋ القسم الثاني: الجدال المذموم:

وهذا القسم هو الذي يقصده المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لذلك سماه خصومات لأنه يفضي إليها .

قال أبو الوليدِ الباجيُّ: (كُلُّ مَن ذَمَّ الجَدَلَ من السَّلَفِ إنَّما ذَمَّه على أحَدِ

(١) الجامع لعلوم الإمام أحمد- العقيدة – فصل: مناظرة الإمام للجهمية في إثبات الكلام (٣/ ٣٢٤)، وما بعدها.

وَجهَين:

إمَّا أن يَذُمَّ جَدَلَ مَن نَصَر باطِلًا ودعا إلى ضلالةٍ، أو جَدَلَ مَن لا عِلمَ له بذلك، فلا يحِلُّ أن يتعَرَّضَ له ولا يناظِرَ أهلَ البِدَعِ لأحَدِ أمرَينِ ممنوعَينِ، وربَّما اجتمعا له:

أحدُهما :أنَّه يُظهِرُ باطِلَهم على حَقِّه.

والثَّاني :أنَّه ربَّما وقعَت في نفسِه شُبهةٌ ليس عندَه من العِلمِ ما يَرُدُّها به، فتُضِلُّه[(١)].

والجدال المذموم هو الجدال الذي يكون غرضه تقرير الباطل بعد ظهور الحق، أوطلب المال والجاه.

وقد جاءت الكثير من النصوص من الكتاب والسنة والآثار التي حذرت من هذا النوع من الجدال ونهت عنه، ومن هذه النصوص:

قوله تعالى :﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝٣﴾ **[الحج:٣]**.

وقوله تعالى :﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝٨﴾ **[الحج: ٨]** .

وقوله سبحانه :﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِى ٱلۡبِلَٰدِ ۝٤﴾ **[غافر: ٤]** .

---

(١) سنن الصالحين وسنن العابدين لأبي الوليد الباجي (ص: ٤٨٤، ٤٨٥).بتصرف.

بل أجزل الله تعالى الثواب والعطاء لتاركه، فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»(١).

عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لا تمارِ أخاك؛ فإنَّ المِراءَ لا تُفهَمُ حِكمتُه، ولا تُؤمَنُ غائِلَتُه(٢).

وقال ابنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لن يصيبَ رَجُلٌ حقيقةَ الإيمانِ حتَّى يترُكَ المِراءَ، وهو يعلَمُ أنَّه صادِقٌ، ويَترُكَ الكَذِبَ في المُزاحةِ(٣).

وقال مالِكُ بنُ أنَسٍ: المِراءُ في العِلمِ يُقَسِّي القُلوبَ، ويُورِثُ الضَّغائِنَ(٤).

وقال الإمام الأوزاعي: إذا أراد الله بقوم شرًّا ألزمهم الجدل ومنعهم العمل(٥)؛ وذلك لأن المنشغل بالجدال والمراء غالبًا ينشغل عن العلم النافع وعن العمل الصالح، وأغلب من حاد عن الطريق الصحيح يكون منشغلًا عما ينفعه من العلم النافع، والعمل السديد الصالح، فإذا نظرت إلى من ينشغلون

(١) إسناده حسن: أخرجه أبو داود (٤٨٠٠)، والبيهقي في الآداب (٣٢٢)، وغيرهما من حديث أبي أمامة مرفوعًا، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) جامع الأصول لابن الأثير (٢/ ٧٥٣-١٢٦٢).

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في الزهد (٢١٣٤).

(٤) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦١/ ٢٠٥).

(٥) رواه الخطيب في اقتضاء العلم العمل (١٢٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٣٧٤)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٣٦٤).

بأخطاء أهل العلم مثلًا تجدهم أقل الناس علمًا وعملًا؛ لأنه انشغل بغير النافع، وقد يكون هذا عقابًا من الله تعالى حيث يشغله عن الأعمال التي تصلح حاله وتطهر قلبه؛ لأن العمل الصالح مطهرٌ للقلوب، فإذا طَهُر قلبه قد يهديه الله تعالى ويرجع عن هذا ويستبصر؛ فهذه هي بصيرة القلب، لكن عمى القلوب أو غشاوته يجعله يرى الخطأ صوابًا والصواب خطأ.

وكان من تلامذة ابن عباس من يعطيه علمًا كثيرًا، ومنهم من يكنز العلم عنه لأنه كان يماريه، قال أبو سلمة: لو رفقت بابن عباس لأفدت منه علماً كثيرًا[١]، وكان أبو سلمة ينازع ابن عباس في المسائل ويماريه.

بخلاف من لا يماري فإنه ينال كثيرًا من العلم، فلقد كان الإمام الشافعي يقول للربيع: لو استطعت أن ألقمك العلم لألقمتك[٢].

وقال محمد بن الحسين بن علي: الخصومة تمحق الدين، وتنبت الشحناء في صدور الرجال[٣]، أي تمحق بركة هذا الدين، فينشغل الإنسان عن الخير وعن الوصول للحق؛ لأن الدين هو الحق، فإذا انشغل الإنسان بالمراء والجدال فقلما يصل إلى الحق.

والمراء من مغبته أنه يقسي القلوب ويورث الضغائن، قال الشافعي: المراء

---

(١) **إسناده صحيح:** أخرجه الدارمي (٤٢٦)، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (٣٨٢)، وغيرهما من طرق عن ابن عيينة عن الزهري عن أبي سلمة به.

(٢) **إسناده صحيح:** أخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن (٦٤٦)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ١١٨) من طرق عن الربيع عن الشافعي به.

(٣) رواه قوام السنة الأصبهاني في الترغيب والترهيب (٩٨٢).

في الدين يقسي القلب، ويورث الضغائن[١].

المسألة الثالثة: صور الجدال المذموم:

أصل الجدال المذموم الجدل بغير علم، قال الله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦﴾ [آل عمران: ٦٦].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا إنكار على من يحاج فيما لا علم له به، فإنَّ اليهود والنصارى تَحَاجوا في إبراهيم بلا علم، ولو تحاجوا فيما بأيديهم منه علْم مما يتعلق بأديانهم التي شرعت لهم إلى حين بعثة محمد ﷺ لكان أولى بهم، وإنما تكلموا فيما لم يعلموا به، فأنكر الله عليهم ذلك، وأمرهم بردّ ما لا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة، الذي يعلم الأمور على حقائقها وجلياتها، ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[٢].

ويتفرع عن هذا الجدل بغير علم صور منها:

١ - الجدال في الله بغير علم:

قال الله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾[لقمان: ٢٠].

---

(١) **إسناده صحيح:** أخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٢٣٩)، وفي شعب الإيمان (٨١٢٨)، وصح مثله عن مالك كما رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٨٨٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٢ / ٤٩). ط العلمية.

إن أخطر أنواع الجدال على العباد وعلى الدين الجدال في الله تعالى بغير علم، كرد ما أثبته الله تعالى لنفسه من الصفات، سواء أكان ذلك بتأويل أو تشبيه أو تعطيل، وكذا وصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه بتجسيم أو تكييف أو نحوه .

ومنه نسبة ما ليس من دين الله تعالى إليه، كتحريم الحلال وتحليل الحرام، ومنه تحريم البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام.

٢- الجدال في القرآن:

ومن الجدال المذموم الجدال في القرآن بالطعن في آيات الله تعالى، بتتبع ما تشابه من آياته ابتغاء الفتنة، وضرب القرآن بعضه ببعض.

قال الله تعالى :﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٤﴾ [غافر: ٤].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله تعالى :﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [غافر:٤]، سجل سبحانه على المجادلين في آيات الله بالكفر، والمراد الجدال بالباطل، من الطعن فيها، والقصد إلى إدحاض الحق، وإطفاء نور الله تعالى، وقد دل على ذلك قوله تعالى :﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ٥﴾ [غافر: ٥].

فأما الجدال فيها لإيضاح ملتبسها، وحل مشكلها، ومقادحة أهل العلم في استنباط معانيها، ورد أهل الزيغ بها وعنها، فأعظم جهاد في سبيل الله(١).

٣- الجدال بالباطل لدحض الحق:

ومن الجدال المذموم، الجدل بالباطل لدحض الحق، قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥﴾ [غافر: ٥].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن الذين كفروا يجادلون بالباطل، أي يخاصمون الرسل بالباطل، كقولهم في الرسول: ساحر، شاعر، كاهن، وكقولهم: في القرآن: أساطير الأولين، سحر، شعر، كهانة، وكسؤالهم عن أصحاب الكهف، وذي القرنين، وسؤالهم عن الروح عنادًا وتعنتًا، ليبطلوا الحق بجدالهم وخصامهم بالباطل(٢).

٤- الجدل في الحق بعد ظهوره:

ومن الجدال المذموم، الجدل في الحق بعد ظهوره، دفعًا للحق وإعراضًا عنه، قال الله تعالى: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦﴾ [الأنفال: ٦].

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥ / ٢٩٢).
(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (٣ / ٣٠٦).

۞ المسألة الرابعة: آثار الجدال المذموم:

الجدال المذموم له عواقب وآثار وخيمة منها: أنه يورث العداوة والبغضاء والشقاق بين أفراد المجتمع.

ومنها: أنه قد يؤدِّي الجِدالُ الباطِلُ إلى تكفيرِ الآخَرينَ أو تفسيقِهم.

ومنها: أنه يدعو إلى التَّشَفِّي من الآخَرينَ.

ومنها: أنه يقودُ صاحِبَه إلى الكَذِبِ.

ومنها: أنه يؤدِّي إلى التَّطاوُلِ والتَّراشُقِ بالألسِنةِ.

ومنها: أنه يؤدِّي بالمجادِلِ إلى إنكارِ الحَقِّ ورَدِّه.

۞ المسألة الخامسة: حكم الجدال:

الجدال منه الواجب، ومنه المحرم، ومنه المباح:

فأما الواجب فهو الذي يراد به إثبات الحق وإبطال الباطل، وهو مشروع لمن كان من أهل العلم، فكم موقف تدعو الضرورة فيه إلى ذلك، ويحتاج المسلمون إليه، فهو من باب القيام لله بالحق.

وأما الجدال المحرم فهو الجدال المذموم، كالجدال بالباطل ليدحض به الحق، ومثاله صاحب بدعة يجادل عن بدعته، وكذلك من جادل بغير علم فجدله محظور، وهو به مذموم.

وأما الجدال الذي لا يراد به إثبات الحق وإبطال الباطل، ولا يراد به دحض الحق ولا نصر الباطل -وذلك كالذي يحصل بين الناس كثيرا في المجالس-، فهو من قسم المباح الذي يكون له الأحكام الخمسة، ومثل هذا الجدال ينهى

عنه في الحج، وأما في غيره فينظر ماذا يستفيد منه المرء[(١)].

۞ المسألة السادسة: آداب الجدال المحمود:

هناك جملة من الآداب ينبغي لمن أراد الجدال المحمود أن يتحلى بها منها:

١- النية الصادقة في نصرة الحق، والدعوة إلى دين الله تعالى، وترك الرياء والسمعة، أو طلب الجاه والرفعة.

٢- العلم الصحيح المستفاد من كتاب الله تعالى، ومن سنة رسوله ﷺ، وما كان عليه سلف هذه الأمة الصالح.

٣- رد الاختلاف إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٤- تقديم النقل ونصوصه على العقل وظنونه.

٥- التحلي بالأخلاق الإسلامية العالية أثناء الجدال، من القول المهذب، واحترام الآخرين، وعدم الطعن فيهم، أو لمزهم والاستهزاء بهم.

٦- أن تكون غايتك إظهار الحق، وإقناع الناس به، مع الابتعاد عن الباطل أو تلبيسه على الناس.

٧- تقديم الأهم فالأهم من الحجج والبينات، والأدلة المفحمة للخصم، بقصد الإقناع وإظهار وجه الصواب.

٨- مجانبة إطالة الكلام، وغرابة الألفاظ، أو خروجها عن صلب الموضوع.

---

(١) ينظر: سنن الصالحين وسنن العابدين لأبي الوليد الباجي (ص: ٤٨٦)، شرح صحيح البخاري لابن عثيمين (٥/ ٥٥٤).

٩- عدم الالتزام في أثناء المناظرة بضد الدعوى التي تحاول إثباتها، وإلا فشلت.

١٠- عدم التعارض بين الأدلة، أو التناقض في البينات والحجج.

١١- عدم الطعن في أدلة الخصم إلا ضمن الأمور المبنية على المنهج الصحيح.

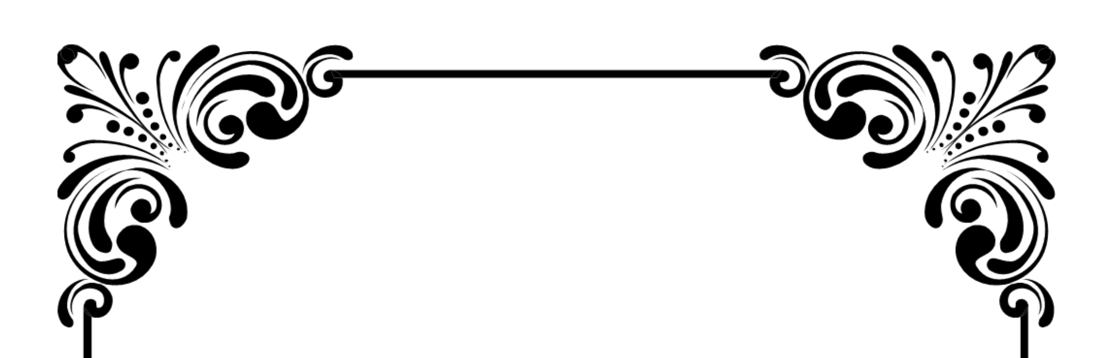
١٢- إعلان التسليم بالقضايا المتفق عليها، وقبول نتائج المناظرة.

١٣-الامتناع عن المجادلة إذا كانت تؤدي إلى فتنة وفساد، أو ضرر يلحق بالدعوة.

١٤- أهمية مراعاة الظروف المحيطة بالمناظرة؛ من حيث الأشخاص، والموضوع، والزمان، والمكان[١].

---

(١) ينظر: وسائل الدعوة لعبد الرحيم المغذوي (٩٨، ٩٩).بتصرف.



للاستماع للشرح المختصر للأصول السابقة

استخدم الرمز الضوئي:

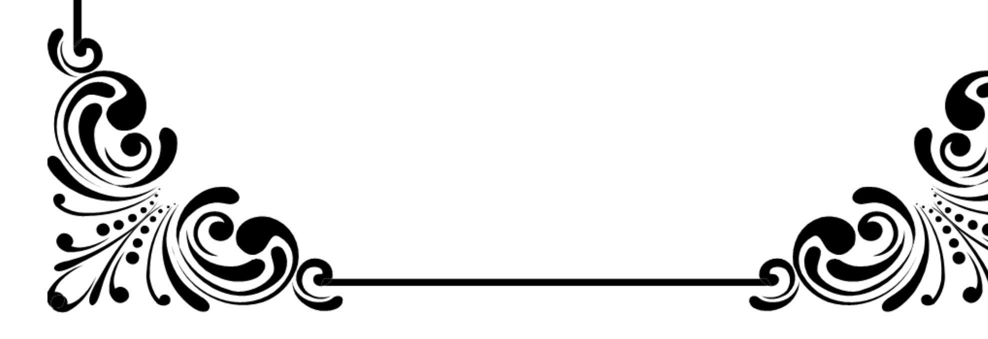
الأصل الأول: التمسك بما كان عيه أصحاب الرسول ﷺ.

الأصل الثاني: ترك البدع.

الأصل الثالث: ترك الخصومات والمراء والجدال.

امسح الرمز الضوئي





قوله:"وَالْجُلُوسِ مَعَ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ":

والمعنى: أن ترك الجلوس مع أصحاب البدع والأهواء من أصول السنة؛ لأن قلب ابن آدم ضعيف ومتقلب، فالإنسان لا بد أن يحافظ على قلبه من الشهوات والشبهات؛ لأن عامة الذنوب والمعاصي من الشهوات أو الشبهات، والنجاة من الشهوات تكون بالصبر عن المعاصي، وعلاج الشبهات يكون بالعلم.

وإذا جلس الإنسان مع أهل الأهواء فكأنه يعطيهم عقله ويسلطهم عليه يتلاعبون به، والشبه براقة، فيجملون عباراتهم ليفتنوا بها العامة، ففي باب الأسماء والصفات مثلًا يقولون: إن الله ليس له سمع ولا بصر، ولو قلنا بأن الله له سمع وبصر وغير ذلك لكان تشبيهًا له بالمخلوق، ولا بد من تنزيه الله تعالى، فهذه شبهة وفتنة للعامة، فإن قيل لهم: لكن كلام السلف على خلاف ذلك، فيرد المبتدعة بشبهة جديدة فيقولون: كلام السلف أسلم، وكلام الخلف أعلم وأحكم، وغير ذلك، وكل ذلك من الباطل والضلال.

وتجميل الكلام وتحسين الشبه لا يجعلها تنطلي على أهل الشرع والدين، وأصحاب القلوب السليمة، والأفهام الصحيحة، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: اقْتَتَلَتِ امْرَأَتَانِ مِنْ هُذَيْلٍ، فَرَمَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى بِحَجَرٍ، فَقَتَلَتْهَا وَمَا فِي بَطْنِهَا، فَاخْتَصَمُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّ دِيَةَ جَنِينِهَا غُرَّةٌ عَبْدٌ أَوْ وَلِيدَةٌ، وَقَضَى بِدِيَةِ الْمَرْأَةِ عَلَى عَاقِلَتِهَا، وَوَرَّثَهَا وَلَدَهَا وَمَنْ مَعَهُمْ، فَقَالَ حَمَلُ بْنُ النَّابِغَةِ الْهُذَلِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ أَغْرَمُ مَنْ لَا شَرِبَ وَلَا أَكَلَ، وَلَا نَطَقَ وَلَا اسْتَهَلَّ، فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الْكُهَّانِ»، مِنْ

أَجْلِ سَجْعِهِ الَّذِي سَجَعَ[(١)]، أي رد النصوص بهذا الكلام المسجوع الذي في ظاهره حسن إنما هو من فعل الكهان.

إذن الشبه براقة خادعة للقلوب، فلا بد للإنسان أن يحافظ على قلبه، ولا يعرض نفسه لها، وكم من مُعَافى لما جلس مع أهل الفتن والبدع اتبعهم ونكص على عقبيه، ولذا نهى النبي ﷺ عن لقاء الدجال من أجل ذلك[(٢)]، فالإنسان قد يذهب إليه وهو يظن أنه لا يفتن فيفتن؛ لأنه خالف أمر الله ورسوله ﷺ، قال سبحانه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك: ١٤]، فَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ٧﴾ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ»[(٣)]، أي احذروا الذي يتبع المتشابه، ويترك المحكم.

بل كان أئمة السلف يخافون على أنفسهم من ذلك، فابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ

---

(١) رواه البخاري في كتاب الطب، باب الكهانة حديث (٥٧٥٨)، ومسلم في كتاب القسامة، باب دية الجنين ووجوب الدية في قتل الخطأ حديث (١٦٨١).

(٢) حديث نهي النبي عن لقاء الدجال وإتيانه، أخرجه أحمد (١٩٨٥٧)، وأبو داود (٤٣١٩)، وابن أبي شيبة (٣٧٤٥٩)، وغيرهم من حديث عمران بن حصين، وسنده صحيح، وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب منه آيات محكمات حديث (٤٥٤٧)، ومسلم في كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن حديث (٢٦٦٥).

كره أن يسمع آية من صاحب بدعة، فَعَنْ أَيُّوبَ قَالَ: " دَخَلَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ يَوْمًا رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَقْرَأُ عَلَيْكَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ لَا أَزِيدُ عَلَى أَنْ أَقْرَأَهَا ثُمَّ أَخْرُجَ، فَوَضَعَ إِصْبَعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أُحَرِّجُ عَلَيْكَ إِنْ كُنْتَ مُسْلِمًا لَمَا خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِي، قَالَ: فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ ، إِنِّي لَا أَزِيدُ عَلَى أَنْ أَقْرَأَ ثُمَّ أَخْرُجَ، قَالَ: فَقَامَ بِإِزَارِهِ يَشُدُّهُ عَلَيْهِ، وَتَهَيَّأَ لِلْقِيَامِ، فَأَقْبَلْنَا عَلَى الرَّجُلِ فَقُلْنَا: قَدْ حَرَّجَ عَلَيْكَ إِلَّا خَرَجْتَ، أَفَيَحِلُّ لَكَ أَنْ تُخْرِجَ رَجُلًا مِنْ بَيْتِهِ، قَالَ: فَخَرَجَ، فَقُلْنَا: يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا عَلَيْكَ لَوْ قَرَأَ آيَةً ثُمَّ خَرَجَ؟ قَالَ: إِنِّي وَاللهِ لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّ قَلْبِي يَثْبُتُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مَا بَالَيْتُ أَنْ يَقْرَأَ، وَلَكِنِّي خِفْتُ أَنْ يُلْقِيَ فِي قَلْبِي شَيْئًا أَجْهَدُ أَنْ أُخْرِجَهُ مِنْ قَلْبِي فَلَا أَسْتَطِيعُ "(١).

بل يمنع بعضهم من مجالسة أهل البدع حتى لو كان للتعلم أو السؤال، فعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: قلت لأبي: رجل وقعت له مسألة، وفي البلدة رجل من أهل الحديث فيه ضعف، وفقيه من أهل الرأي، أيهما يسأل؟ قال: لا يسأل أهل الرأي، ضعيف الحديث خير من قوي الرأي(٢).

وقال عمرو بن قيس: إن الشاب لينشأ فإن آثر أن يجالس أهل العلم كاد أن يسلم، وإن مال إلى غيرهم كاد أن يعطب(٣).

وكان ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الذين يحتاطون في هذا الباب، مع فضله وسعة

---

(١) رواه الدارمي في المسند (٤٢٠)، وابن وضاح في البدع (١٣٩)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٤٤٥) من طرق عن ابن سيرين به.
(٢) رواه الهروي في ذم الكلام وأهله (٣٢٦).
(٣) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٥١٨).

علمه، فَعَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ سِيرِينَ: إِنَّ فُلَانًا يُرِيدُ أَنْ يَأْتِيَكَ، وَلَا يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ قَالَ: قُلْ لِفُلَانٍ: لَا مَا يَأْتِينِي، فَإِنَّ قَلْبَ ابْنِ آدَمَ ضَعِيفٌ، وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ أَسْمَعَ مِنْهُ كَلِمَةً، فَلَا يَرْجِعُ قَلْبِي إِلَى مَا كَانَ[١].

قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولقد رأيت جماعة من الناس كانوا يلعنون أهل الأهواء ويسبونهم، فجالسوهم على سبيل الإنكار والرد عليهم، فما زالت بهم المباسطة، وخفي المكر، ودقيق الكفر؛ حتى صبوا إليهم[٢].

وقال ابن بطة: في رأيي أن أهل الأهواء والبدع أشد من الدجال، وكلامهم ألصق من الجرب، وأحرق للقلوب من اللهب[٣].

فبعض الناس ربما ينكر عليك: لماذا لا تجلس مع هؤلاء وتكلمهم وتدعوهم، وهذا فيه مخاطرة على النفس، فالإنسان حتى إن جلس معهم لتعليمهم، أو حتى للرد عليهم، فإنه يحتاط في هذا الباب احتياطًا شديدًا، ولا يجلس معهم إلا للضرورة.

قال الفضيل بن عياض: وصاحب البدعة لا يرفع الله له عملًا وإن كثر[٤].

---

(١) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٤٤٦)، والمخرمي في أحاديثه (ص ٢٣٨).
(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٤٦٩) ط: دار الراية بالرياض.
(٣) الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٤٦٩) ط: دار الراية بالرياض.
(٤) الإبانة الصغرى لابن بطة (ص ١٧٠).

* **تنبيه:**

العبرة في باب الاعتقاد هو صحة العقيدة وسلامتها، فلا يخدع المرء بعالم له باع في الفقه مثلا أو التفسير ونحوه، لكنه يقول في العقائد بقول أهل البدع، أو عابد متخشع كثير العبادات، وفي العقائد يقول بقول أهل البدع، ولا جرم فإن الهداية بيد الله تعالى، والله وحده هو الذي يعلم القلوب، ويعلم من يستحق التوفيق والهداية ومن لا.

قال الإمام أحمد لما سئل عن بعض أهل البدع: لا يغرك خشوعه ولينه، ولا تغتروا بنكس رأسه، فإنه رجل سوء، ذاك لا يعرفه إلا من خبره[١].

وجاء ابن عيينة إلى رجل فتكلم في مسألة خلق القرآن، فزبره وأشار عليه بالعكاز وانتهره، فقيل له: إنه رجل عابد وناسك. قال: ما أراه إلا شيطانًا[٢].

فالعبادة والنسك لم تنفعه حين تكلم بكلام أهل البدع من خلق القرآن ونحوه.

إذن حتى من يقع في البدع ممن له باع في العلم فلابد أنه حاد عن طريق العلم في هذا، والعلم قد لا ينفع صاحبه، فعن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها

---

(١) ذكره ابن مفلح في المقصد الأرشد (٢/ ٢٢٣)، وابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (١/ ٢٣٤).

(٢) إسناده صحيح: رواه العقيلي في الضعفاء الكبير (٦/ ٢١) في ترجمة منصور بن عمار وهو الرجل الذي انتهره ابن عيينة، وضعف ابن عيينة منصورًا هذا واتهمه في رأيه، وكذلك ضعفه العقيلي، فقال: لا يقيم الحديث، وكان فيه تجهم.

نقية، قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»(١)، فقد قسم النبي ﷺ الأرض إلى ثلاثة أقسام: الأرض النقية، والأجادب، والقيعان، والأجادب هي التي تمسك الماء فينتفع بها الناس، لكن لا تنتفع هي، فالإنسان قد يكون جسرًا للناس إلى الجنة، ويقذف به في النار - نسأل الله السلامة والعافية- .

❊

(١) رواه البخاري في كتاب العلم، باب فضل من علم وعلَّم، حديث (٧٩)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم حديث (٢٢٨٢).

الأصل الرابع:
الاعتصام بالسنة، ومنهج التعامل معها

قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَالسُّنَّةُ عِنْدَنَا آثَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ، وَهِيَ دَلَائِلُ الْقُرْآنِ، وَلَيْسَ فِي السُّنَّةِ قِيَاسٌ، وَلَا تُضْرَبُ لَهَا الْأَمْثَالُ، وَلَا تُدْرَكُ بِالْعُقُولِ وَلَا الْأَهْوَاءِ، إِنَّمَا هُوَ الِاتِّبَاعُ وَتَرْكُ الْهَوَى.

قوله: "وَالسُّنَّةُ عِنْدَنَا آثَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ":

السنة هي الإسلام، والإسلام هو السنة؛ لأن المراد بالسنة طريقة النبي ﷺ، قال بشر بن الحارث: الإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام[(١)]، والمعنى أن الإسلام هو العمل بالسنة، وليس السنة هنا هي الاصطلاحية أي المستحب، ولكن هي كل ما ورد عن رسول الله ﷺ.

قال الفضيل: ما رأيتُ رجلًا من أهل السنة إلا وكأنني رأيتُ رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ؛ لأنه تابع لآثارهم متخلق بأخلاقهم، وإذا رأيتُ رجلًا

(١) ذكره البربهاري في شرح السنة (ص ١٣٣)، وابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (٢/ ٤١).

من أهل البدع كأنني رأيتُ رجلًا من المنافقين؛ لأن النفاق يكثر في البدع[(١)].

وكان ابن عون رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند موته يقول: السنة السنة وإياكم والبدع. حتى مات[(٢)].

والمراد بآثار النبي ﷺ آثاره في العقيدة والفقه، من الأحكام العلمية والعملية.

قوله: "وَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ، وَهِيَ دَلَائِلُ الْقُرْآنِ":

وهذا أيضًا من أصول أهل السنة: أن السنة مع القرآن مفسرة له.

۞ مسألة: أحوال السنة مع القرآن:

السنة مع القرآن لها أحوال ثلاثة:

الأولى: إما أنها موافقة للقرآن ومؤكدة لما فيه، كالقصاص ونحوه، قال تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٧٩﴾ [البقرة: ١٧٩]، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»[(٣)].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) رواه البخاري في كتاب الديات، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، =

الثانية: مبينة للقرآن، وهذا أغلب السنة أنها تبين القرآن فتخصص عامه، وتقيد مطلقه، وتبين مجمله، كالأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة في القرآن بينت صفتها ومقاديرها في السنة، وغير ذلك من البيان.

الثالثة: أن تأتي السنة بأحكام ليست في القرآن، كالنهي عن أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ، وَعَنْ كُلِّ ذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ»(١).

قوله: "وَلَيْسَ فِي السُّنَّةِ قِيَاسٌ، وَلَا تُضْرَبُ لَهَا الْأَمْثَالُ":

والمراد بقوله "وليس في السنة قياس" أنه لا يقاس مع السنة قياس يخالف السنة، ويخرج حكما مخالفا لها، والمقصود مطلق إعمال العقل وضرب الأمثال العقلية التي تصادم النصوص ولا يشهد لاعتبارها النصوص الشرعية، وهذا هو الموسوم بالقياس الفاسد، فالمراد بالقياس الفاسد هو الذي يعارض به النصوص مثل قياس إبليس، فهو أول من قاس القياس الفاسد، قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف:١٢]، فإبليس كان عنده نص وهو: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة:٣٤]، فقام بالقياس الفاسد وهو: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف:١٢]،

= حديث (٦٨٧٨)، ومسلم في كتاب القسامة، باب ما يباح به دم المسلم، حديث (١٦٧٦).

(١) رواه مسلم في كتاب الإمارة، بَابُ تَحْرِيمِ أَكْلِ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ، وَكُلِّ ذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ حديث (١٩٣٤).

ولهذا قال بعض السلف: ما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس.

ومثل قياس المشركين؛ حيث قالوا: إن البيع مثل الربا، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ [البقرة:٢٧٥]، وهذا القياس فاسد مقابل للنص، فالنص هو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ [البقرة: ٢٧٨].

أما أن تُرد السنة لخاطر عقلي ومثل ذهني وَرَدَ على نفس الراد فَرَدَّ لأجله السنة، فهذا مخالف لما كان عليه السلف لذلك قال بعدها **"ولا تضرب لها الأمثال"**، كما أُثر ذلك عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الوُضُوءُ مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ، وَلَوْ مِنْ ثَوْرِ أَقِطٍ»، قَالَ: فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَنَتَوَضَّأُ مِنَ الدُّهْنِ؟ أَنَتَوَضَّأُ مِنَ الحَمِيمِ؟ قَالَ: فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «يَا ابْنَ أَخِي، إِذَا سَمِعْتَ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَا تَضْرِبْ لَهُ مَثَلًا»(١).

وعلى ما سبق: فإن أمر الله وأمر رسوله يتلقى بالتصديق والقبول والامتثال، ولا تتبع فيه الأهواء، ولا تضرب له الأمثال.

---

(١) إسناده حسن: رواه الترمذي (٧٩)، وابن ماجه (٢٢)، وعبد الرزاق (٦٧٢)، وغيرهم من طرق عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وأصله في مسلم حديث (٣٥٢).

۞ مسألة: هل يصح الاستدلال بالقياس في مسائل الإعتقاد ؟[١]

مسائل العقيدة متنوعة في قبول الاستدلال عليها بالقياس، فبعضها يصح، وبعضها لا يصح فالقياس أنواع، وترجع أصولها إلى نوعين:

✳ النوع الأول: قياس الطرد.

ويعرف بأنه: "إلحاق أمر بأمر في الحكم لمعنى جامع بينهما".

والأمر الجامع: إما أن يكون على جهة التساوي فيكون من قبيل (قياس التمثيل) بمعنى أن اتصاف المقيس بالمعنى مساويا لاتصاف المقاس عليه أو يقاربه، وإما أن يكون على جهة التفاضل في المقيس، فيكون من قبيل (قياس الأولى) بمعنى أن اتصاف المقيس بالمعنى أولى من اتصاف المقاس عليه.

ويدخل في هذا القياس "قياس الشمول" وهو مصطلح منطقي، وحقيقته: إلحاق أمر جزئي بأمر كلي لمعنى جامع بينهما.

والاستدلال بقياس الطرد في العقيدة يختلف بإختلاف مسائل العقيدة، فمسائل العقيدة أنواع، وأصول أقسامها فيما يتعلق بالقياس ثلاثة:

القسم الأول: الإلهيات: ويُقصد بها: المسائل المتعلقة بوجود الله وكماله وصفاته وأسمائه، وهذا القسم من العقائد لا يصح أن يُستعمل فيه قياس التمثيل، والشمول، ويصح فيه استعمال قياس الأولى.

والدليل على ذلك: أن الله لا يصح أن يكون مماثلاً لغيره، ولا مساويًا في

---

(١) هذه المسألة مستفادة بتصرف من كتاب التأسيس العقدي للدكتور سلطان العميري (٣١٧: ٢٩٧).

الصفات أو في الأفعال، فالله أكمل من غيره في كل صفات الكمال ومنزه عن النقص؛ لهذا صح أن يُستعمل قياس الأولى دون قياس التمثيل، وهذا الذي يدل عليه مجموع كلام أئمة السلف، فقد منعوا استعمال القياس في حقه.

القسم الثاني: الغيبيات: والمراد بها الأخبار التي أخبر الله بها عن الأمور الماضية أو الأمور المستقبلية، كعالم الجن والملائكة، ومسائل اليوم الآخر، فهذا القسم لا يصح أن يدخل فيه أي نوع من أنواع القياس.

القسم الثالث: الأمور التشريعية: والمراد بها: المسائل العقدية التي فيها تكليف بالعمل فعلًا أو تركًا، ويدخل في هذا النوع مسائل توحيد العبادة، والشرك، كالاستغاثة والذبح والتوسل وغيرها، وهذا لا يختلف عن سائر الأمور التكليفية الأخرى التي يتعلق بها الأمر والنهي، فيصح أن يدخل فيها القياس بشروطه وضوابطه في أصول الفقه.

✳ النوع الثاني من أنواع القياس: قياس العكس:

وعُرف بأنه: "إثبات نقيض حكم الشيء في غيره؛ لافتراقهما في علة الحكم"، فهذا قياس مكون من أصل وفرع وعلة ونقيضها.

ومن الأمثلة العقدية على هذا القياس:

المثال الأول: قوله تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء: ٢٢]، ووجه القياس في الآية إذا كان وجود الآلهة المتعددة يفسد الكون، فوجود الإله الواحد يصلحه ولا يفسده.

فالأصل: وجود آلهة في الكون، والعلة: فساد الكون، والفرع: ضرورة وجود الإله الواحد، وتعلق به نقيض علة الأصل، والحكم: الإصلاح .

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٧٦﴾[النحل: ٧٦]، وبيان وجه القياس: أنه إذا كان الله قادرًا على كل شيء، فهو المستحق للعبادة، فمن كان عاجزًا غير قادر فهو لا يستحق العبادة، فالأصل: أن الله مستحق للعبادة، والعلة: أنه قادر على كل شيء ، والفرع: أن الأصنام غير مستحقة للعبادة، والحكم: أنه لا يصح أن تُساوَى بالله.

المثال الثالث: ما استدل به الشافعي على إثبات رؤية المؤمنين لله يوم القيامة بالآيات التي فيها أن الكفار لا يرون.

فظهر بهذا البناء والتأصيل أن مسائل العقيدة ليس لها حكم واحد في استعمال القياس، وإنما هي على أنواع مختلفة، فبعضها لا يدخل فيه إلا قياس الأولى، وهي المسائل العقدية المتعلقة بالوجود الإلهي، وبعضها لا يدخل فيه أي نوع من القياس وهي المسائل العقدية الخبرية، وبعضها يدخل فيها قياس التمثيل وقياس الأولى وهي المسائل العقدية العملية معلومة المعنى.

وبهذا التقرير يفهم أن مقالات السلف كالإمام أحمد وغيره التى أطلقوا فيها أن السنة لا قياس فيها أنهم لا يقصدون منع القياس مطلقا، إنما يقصدون نوعا مخصصا من القياس، وهو القياس العقلى المجرد الذي تعارض به النصوص، وأما القياس المقيد بالضوابط الشرعية المعتبرة فهو ليس مقصودا لهم.

قوله: "وَلَا تُدْرَكُ بِالْعُقُولِ وَلَا الْأَهْوَاءِ، إِنَّمَا هُوَ الِاتِّبَاعُ وَتَرْكُ الْهَوَى":

والمعنى أن الأحكام الشرعية لا تدرك بالعقول ولا الأهواء، أي العقول التي تميل إلى الأهواء ونحوها، فالسنة إذا تعارضت مع العقل قدمت السنة قطعًا، وإن توافق العقل مع النقل قدم النقل أيضًا في البيان وأصبح العقل تابعًا؛ لذلك قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما جاء عن النبي ﷺ كله حق يصدق بعضه بعضًا، وهو موافق لفطرة الخلائق، وما جعل فيهم من العقول الصريحة والقصود الصحيحة لا يخالف العقل الصريح، ولا القصد الصحيح، ولا الفطرة المستقيمة، ولا النقل الصحيح الثابت عن رسول الله ﷺ، وإنما يظن تعارضها من صدَّق بباطل من النقول، أو فهم منه ما لم يدل عليه[١].

فالعقول الصحيحة الصريحة تدرك بها النصوص، وتؤيد النصوص، إذن فالواجب نحو نصوص الشريعة - كتابا وسنة - التصديق والتسليم والاتباع، وترك ما يهواه الإنسان، ويميل إليه وما يوافق عقله وهواه، ومما يبتدع في دين الله. لذلك تجد الإمام أحمد سيكرر هذا المعنى في مواضع عدة من هذه رسالة.

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ٥٨٠)، ط: مجمع الملك فهد.



للاستماع للشرح المختصر للأصول السابقة

استخدم الرمز الضوئي:

تابع الأصل الثالث: ترك الجلوس مع أهل الأهواء.

الأصل الرابع: التمسك بالسنة وطرق التعامل معها.

امسح الرمز الضوئي









الأصل الخامس:
الإيمان بالقدر

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَمِنَ السُّنَّةِ اَللَّازِمَةِ اَلَّتِي مَنْ تَرَكَ مِنْهَا خَصْلَةً - لَمْ يَقْبَلْهَا وَيُؤْمِنْ بِهَا - لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِهَا الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْأَحَادِيثِ فِيهِ، وَالْإِيمَانُ بِهَا، لَا يُقَالُ لِمَ وَلَا كَيْفَ، إِنَّمَا هُوَ التَّصْدِيقُ وَالْإِيمَانُ بِهَا، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ تَفْسِيرَ الْحَدِيثِ وَيَبْلُغْهُ عَقْلُهُ فَقَدْ كُفِيَ ذَلِكَ وَأُحْكِمَ لَهُ، فَعَلَيْهِ الْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّسْلِيمُ لَهُ، مِثْلُ حَدِيثِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ وَمِثْلُ مَا كَانَ مِثْلَهُ فِي الْقَدَرِ، وَمِثْلُ أَحَادِيثِ الرُّؤْيَةِ كُلِّهَا، وَإِنْ نَأَتْ عَنِ الْأَسْمَاعِ وَاسْتَوْحَشَ مِنْهَا الْمُسْتَمِعُ، وَإِنَّمَا عَلَيْهِ الْإِيمَانُ بِهَا، وَأَنْ لَا يَرُدَّ مِنْهَا حَرْفًا وَاحِدًا، وَغَيْرَهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمَأْثُورَاتِ عَنِ الثِّقَاتِ، وَأَنْ لَا يُخَاصِمَ أَحَدًا وَلَا يُنَاظِرَهُ، وَلَا يَتَعَلَّمَ الْجِدَالَ.

قوله: "وَمِنَ السُّنَّةِ اللَّازِمَةِ الَّتِي مَنْ تَرَكَ مِنْهَا خَصْلَةً لَمْ يَقْبَلْهَا وَيُؤْمِنْ بِهَا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِهَا":

سيذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ طريقة النبي ﷺ وأصحابه والتابعين في العقائد، فإن الأصول السابقة عامة سواء كانت للعقيدة أو لغيرها، وهذا من فقه الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه ابتدأ بهذه الأصول التى تشكل بمجموعها الأصول المنهجية لأهل السنة والجماعة في الاستدلال ومصادر التلقي، والتى ستبنى عليها بعد

ذلك أصول الاعتقاد، ويبين رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقدمة مهمة، وهي أن من لم يقبل شيئًا من هذه الخصال والأحكام والعقائد، فإنه ليس على مذهب أهل السنة فيها، وليس من أهلها، وهذا لبيان الاهتمام بما سيأتي، والحذر من رد شيء منها.

قوله: "الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْأَحَادِيثِ فِيهِ، وَالْإِيمَانُ بِهَا، لَا يُقَالُ لِـمَ وَلَا كَيْفَ، إِنَّمَا هُوَ اَلتَّصْدِيقُ وَالْإِيمَانُ بِهَا":

هذا بيان للكلام في القدر، بدأ بذكر القدر في أول مسائل العقيدة، وليس هذا معهودًا عند كثير من العلماء، لكن ترتيب المسائل عند العلماء قد يكون لأسباب، فأحيانًا تكون هذه المسألة هي المثارة زمن المصنف، أو هي المسألة التي تحتاج إلى كثير تأصيل وبيان، وربما يرى أنه هو من أهم أركان الإيمان الذي يحتاج إلى العناية والبحث أولًا، فلذلك لما سئل النبي ﷺ في حديث جبريل عن الإيمان قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره»[(١)]، فأعاد هنا: "وأن تؤمن"، عند القدر فقط مع أن الأركان ستة؛ وذلك لسبب لغوي وهو أن طول الحديث قد يُنسِي العامل المتسلط، وهو كلمة: أن تؤمن، فيعاد مرة ثانية، وسبب آخر شرعي وهو أهمية الإيمان بالقدر، وكذلك يشير إلى أن كثيرًا من أخطاء الناس سيكون في الإيمان بالقدر.

ويدل على أهمية مسألة القدر قوله ﷺ: "خيره وشره"، مع دلالة قوله: أن تؤمن بالقدر على ذلك، لكن التفصيل بعد الإجمال، أو الخاص بعد العام؛ لبيان

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي حديث (٥٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان حديث (٩).

أهمية مسألة القدر.

والحديث عن القدر ينتظم في مسائل:

۞ المسألة الأولى: القدر هو الركن السادس من أركان الإيمان:

وقد ورد هذا في حديث جبريل عليه السلام، فَعَن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»(١)، و قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر: ٤٩].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي حديث (٥٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان حديث (٩).

۞ المسألة الثانية: اختلف العلماء في تعريف الإيمان بالقدر:

وجل التعريفات تدور حول معنى واحد ألا وهو ذكر اشتماله على مراتب القدر، فقيل في تعريفه بأنه: تقدير الله تعالى للأشياء، وعلمه أنها ستقع في أوقات معلومة، وكتابته سبحانه لذلك، ومشيئته لها، ووقوعها على حسب ما قدره الله، وثمة تعريفات أخرى نحوًا من هذا.

۞ المسألة الثالثة: مراتب القدر: وهي أربع مراتب:

١- العلم، فالله تعالى أحاط بكل شيء علمًا، قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة: ٢٩]، وقال: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

٢- الكتابة، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام: ٣٨]، هذا على اعتبار أن هذا الكتاب المراد به اللوح المحفوظ، وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢]، قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ

شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»[(١)]، وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»[(٢)].

٣- **المشيئة،** فكل ما يجري في الكون هو بمشيئة الله تعالى؛ لذا قال سبحانه: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠﴾ [الإنسان:٣٠]، حتى الهداية والضلال، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»[(٣)].

٤- **الخلق،** وهو الإيمان بأن كل ما في الكون هو من خلق الله تعالى؛ لذا قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ۝١٦﴾ [الزمر: ٦٢]: أي أن الله تعالى منفرد بخلق المخلوقات.

---

(١) **صحيح بمجموع طرقه:** أخرجه أحمد (٢٢٧٠٥)، وأبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥)، وابن أبي شيبة (٣٥٩٢٢)، وغيرهم من طرق عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه به، وكل طريق عن عبادة لا يخلو من مقال، ولكن بمجموعها يصحح الحديث، وقد صححه الترمذي، والألباني رحمهما الله.

(٢) رواه مسلم في كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام حديث (٢٦٥٣).

(٣) رواه مسلم في كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء حديث (٢٦٥٤).

۞ المسألة الرابعة: النهي عن الخوض في القدر:

وهذا ما أشار إليه المصنف بقوله: لا يقال لم ولا كيف، أي الخوض في أفعال الله تعالى بالتعليل، والبحث عن غير مأذون بالبحث فيه، لكن يجوز للإنسان أن يتكلم في القدر إذا كان لبيان الأدلة والنصوص، وتأسيس مذهب أهل السنة، والرد على القدرية، فكل هذا أمر واجب، أما الخوض في القدر بالتعليل، ولم فعل كذا، وكيف فعل كذا، ونحوه، مما لم يبينه الله تعالى لنا، ولم نُكلَّف بالبحث عنه، بل نهينا عن ذلك، فهذا هو الممنوع؛ ولذلك سمي الخوض في القدر.

وقد جعل العلماء البحث في أسرار القدر والخوض فيه سببًا للضلال، لأنه خوض بغير دليل ولا بينة ولا إذن من الشرع بذلك، بل على العكس من ذلك ورد النهي عن ذلك، ولا بد للباحث في علوم الشريعة أن يعلم أن العقل كالعين لا ترى إلا بنور، والنور الذي يضيء للعقل هنا هو نور الشرع، فإذا أراد أن يفكر أو يتكلم في الشرع فلا يتكلم ويفكر إلا فيما أضاء له الشرع فيه، وإلا فسيكون سائرًا في الظلام، لذلك يتخبط ويضل عياذًا بالله تعالى.

۞ المسألة الخامسة: هل في القدر شر أم كله خير؟

هذه المسألة لها اتجاهان:

الاتجاه الأول: هو بالنظر إلى فعل الله تعالى، ففعل الله كله خير ليس فيه شر، فالخير كله بيديه والشر ليس إليه، فالشر لا يضاف إلى الله لا اسمًا ولا صفةً ولا فعلًا، فكل أسمائه وصفاته وأفعاله خير، فَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي،

وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»(١).

الاتجاه الثاني: بالنسبة للمخلوق فقد يكون القدر خيرًا وقد يكون شرًّا، فالمرض بالنسبة للمخلوق شر؛ لذلك كان ﷺ يسأل الله العافية، فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ، حِينَ يُمْسِي، وَحِينَ يُصْبِحُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَتِي»، وَقَالَ عُثْمَانُ: «عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»(٢)، والهزيمة شر، قال تعالى ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عمران: ١٦٥]، فسماها الله تعالى مصيبة مما يدل على أنها شر لهم، لكنها بالنسبة لفعل الله يكفر بها السيئات، ويرفع الدرجات، ويمحص بها المؤمنين ويعلمهم، وقد تكون عقابًا

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه حديث (٧٧١).

(٢) **إسناده صحيح**: رواه أبو داود (٥٠٧٤)، والنسائي في الكبرى (١٠٣٢٥)، وغيرهما من حديث ابن عمر مرفوعًا، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

للظالم على فعله؛ فيكون عبرة لغيره؛ فيكون خيرًا.

فلما قال: الإيمان بالقدر خيره وشره علِم أن هذا يرجع للمخلوق، ومن المعلوم أيضًا أن الشر في أفعال الله تعالى لا يضاف إليه مفردًا، بل يكون ضمن العمومات، كقوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۝٧٨﴾ [النساء: ٧٨]، وقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ۝١٦﴾ [الرعد: ١٦] سواء كان خيرًا أو شرًّا، وقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ [الفلق: ١، ٢].

۞ المسألة السادسة: أسباب ضلال الناس في القدر:

وأسباب ضلال الناس في القدر كثيرة، منها:

١- **عدم الاستسلام للكتاب والسنة**: فهذا يجعل العقل يتعدى حدوده، فقد نهى النبي ﷺ عن التفكر في مثل هذا، ففي باب الأسماء والصفات نهينا أن نتفكر في كيفية الصفة؛ لأننا لا نعلمها ولا نصل إليها، فالتفكير في الكيفية خروج عن هذا الحد فيؤدي هذا إلى الضلال، قال تعالى ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦].

وكذلك في باب القدر التفكر فيما يزيد على ما ورد في الكتاب والسنة تجاوز للحد، فالقرآن قال: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨]، وقال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠﴾ [الإنسان:٣٠]، أما القدرية والجبرية فكروا بعقولهم بعيدًا عن النصوص فضلوا وأضلوا، فالقدرية قالوا: العبد هو الذي خلق فعل نفسه أي المعاصي؛ لأن الله لا يقدِّر المعاصي، فالمعاصي شر وذنوب، فلا يقدرها الله،

وهذا تفكير عقلي، فلما قالوا إن المعاصي شر، والله تعالى يتنزه أن يقدِّر الشر؛ قالوا إذن العبد هو الذي خلق فعل نفسه، ولا تدخُّل لإرادة الله تعالى، ففكروا بعقولهم خارج حدود الشرع؛ فكان هذا سبب ضلالهم، والجبرية كانوا على العكس من ذلك قالوا الله خالق كل شيء، وفاعل كل شيء، فعليه يكون العبد مجبورًا ولا اختيار له، لكن أهل السنة يسيرون مع النصوص، ويجمعون النصوص، ولا يخرج العقل عندهم عن حده الذي وضع له، وهو ما ورد في الكتاب والسنة؛ لذا وفقهم الله للفهم الصحيح والاعتقاد السليم.

٢- عدم اتباع منهج السلف والوقوف حيث وقفوا، فيجب علينا أن نقف حيث وقف القوم؛ فإنهم عن علم وقفوا، وهذا مما يميز علماء أهل السنة أنهم لما تكلموا تكلموا بعلم، ولما وقفوا وقفوا بعلم.

٣- معارضة حكمة الله تعالى بالعقول القاصرة، لأنهم قالوا: بدلًا من القول: إن الله قدر المعصية وحاسبه عليها، والمعاصي شر والشر ليس إليه، فسنقول: إن الله لم يقدرها. فهذا في نظرهم أسلم، لكن الصواب أن الله تعالى قدر المعصية لحكمة ولسبب، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

٤- الخوض في أفعال الله بالتعليل، أي كيف فعل هذا؟ ولم فعل هذا؟، وسبق أن هذا بحث عن غير معلوم، وغير مأذون فيه، بل منهي عنه.

۞ المسألة السابعة: ضوابط لمسائل القدر:

وهذه الضوابط تتمثل في الإيمان بأربع أسماء وصفات لله تعالى:

١- أنه سبحانه عليم.

٢- أنه الملك جل جلاله.

٣- أن الله تعالى حكيم.

٤- أن الله تعالى حكمه عدل ولا يظلم أحدًا.

فكل شيء يقع في الكون بعلم الله تعالى حتى الطاعة والمعصية، ولا يقع شيء في ملكه إلا بإذنه وتدبيره وإلا فلا يكون ملكًا، حتى الطاعة والمعصية تقع بمشيئته وإرادته، وكل أفعاله تكون بحكمة بالغة حتى الهداية والضلال، وأنه لا يظلم أحدًا في فعله، بل يعطي كل امرئ ما يستحق وزيادة حتى الهدى والضلال، بل ويعفو عن كثير سبحانه، وكل هذا مما يوافق الفطرة السليمة والعقل الصحيح.

فكل اسم من هذه الأسماء يجيب على سؤال من أسئلة القدرية، فالله تعالى ملك لا يقع شيء في ملكه إلا بإرادته، عليم يعلم كل شيء سبحانه، ويقع كل شيء في ملكه بحكمة وعدل، ومن ذلك مثلًا قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ۝٥٤﴾ [الزخرف: ٥٤]، فإن قيل: لماذا قدر الله عليهم أن استخفهم فرعون وما ذنبهم؟ كان الجواب: إنهم كانوا قومًا فاسقين، لذلك كان أقرب الناس لفرعون زوجته، ومع ذلك لم يستخفها، ولم يغوها، ولم يقدر على ذلك، بل آمنت وحسن إيمانها؛ لأنها لم تكن من القوم الفاسقين.

فكل ذلك يدل على أن هداية الله تعالى للناس وإضلاله لهم بعلم وحكمة

وعدل، بل ويعفو عن كثير.

قال عمر بن الهيثم: خرجنا في سفينة، وصحبَنا فيها قدريٌّ ومجوسيٌّ، فقال القدري للمجوسي أسلِم، فقال المجوسي حتى يريد الله، فقال القدري: إن الله يريد، ولكن الشيطان لا يريد! قال المجوسي: أراد الله وأراد الشيطان، فكان ما أراد الشيطان! هذا شيطان قوي!! وفي رواية أنه قال: فأنا مع أقواهما!![1].

ووقف أعرابي على حلقة فيها عمرو بن عبيد، فقال: يا هؤلاء إن ناقتي سرقت فادعوا الله أن يردها عليَّ، فقال عمرو بن عبيد: اللهم إنك لم ترد أن تسرق ناقته فسرقت، فارددها عليه! فقال الأعرابي: لا حاجة لي في دعائك! قال: ولم؟ قال: أخاف - كما أراد أن لا تسرق فسرقت - أن يريد ردها فلا تردا!![2].

وقال رجل لأبي عصام القسطلاني: أرأيت إن منعني الهدى وأوردني الضلال ثم عذبني، أيكون منصفا؟ فقال له أبو عصام: إن يكن الهدى شيئًا هو له فله أن يعطيه من يشاء ويمنعه من يشاء[3].

كل ذلك يدل على أن عقيدة أهل السنة هي ما يوافق الشرع والعقل والفطرة.

وهذا يبين الجواب على سؤال مهم هنا ألا وهو: لماذا هدى الله هذا وأضل هذا؟

نقول: هذا بعلم وحكمة وعدل، فالله تعالى يعلم وأنت لا تعلمون، فالهداية لها أسباب يأتي بها العبد مما حواه قلبه ومن عمله، والضلالة لها أسباب يأتيها

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٣٥/ ١٣)، بتحقيق: حسن أبي الأشبال.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٣٥/ ١٤)، بتحقيق: حسن أبي الأشبال.

(٣) المصدر السابق.

العبد مما أضمره في قلبه ومن عمله، ولا يعلم هذا إلا الله تعالى؛ لذلك قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل: ٥ - ١٠]، وقال: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ۝٧٥﴾ [مريم: ٧٥]، فهو في ضلالة بقلبه وأفعاله، وقال: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ۝٧٦﴾ [مريم: ٧٦]، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٥٨﴾ [البقرة: ٢٥٨]، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢٦٤﴾ [البقرة: ٢٦٤].

و قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١٦٥﴾ [آل عمران: ١٦٥]، فكل هذه النصوص تدل على أن الهداية والضلالة كانت بأسباب بُذِلَت من الناس.

۞ المسألة الثامنة: أقوال الناس في القدر:

١ - أهل السنة: وهم الذين قالوا بجميع مراتب القدر: العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق كما سبق.

٢ - الجبرية: قالوا إن العبد مجبور وهو كالريشة في الهواء، والله هو الذي يفعل الأشياء، مع أن الله تعالى أثبت عملًا ومشيئة للعبد، قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ [التكوير: ٢٩]، ورتب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الثواب والعقاب على أفعال العباد فعُلِم أن لهم اختيارًا وعملًا.

وعقيدة أهل السنة كما أنها توافق النصوص فهي كذلك توافق الفطرة والعقل، فإنه في أمور الدنيا يقر الجميع أن الرزق بيد الله تعالى، فلماذا يسعى هؤلاء الجبرية لجلب الرزق؟! لأنه أخذٌ بالأسباب، ويعلمون أنه كلما سعى العبد أكثر زاد رزقه، مع علمه أن الرزاق هو الله، لكنه مفطور على أنه لا بد أن يبذل سببًا، وكذلك الأولاد بيد الله، فلماذا يتزوج وهو يعلم أن الذي يقدر الأولاد هو الله تعالى؟! هو لهذا السبب أيضًا، إذن للعبد مشيئة واختيار وأخذ بالأسباب، والأمور كلها في النهاية بيد الله تعالى ومشيئته.

٣- **القدرية**: وهم عكس الجبرية قالوا: إن الله لا يقدر المعاصي، بل العبد هو الذي يخلق فعل نفسه، وليس لله تعالى مشيئة ولا إرادة لهذا الأمر.

وهذا يعارض أن الله تعالى هو الملك، ويقع في ملكه أشياء لا يستطيع أن يدفعها، وبعضهم يصرح بذلك فيقول: إن الله لو أراد أن يمنع العاصي من المعصية ما استطاع، وهذا من الضلال والزيغ، وهو كفر بصفات الله تعالى، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا، وهم أرادوا أن يفروا من باب فوقعوا في باب أشد منه، وهكذا أهل البدع دائمًا، كلما أرادوا أن يفروا من باب بعقولهم القاصرة وتركهم للكتاب والسنة، كان وقوعهم في باب أشد منه، وهذا عقاب من الله تعالى؛ إذ إنهم حادوا عن طريق الله تعالى، وطريق النبي ﷺ.

ورد أن عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بَلَغَه أَنَّ غَيْلَانَ يَقُولُ فِي الْقَدَر، قَالَ: فَبَعَثَ إِلَيْهِ، فَحَجَبَهُ أَيَّامًا، ثُمَّ أَدْخَلَهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا غَيْلَانُ، مَا هَذَا الَّذِي بَلَغَنِي عَنْكَ؟، قَالَ عَمْرُو بْنُ مُهَاجِرٍ: فَأَشَرْتُ إِلَيْهِ أَنْ لَا يَقُولَ شَيْئًا، قَالَ: فَقَالَ نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان:٣]، قَالَ: اقْرَأْ

مِنْ آخِرِ السُّورَةِ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الانسان:٣٠]، ثُمَّ قَالَ: مَا تَقُولُ يَا غَيْلَانُ؟، قَالَ: أَقُولُ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَبَصَّرْتَنِي، وَأَصَمَّ فَأَسْمَعْتَنِي، وَضَالًّا فَهَدَيْتَنِي، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ غَيْلَانُ صَادِقًا، وَإِلَّا فَاصْلُبْهُ، فَأَمْسَكَ عَنِ الْكَلَامِ فِي الْقَدَرِ، فَوَلَّاهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ دَارَ الضَّرْبِ بِدِمَشْقَ، فَلَمَّا مَاتَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَأَفْضَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى هِشَامٍ، تَكَلَّمَ فِي الْقَدَرِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ هِشَامٌ، فَقَطَعَ يَدَهُ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ، وَالذُّبَابُ عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا غَيْلَانُ، هَذَا قَضَاءٌ وَقَدَرٌ، قَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ، مَا هَذَا قَضَاءٌ وَلَا قَدَرٌ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ هِشَامٌ، فَصَلَبَهُ[(١)].

قوله: "وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ تَفْسِيرَ الْحَدِيثِ وَيَبْلُغْهُ عَقْلُهُ فَقَدْ كُفِيَ ذَلِكَ وَأُحْكِمَ لَهُ":

أي أنه يسلِّم ويؤمن بما ورد عن الله تعالى، وعن رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾ [آل عمران:٧].

قوله: "فَعَلَيْهِ الْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّسْلِيمُ لَهُ، مِثْلُ حَدِيثِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ":

والمعنى: أن المرء ما عليه إلا الإيمان والتسليم للنصوص لما لم يبلغه عقله، أو لم يدرك مراد الله تعالى، أو حكمة التشريع، أو كيفية تقدير الله تعالى للأمور.

---

(١) رواه الفريابي في القدر (٢٧٩)، والآجري في الشريعة (٥١٤)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (١٨٤٠).

والحديث المشار إليه هو حديث ابن مسعود رضي الله عنه: فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا»(١).

قوله: "وَمِثْلُ مَا كَانَ مِثْلَهُ فِي الْقَدَرِ، وَمِثْلُ أَحَادِيثِ الرُّؤْيَةِ كُلِّهَا، وَإِنْ نَأَتْ عَنِ الْأَسْمَاعِ وَاسْتَوْحَشَ مِنْهَا الْمُسْتَمِعُ، وَإِنَّمَا عَلَيْهِ الْإِيمَانُ بِهَا، وَأَنْ لَا يَرُدَّ مِنْهَا حَرْفًا وَاحِدًا وَغَيْرَهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمَأْثُورَاتِ عَنِ الثِّقَاتِ":

والمعنى: أنه وإن لم يستطع أن يعلم كنه هذه الأشياء وحكمها في القدر، ولم يعلم كيفية الرؤية وماهيتها عليه أن يؤمن بكل ذلك ويسلِّم، ويكل علمه وكيفيته إلى علام الغيوب سبحانه.

قوله: "وَأَنْ لَا يُخَاصِمَ أَحَدًا وَلَا يُنَاظِرَهُ، وَلَا يَتَعَلَّمَ الْجِدَالَ": سبق بيان هذا في الأصل الثالث، ولله الحمد.

---

(١) رواه البخاري في كتاب القدر، باب في القدر حديث (٦٥٩٤)، ومسلم في كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه حديث (٢٦٤٣).

قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فَإِنَّ الْكَلَامَ فِي الْقَدَرِ وَالرُّؤْيَةِ وَالْقُرْآنِ وَغَيْرِهَا مِنَ السُّنَنِ مَكْرُوهٌ وَمَنْهِيٌّ عَنْهُ، لَا يَكُونُ صَاحِبُهُ -وَإِنْ أَصَابَ بِكَلَامِهِ السُّنَّةَ- مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ حَتَّى يَدَعَ الْجِدَالَ، وَيُسَلِّمَ وَيُؤْمِنَ بِالْآثَارِ.

قوله: "فَإِنَّ الْكَلَامَ فِي الْقَدَرِ وَالرُّؤْيَةِ وَالْقُرْآنِ وَغَيْرِهَا مِنَ السُّنَنِ مَكْرُوهٌ وَمَنْهِيٌّ عَنْهُ":

أراد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالمكروه هنا الكراهة اللغوية، وهي بمعنى المبغوض، وهو منهي عنه أي نهي تحريم، لذلك غضب النبي ﷺ لما رأى الصحابة يتكلمون في القدر، وبيَّن أن هذا هو سبب الهلاك: فعن أبي هريرة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر فغضب حتى احمر وجهه، حتى كأنما فقئ في وجنتيه الرمان، فقال: أبهذا أمرتم، أم بهذا أرسلت إليكم؟! إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تتنازعوا فيه"[١].

وقال أحمد في رسالته إلى الخليفة المتوكل في أمر القرآن: وَلستُ بِصَاحِب كَلَام، وَلَا أرى الْكَلَام فِي شَيْء من هَذَا إِلَّا مَا كَانَ من كتاب الله أَو فِي حَدِيث عَن النَّبِي ﷺ وشرعه، أَو عَن أَصْحَابه رَحْمَة الله عَلَيْهِم، أَو عَن التَّابِعين، فَأَما

---

(١) **إسناده ضعيف:** أخرجه الترمذي (٢١٣٣)، وأبو يعلى (٦٠٤٥)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٥٣٩)، وغيرهم من طرق عن صالح المري عن هشام بن حسان عن ابن سيرين عن أبي هريرة، وصالح المري ضعيف، واستنكره ابن عدي عليه في الكامل، وضعفه الترمذي والبزار من جهته، وحسنه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

غير ذَلِك فَإِن الْكَلَام فِيهِ غير مَحْمُود[١].

وقال صالِحُ بنُ أحمَدَ بنِ حَنبَلٍ: كَتَبَ رَجُلٌ إلى أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَسألُه عن مُناظَرةِ أهلِ الكَلامِ والجُلوسِ مَعَهم؟ فأملَى عَلَيَّ جَوابَه: أحسَنَ اللهُ عاقِبَتَك، ودَفَعَ عنكَ كُلَّ مَكروهٍ ومَحذورٍ، الَّذي كُنَّا نَسمَعُ وأدرَكْنا عليه مَن أدرَكْنا من أهلِ العِلمِ: أنَّهم كانوا يَكرَهونَ الكَلامَ والخَوضَ مَعَ أهلِ الزَّيغِ، وإنَّما الأمرُ في التسليمِ والانتِهاءِ إلى ما في كِتابِ اللهِ جَلَّ وعزَّ لا نَعْدو ذلك، ولم يَزَلِ النَّاسُ يَكرَهونَ كُلَّ مُحدَثٍ من وَضعِ كِتابٍ، أو جُلوسٍ مَعَ مُبتَدِعٍ ليُورِدَ عليه بَعضَ ما يُلَبِّسُ عليه في دينِه، فالسَّلامةُ إنْ شاءَ اللهُ في تَركِ مُجالَسَتِهم والخَوضِ مَعَهم في بِدعَتِهم وضَلالَتِهم[٢].

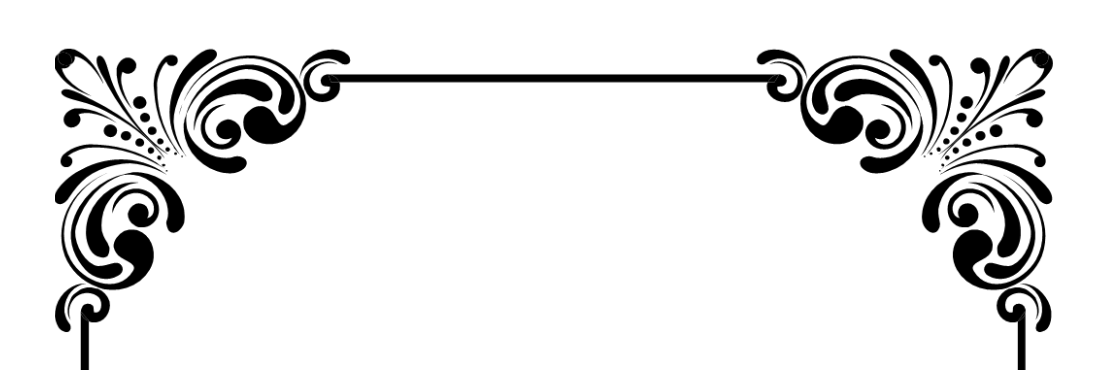
قوله: "لَا يَكُونُ صَاحِبُهُ -وَإِنْ أَصَابَ بِكَلَامِهِ السُّنَّةَ- مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ حَتَّى يَدَعَ الْجِدَالَ وَيُسَلِّمَ وَيُؤْمِنَ بِالْآثَارِ":

وهذا موافق لما سبق من وجوب اتباع السنة، وترك الجدال المذموم، والتسليم والإيمان بالآثار والنصوص.

✻

(١) رسالة أحمد الى المتوكل صـ: ٦١ . ط دار العاصمة.

(٢) مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية ابنه صالح (٢/ ١٦٦).



للاستماع للشرح المختصر للأصل السابق

استخدم الرمز الضوئي:

الأصل الخامس: الإيمان بالقدر.

امسح الرمز الضوئي





الأصل السادس:
القرآن كلام الله، وليس بمخلوق

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، وَلَا يَضْعُفُ أَنْ يَقُولَ: لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، فَإِنَّ كَلَامَ اللهِ لَيْسَ ببَائِنٍ مِنْهُ، وَلَيْسَ مِنْهُ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ، وَإِيَّاكَ وَمُنَاظَرَةَ مَنْ أَحْدَثَ فِيهِ، وَمَنْ قَالَ بِاللَّفْظِ وَغَيْرِهِ، وَمَنْ وَقَفَ فِيهِ، فَقَالَ: لَا أَدْرِي مَخْلُوقٌ أَوْ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامُ اللهِ فَهَذَا صَاحِبُ بِدْعَةٍ مِثْلُ مَنْ قَالَ: هُوَ مَخْلُوقٌ. وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامُ اللهِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ.

قوله: "وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، وَلَا يَضْعُفُ أَنْ يَقُولَ: لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ. فَإِنَّ كَلَامَ اللهِ لَيْسَ بِبَائِنٍ مِنْهُ، وَلَيْسَ مِنْهُ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ ":

القرآن من القراءة، ويطلق عليه الكتاب وهو من الكتابة، وهذا من العناية بكلام الله تعالى، لذلك لا يقبل قراءة قارئ إلا إذا وافق المكتوب، ولا تقبل كتابة كاتب إلا إذا وافق المقروء.

ويطلق القرآن في الشرع على كل كلام أنزله الله تعالى على نبي من أنبيائه: فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّى

بِالْقُرْآنِ»(١)، فدل على أن القرآن يطلق في العموم على كل ما أُنزِل على الرسل، ثم بعد ذلك أصبح معهودًا على ما أُنزِل على النبي محمد ﷺ، وذلك كالإسلام تمامًا، فإنه كان يعني الاستسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ١٩﴾ [آل عمران: ١٩]، وكل من استسلم لله تعالى كان يسمى مسلمًا، ثم بعد ذلك أصبح محصورًا وقاصرًا على أمة النبي ﷺ.

القرآن كلام الله:

القرآن كلام الله حقيقة ليس بمخلوق، وليس كلامًا نفسيًّا، وهذا يشهد له الكتاب والسنة، وكلام العرب وتصريفات الكلمة.

بعض الأدلة من القرآن:

قال الله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤].

ووجه الاستدلال من الآية:

أنه من المعلوم أن الألفاظ تنقسم إلى نص وظاهر ومجمل، فالنص هو الذي لا يحتمل إلا معنى واحدًا، والظاهر ما يحتمل معنيين أحدهما أولى من

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب من لم يتغن بالقرآن حديث (٥٠٢٣)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن حديث (٧٩٢).

الآخر، فحين نقول: كلم فلان فلانًا من الممكن أن يكون كلمه بنفسه أو بواسطة، لكن الظاهر أن الكلام على الحقيقة، ففي هذه الآية الظاهر أن الله تعالى هو الذي تكلم؛ لأن الأصل الحقيقة، والمتبادر إلى الذهن، ويزداد على ذلك أنه لما قال تعالى: ﴿تَكۡلِيمٗا﴾ فهذا تأكيد، وهو ينفي غير الحقيقة، فالتأكيد حوَّل اللفظ من الظاهر إلى النص؛ لأنه لا يحتمل أن يكون كلمه بواسطة؛ لأن التأكيد ينافي ذلك.

مثال: جاء الأمير. يحتمل أنه جاء بنفسه، أو جاءت رسالته، أو جيشه، أو رسوله، فإن قيل: جاء الأمير نفسه، فهذا نص لا يحتمل غير مجيئه ذاته، بسبب التأكيد.

ومما يدل على ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦]، فسماه الله تعالى كلامه، فعُلم أن ما يسمعه المشرك هو ذات كلام الله تعالى حقيقة، ليس مخلوقًا، وليس كلامًا نفسيًّا.

ومما يدل على ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧﴾ [البقرة: ١١٧]، فأخبر سبحانه أنه خلق الأشياء بقوله تعالى "كُن"، فلو كان قوله "كُن" مخلوقًا لاقتضى أن يكون مخلوقًا بـ"كُن" أخرى، وكذا "كُن" الثانية تقتضي أن تكون مخلوقة بـ "كُن" إلى ما لا نهاية له، وهذا يؤدي إلى المحال.

ومن الدليل أيضًا قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ

وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤]، والأمر منه القرآن بدليل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ۝٥﴾ [الطلاق:٥]، وفرق سبحانه بين الخلق والأمر.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٧﴾ [لقمان: ٢٧]، فأخبر الله سبحانه أن كلماته لا تنفد، والمخلوقات تنفد وتفنى؛ فدل أن كلام الله تعالى ليس من المخلوقات.

ومما يدل على ذلك: أن الإنسان ذُكِر في القرآن في مواضع عدة، وذكر خلقه، وذكر القرآن في عشرات المواضع، ولم يذكر في شيء منها أنه خلقه، فدل على أن القرآن غير مخلوق، ولو كان لذُكِر.

✳ بعض الأدلة من السنة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي الْبَارِحَةَ، قَالَ: «أَمَا لَوْ قُلْتَ، حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّكَ»(١)، فلو كانت كلمات الله مخلوقة لكان النبي ﷺ يأمر الصحابة أن يستعيذوا بمخلوق، وحاشاه ﷺ.

(١) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره حديث (٢٧٠٨).

✳ الأدلة من اللغة:

القرآن من كلام الله تعالى، وقد ثبت بالنصوص أن الله تعالى يتكلم كلامًا حقيقيًّا، ومما يبين أن كلام الله تعالى كلام حقيقي لغة العرب أيضا، وبيان ذلك كما يلي:

إنَّ اللغة تدل على أن الأصل في الكلام أنه حقيقة؛ وأنه ظاهر ليس خفيًّا؛ حيث الكلام هو ما يلفظ، فهو الشيء المسموع، وكذلك تصريف الكلمة وأصلها، فالكاف واللام والميم لها معانٍ جُلُّها من معاني القوة، وهذا يتناسب مع الكلام الحقيقي وليس الكلام النفسي؛ حيث الكلام النفسي فيه معنى الرخاوة، بخلاف الكلام الحقيقي، ومن ذلك:

قال الأزهري الهروي في كتابه تهذيب اللغة:

كَلَمَ. كَمَلَ. لَكَمَ. لَمَكَ. مَلَكَ. مَكَلَ: مستعملات.

كَلَمَ: قَالَ اللَّيْث: الكَلْمُ: الجَرْحُ، والجميع: كُلُومٌ.

والقرآنُ كلامُ الله، وكَلِمُ الله، وكَلِمَاتُ الله، وكلمةُ اللهُ، وَهُوَ كَيْفَمَا تَصَرَّفَ، مَتْلُوًّا، ومَحْفُوظًا، ومَكْتُوبًا: غيرُ مَخْلُوق، وَقَالَ أَحْمد بن يحيى فِي قَول الله: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾[النِّسَاء: ١٦٤] لَو جَاءت: كلَّمَ الله مُوسَى مُجَرّدًا لاحْتَمَلَ مَا قُلْنَا، وَمَا قَالُوا يَعْني المُعْتَزِلَةَ، فلمَّا جَاءتْ: (تكليمًا) خَرجَ الشَّكُّ الَّذِي كَانَ يدخلُ فِي الْكَلَام، وخَرجَ الاحْتمالُ للشَّيْئَيْنِ، وَالْعرب تَقول: إِذا وُكِّدَ الكلامُ لم يَجُزْ أَن يكونَ التوكيدُ لَغوا، والتَّوكيدُ بالمَصْدَرِ دَخَلَ لإِخْرَاجِ الشّكِّ.

كَمَلَ: قَالَ اللَّيْث: كَمَلَ الشيءُ يَكْمُلُ كَمَالاً، ولُغةٌ أُخرَى: كَمُلَ يَكْمُلُ، فَهُوَ

كَاملٌ فِي اللُّغتيْنِ، وأكملتُ الشيءَ أَي أَجْمَلْتُهُ وأَتْمَمْتُهُ، والكمالُ: التَّمَامُ الَّذِي يُجَزَّأ مِنْهُ أَجْزاؤه، وَقَالَ الله تَعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣﴾ [الْمَائِدَة: ٣].

مَكَلَ: قَالَ اللَّيْث: مَكَلَتِ البِئرُ إِذا اجْتَمع المَاء فِي وَسَطِها وكَثُرَ، وَهِي: الْمُكْلَةُ.

مَلَكَ:قَالَ الليثُ: مِلاكُ الْأَمر: الَّذِي يُعتمَدُ عَلَيْهِ، والقَلْبُ: مِلاكُ الجسدِ.

قَالَ الْفراء: يُقَال: عَجَنَتِ المرْأَةُ فأَمْلَكتْ إِذا بَلَغتْ مَلاكتَهُ وأجادت عَجْنهُ، حَتَّى يأخُذَ بَعضُه بَعْضًا، وَقد مَلَكَتْه تَملِكُه مَلْكًا إِذا أَنعَمتْ عَجْنَهُ، وَنَحْو ذَلِك، يُقَال للعَجِينِ إِذا كَانَ مُتَمَاسِكًا مَتِينًا: مَمْلوكٌ، ومُمَلَّكٌ(١).

لَمَكَ العجين لمكًا: أنعم عجنه(٢).

فعامة معاني هذه الأحرف الثلاثة تدل على القوة لا الرخاوة، والذي يتناسب مع هذا أيضًا أن يكون الكلام حقيقيًّا لا نفسيًّا.

ومما يؤيد ذلك أن أقوال السلف وعلماء أهل السنة، وفهمهم لكلام الله

(١) تهذيب اللغة للأزهري الهروي (١٠/ ١٤٧).
(٢) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة (٢/ ٨٣٩).

تعالى، وكلام نبيه ﷺ، ما قال أحد منهم أن القرآن مخلوق، أو أنه كلام نفسي، بل يصرحون بأن القرآن كلام الله أي حقيقة، بل ويصرحون بأنه غير مخلوق.

ومن ذلك: قال الفضل بن زياد: سألت أبا عبد الله عن عباس النرسي فقلت: كان صاحب سنة، فقال: رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قلت: بلغني عنه، قال: ما قولي: القرآن غير مخلوق إلا كقولي: لا إله إلا الله، فضحك أبو عبد الله وسُرَّ بذلك(١).

قال المروذي: رأيت أحمد بن محمد بن حنبل في النوم وعليه حلتان خضراوان، وفي رجليه نعلان شراكهما من المرجان، وعلى رأسه تاج مكلل بأنواع الجواهر، فقلت: يا أبا عبد الله، ما الذي فعل الله بك؟

قال: غفر لي وتوجني وكساني، وقال لي: يا أبا عبد الله، إنما أعطيتك هذا لمقالتك: القرآن غير مخلوق(٢).

وقال سليمان بن حرب: القرآن غير مخلوق، وأخذته من كتاب الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٧٧﴾ [آل عمران:٧٧]، وكلام الله ونظره واحد، يعني غير مخلوق(٣).

---

(١) رواه الآجري في الشريعة (١٧٨)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢١٦).

(٢) مناقب أحمد لابن الجوزي (ص ٥٨٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٠/٢٢٨).

(٣) الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري (ص ٩١).

وقال بكفر من قال القرآن مخلوق جمع من العلماء منهم: حماد، والثوري، وعبد العزيز بن أبي سلمة، ومالك بن أنس، والشافعي وأصحابه، وأبو حنيفة، وأحمد بن حنبل، والليث بن سعد، وسفيان بن عيينة، وهشام، وعيسى بن يونس[(١)].

وروي عن عبد الله بن المبارك أنه قال: "سمعت الناس منذ تسعة وأربعين عاماً يقولون من قال القرآن مخلوق فامرأته تطلق منه، قيل له: ولم ذلك؟، قال: لأن امرأته مسلمة، والمسلمة لا تكون تحت كافر"[(٢)]، وغير ذلك كثير.

✳ بعض أدلة من قال كلام الله كلام نفسي وليس حقيقيا والجواب عنها:

ومن أهل البدع من قال أن الله يتكلم كلامًا نفسيًّا، وليس حقيقيًّا؛ وعليه فالموجود بين أيدينا الآن ليس هو كلام الله الحقيقي، وإنما هو حكاية لكلام الله تعالى، أو عبارة عن كلام الله تعالى أي تعبير عنه وليس هو كلام الله حقيقة، وكلام الله تعالى كلام نفسي، واستدلوا ببعض الأدلة منها:

قالوا أنا لو قلنا بالكلام الحقيقي لأشبه المخلوق، والله تعالى قال: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ **[الشورى: ١١]**.

فيجاب عن هذا فيقال:

أولًا: العبرة في ذلك بالنصوص والأدلة، والنصوص يثبت ظاهرها كلام الله

(١) الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري (ص ٩٥).
(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة (٣٠٠)، واللالكائي في شرح أصول السنة (٤٠٥).

تعالى حقيقة، وقد سبق الإشارة إليها، وقد أحسن من انتهى إلى ما سمع.

ثانيًا: هل الكلام بهذا المعنى - أنه شيء يدور في النفس - لا يوجد في المخلوق ؟ فالجواب أنه يوجد، فما فررتم منه وقعتم أيضًا فيه، فعلينا التسليم والإيمان بما ورد في النصوص.

- **ومن أدلتهم** أنهم قالوا: إن الكلام الحقيقي يستلزم أعضاء من الشفة واللسان والأسنان، وبذلك نكون قد وصفنا الله بصفات المخلوق.

فيجاب عن هذا ويقال: هذا لا يلزم؛ قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ **[الإسراء: ٤٤]**، فالجمادات تسبح ولا يستلزم ذلك لها أعضاء، فهذا في المخلوق فما بالنا بالخالق.

- **ومن أدلتهم أيضًا**: الاستدلال ببيت شعر للأخطل النصراني حيث قال:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جُعِلَ اللسان على الفؤاد دليلًا

والجواب عن هذا بأمور:

- **منها**: أنه من مذاهب بعضهم أنهم لا يأخذون بأحاديث الآحاد في العقيدة، فيردون حديث الآحاد في العقيدة ويأخذون ببيت شعر يؤولون به كلام الله، إن هذا لشيء عُجاب!.

- **وأيضًا** فهذا البيت لرجل نصراني فهل يؤول كلام الله بكلام نصراني.

- **ومنها**: قيل أن الأخطل من المولَّدين وليس بعربي، فليس كلامه حجة في اللغة، فلا يؤخذ به.

قال ابن تيمية: فمن احتاج إلى أن يعرف مسمى الكلام في لغة العرب، والفرس، والروم، والترك، وسائر أجناس بني آدم بقول شاعر، فإنه من أبعد الناس عن معرفة طرق العلم. ثم هو من المولَّدين، وليس من الشعراء القدماء، وهو نصراني كافر مُثَلِّث، واسمه الأخطل، والخَطَل فساد في الكلام، وهو نصراني والنصارى قد أخطؤوا في مسمى الكلام، فجعلوا المسيح القائم بنفسه هو نفس كلمة الله(١).

- **ومنها أيضًا**: إن صح البيت قد يكون معناه إن أصل الكلام لفي الفؤاد، ويدل على ذلك أن البيت السابق له قوله:

لا يعجبنك من خطيب خطبة ... حتى يكون مع الكلام أصيلا

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جُعِل اللسان على الفؤاد دليلا

أي معنى الكلام وأساسه في القلب، فالإنسان يكون الشيء في صدره، ويخرج بعد ذلك على لسانه، وإن كان ذلك أيضًا ليس بلازم؛ فالله تعالى قال ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ [آل عمران:١٦٧].

بعض أدلة من قال القرآن مخلوق والجواب عنها:

- **منها**: استدلالهم بأن كلام الله لو كان حقيقيًّا وليس مخلوقًا لاستلزم لسانا وشفتين ونحوه، ولأشبه المخلوق، وسبق الجواب عن هذا في الفقرة السابقة.

---

(١) الإيمان لابن تيمية (١/ ١١٥).

- **ومن استدلالهم** قوله تعالى﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [الزمر: ٦٢]، قالوا والقرآن شيء فهو مخلوق.

ويجاب عن هذا بأنه من باب العام الذي أريد به الخصوص، والمعنى: الله خالق كل شيء مخلوق، فالله تعالى انفرد وحده بخلق المخلوقات، لم يشاركه أحد في ذلك.

- **ومن استدلالهم** على أن القرآن مخلوقٌ قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٣﴾ [الزخرف: ٣]، قالوا: جعلناه أي خلقناه؛ لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠﴾ [الأنبياء: ٣٠] أي وخلقنا من الماء.

ويجاب عن هذا: بأن "جعل" لها معان، منها الخلق، وذلك إذا نصبَت مفعولًا واحدًا، أما إذا نصبت مفعولين فلا تأتي بمعنى الخلق، لذلك قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠﴾ [الأنبياء: ٣٠] نصبت هنا مفعولًا واحدًا فتكون بمعنى خلق، وكذلك قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١﴾ [الأنعام: ١] نصبت مفعولًا واحدًا فهي بمعنى الخلق، وأما قوله: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٣﴾ [الزخرف: ٣] نصبت مفعولين: الهاء، وقرآنًا، فلا تكون بمعنى خلق.

وأيضًا فإن الله تعالى قال: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ

أَشْهِدُواْ خَلْقَهُمْۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ١٩﴾ [الزخرف: ١٩] ، فهنا نصبت مفعولين، وعلى كلامهم يكون المعنى: وخلقوا الملائكة، كلا. بل لما نصبت (جعل) مفعولين لم تكن بمعنى خلق.

قوله: "وَإِيَّاكَ وَمُنَاظَرَةَ مَنْ أَحْدَثَ فِيهِ":

ويكرر رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا ما أصَّله مرارًا وتكرارًا من الحذر من مجادلة أهل البدع والضلالات، وقد بينا ذلك بما يكفي، ولله الحمد واالمنة.

قوله: "وَمَنْ قَالَ بِاللَّفْظِ وَغَيْرِهِ، وَمَنْ وَقَفَ فِيهِ، فَقَالَ: لَا أَدْرِي مَخْلُوقٌ أَوْ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ. وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامُ اللهِ، فَهَذَا صَاحِبُ بِدْعَةٍ مِثْلُ مَنْ قَالَ: هُوَ مَخْلُوقٌ. وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامُ اللهِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ":

يشير الإمام هنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى بدعة بدأت من جهة الجهمية، وهي مسألة لفظي بالقرآن، وهي من الشبه التي ألقاها الجهمية للناس، ولم يبتدئها السلف ولم يتكلموا بها إلا لما أثارها الجهمية، وأصبح لها وقع بين الناس.

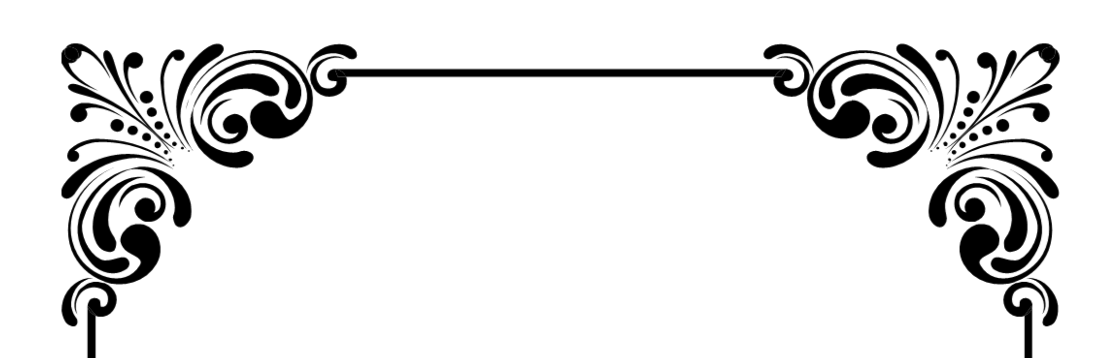
واختلف أهل السنة في التعامل معها فمنهم من لم يذكرها ولا يتكلم بها؛ حيث قالوا إن السلف لم يذكروها فنحن لا نذكرها، ولا نتعرض لها، ويكفينا ما ورد عن السلف من القول بأن القرآن كلام الله حقيقة وليس نفسيًّا، وأنه ليس بمخلوق.

وفريق آخر قال: النظر لهذه المقولة بحسب الاعتبار، فإن قصد بقوله لفظي بالقرآن مخلوق أي ما يتلى من القرآن، فهذا جهمي يقول بقولهم، ومن قصد صوت القارئ فهذا لا بأس به، فالقارئ وصوته مخلوقان، وقالوا القول قول البارئ والصوت صوت القارئ، أي القول كلام البارئ غير مخلوق، والصوت

صوت القارئ فهو مخلوق كالقارئ.

وكذلك مثل من قال القرآن مخلوق مَن توقف، وقال لا أدري القرآن مخلوق أم غير مخلوق؛ لأن الشك والسكوت لا يصلح في مثل هذه العقيدة، بل لا بد أن يعلم ويوقن ويجزم بها أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق، ولا يتوقف أو يشك أو يتردد في هذا، وإلا كان كأهل البدع.

❊



للاستماع للشرح المختصر للأصل السابق

استخدم الرمز الضوئي:

الأصل السادس: القرآن كلام الله، وليس بمخلوق.

امسح الرمز الضوئي







الأصل السابع:
رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَالْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ رَأَى رَبَّهُ، فَإِنَّهُ مَأْثُورٌ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، صَحِيحٌ، رَوَاهُ قَتَادَةُ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَرَوَاهُ الْحَكَمُ بْنُ أَبَانٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَرَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ يُوسُفَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَالْحَدِيثُ عِنْدَنَا عَلَى ظَاهِرِهِ كَمَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَالْكَلَامُ فِيهِ بِدْعَةٌ، وَلَكِنْ نُؤْمِنُ بِهِ كَمَا جَاءَ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَلَا نُنَاظِرُ فِيهِ أَحَدًا.

رؤية الله تعالى من المسائل التي اختلف فيها أهل السنة مع أهل البدع، وإليك بيان ذلك:

مسألة الرؤية ينقسم فيها الناس إلى أقسام، وأهل السنة وسط بين الناس أي عدل، فبعض أهل البدع ينفون الرؤية في الدنيا والآخرة، وبعضهم ينفون الرؤية في الدنيا وينفون الرؤية البصرية في الآخرة، ويثبتون الرؤية القلبية، وأهل السنة ينفون الرؤية في الدنيا قطعًا، ويثبتون الرؤية البصرية في الآخرة، وبعض الصوفية يثبتون الرؤية في الدنيا والآخرة.

والصحيح قطعًا الذي تشهد له النصوص هو مذهب أهل السنة، وأدلتهم على ذلك ظاهر النصوص، والتصريح بذلك في نصوص الكتاب والسنة، وتفسير النبي ﷺ للقرآن يشهد بذلك، وأهل اللغة وكلامهم يشهد بذلك.

۞ أدلة أهل السنة على إثبات الرؤية البصرية يوم القيامة:

- من الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وهم قالوا: ناظرة هنا بمعنى منتظرة للثواب أو الحساب. فيقال: يعارض هذا السياق واللغة، فالسياق في معرض الامتنان والنعيم، والانتظار عذاب خاصة يوم القيامة، ولذلك لما يطول يوم القيامة يسأل الناس الأنبياء أن يشفعوا إلى ربهم ليقضي بينهم الحساب؛ لأن الانتظار عذاب، وأيضًا السياق يدل على أن النظر سبب النضرة، وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى الله.

ومن الناحية اللغوية: يأتي النظر لمعان منها: نظر العين كما سبق في الآية الكريمة، ومنها: الانتظار كقوله تعالى﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ [الحديد: ١٣]، والمعنى انتظرونا، ويأتي بمعنى التفكر والاعتبار كقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١]، ويأتي بمعنى الإشفاق كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾ [البقرة: ١٠٤].

فهنا السياق لا يدل على الانتظار؛ لأن الانتظار عذاب، ولا يدل على التفكر

والاعتبار لأن التفكر والاعتبار ليس محله الآخرة، بل محل حساب وجزاء، ولا يدل على الشفقة قطعًا لأن العباد لا يشفقون على الله حاشاه سبحانه، فلم يبق إلا نظر العين وخاصة أنه تعدى بإلى، وإذا تعدى النظر بإلى فلا يراد به إلا نظر العين.

ومن الأدلة: قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٤]، فهذا يدل على أن هناك لقاءًا بينهم وبين الله تعالى، واللقاء يستلزم الرؤية؛ لذلك قال الإمام ثعلب: أجمع أهل اللغة على أنه لا يكون هناك لقاء وسلام ونحوه إلا إذا كان فيه النظر بالعين(١).

ومن الأدلة: مفهوم المخالفة قال تعالى﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

قال الإمام الشافعي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: حجب قومًا لمعصيته وهي الكفر، فثبت أن قومًا يرونه بالطاعة(٢).

وقال الإمام مالك-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة، لم يعير الله تعالى الكفار بالحجاب(٣).

---

(١) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٧/ ٦٢) بسنده عن الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب صاحب اللغة به.

(٢) رواه البيهقي في المعرفة (٣٤٦)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ١١٧)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٧/ ٥٩)، وغيرهم عن الشافعي به.

(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٨٠٨)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٦) عن مالك به.

ومن الأدلة: عَنْ صُهَيْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ»(١).

عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ الْأَشْعَرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ»(٢).

وقوله ﷺ «فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحب من النظر إلى وجهه الكريم، وتلا ﷺ قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦﴾ [يونس: ٢٦]»(٣)، فاعتبر هذا تفسير منه ﷺ لمعنى الزيادة، فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم، وغير ذلك من الأدلة.

وقد استدل أهل البدع لمذهبهم بقوله تعالى﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم حديث (١٨١).

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم حديث (١٨٠).

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم حديث (١٨١).

صَعِقًاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ [الأعراف: ١٤٣]، قالوا: إن موسى طلب من الله الرؤية فلم يره، وقال له: لن تراني. فدل ذلك على أن موسى لن يرى الله في الدنيا ولا في الآخرة؛ لأن "لن" تدل على النفي للتأبيد، وإذا كان موسى لا يراه فباقي الناس من باب أولى.

ويصدق في هذا النص قول ابن تيمية: وهكذا يوجد عامة ما يحتج به أهل البدع من كتب الله عز وجل، ففي تلك النصوص ما يتبين أنه لا حجة لهم فيها، بل هي بعينها حجة عليهم، كما ذكر أمثال ذلك في الرد على أهل البدع والأهواء، وغيرهم من أهل القبلة(١).

وقال: وهكذا تأملنا عامة ما يحتج به أهل البدع والضلالة من كلام الأنبياء، فإنه إذا تدبر حق التدبر وجد حجة عليهم لا لهم، فإن كلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هدى وبيان، وهم معصومون لا يتكلمون بباطل، فمن احتج بكلامهم على باطل فلا بد أن يكون في كلامهم ما يبين به أنهم أرادوا الحق لا الباطل(٢).

فكل دليل صحيح يستدلون به إذا تفكرت فيه لا بد أن يكون هذا الدليل عليهم لا لهم، وهذا يظهر في هذه الآية بوضوح، وذلك من وجوه منها:

- أن موسى طلب من الله رؤيته وهذا يدل على جوازها؛ لأن الأنبياء يعلمون ما يجوز في حق الله وما لا يجوز، فلو كانت الرؤية لا تجوز ما طلبها موسى، فهذا يدل على أن الرؤية ممكنة.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (١/ ١٠٤- ١٠٥).
(٢) المصدر السابق (٣/ ٣٨٠)، ط: دار العاصمة- السعودية.

- وأيضًا فإن الصحيح عند علماء اللغة كما قال ابن مالك وغيره أن (لن) تفيد النفي فقط، ولا تفيد التأبيد، خلافًا للزمخشري، ويدل على ذلك قوله تعالى عن الكافرين: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٥]، ومع ذلك ورد في القرآن أنهم يقولون: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف: ٧٧]، فتمنوا الموت فدل ذلك على أن لن لا تفيد النفي للتأبيد، وخاصة في هذا النص؛ لأن (لن) وردت مع (أبدًا) ومع ذلك أريد به الدنيا فقط، ولم يرد به الآخرة، وفي سياق الرؤية لموسى عليه السلام لم يقل فيه: أبدًا، فمن باب أولى أن يكون ذلك في الدنيا.

- وانتفاء الرؤية لا يلزم أن يكون لاستحالة الرؤية، بل قد يكون لشيء في الناظر مثل أنه لا يتحمل الرؤية، فالذي ينظر في عين الشمس لا يتحمل ذلك، وليس معنى ذلك أن الشمس لا تُرى، وهذا هو السبب في عدم رؤية الله تعالى في الدنيا؛ لقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾[الأعراف:١٤٣].

- وأيضًا قال تعالى: لن تراني. ولم يقل: لا أُرى. فدل على أنه يُرى لكن هناك سبب لعدم الرؤية الآن.

- وأيضًا فإن الله تعالى علق الرؤية على شيء ممكن، وتعليق الرؤية على الممكن يدل أنه ممكن، ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف:١٤٣]، فاستقرار

الجبل أمر ممكن؛ لأنه مستقر فعلًا.

فلو كان مستحيلًا لعُلِّق على مستحيل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤٠﴾ [الأعراف: ٤٠]، فعلقه تعالى بالمستحيل للدلالة على استحالته.

وكما قالت الخنساء:

ولن أصالح قومًا كنت حربهم حتى تعود بياضًا حلكة القار

أي حتى يصبح القار الأسودُ أبيضَ، وهذا لا يكون، فالمعنى أنه يستحيل أن أصالحهم، فتعليق الشيء بمستحيل يدل على أنه مستحيل، وتعليقه بممكن يدل على أنه ممكن.

- وقوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾ [الأعراف:١٤٣]، هذا دليل على أن الله تعالى تجلى للجبل، فمن باب أولى أن يتجلى الله تعالى لأحبابه وأوليائه من المؤمنين، لكن عندما يقدرون على ذلك، حتى تكون الرؤية رؤية نعيم، لكن إذا كانت هذه الرؤية لا يتحملها الإنسان فلن تكون رؤية نعيم.

إذن الدليل الذي أتوا به واعتمدوا عليه لا يشهد لهم بل عليهم، فضلًا أن قصة الآية كلها كانت في الدنيا، والحديث عن الرؤية في الآخرة، فهنا اختلف المحل.

- ومن الأدلة: الإجماع:

فقد نقل بعض العلماء الإجماع على ذلك كابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: أهل قبلتنا من الصحابة ومن بعدهم إلى من شاهدنا من العلماء من أهل عصرنا، لم يختلفوا ولم يشكوا ولم يرتابوا أن جميع المؤمنين يرون خالقهم يوم القيامة عيانًا[(١)].

إذن الإيمان بالرؤية يوم القيامة ثابت بالأدلة من الكتاب والسنة والإجماع.

۞ مسألة: رؤية النبي ﷺ ربه في رحلة المعراج:

الصحيح -والله تعالى أعلى وأعلم- أن النبي ﷺ لم ير ربه في رحلة المعراج، ويدل على ذلك أدلة منها:

أن أبا ذر سأل رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنى أراه»[(٢)] أي كيف أراه، وفي رواية: «رأيت نورًا»[(٣)].

ويشهد لذلك أيضًا أن النبي ﷺ لم يذكر ذلك، وذكر ﷺ ما حدث وما رأى من أشياء كثيرة، من أول ركوب البراق وصفته إلى العروج به إلى السماء وما رأى فيها، وأعظم من ذلك كله رؤية الله تعالى، فمن المحال أن يكون النبي ﷺ رأى الله تعالى ولم يذكر ذلك مطلقًا، فإن رؤيته لله ستكون أعظم من كل ما ذكره

---

(١) التوحيد لابن خزيمة (٢/ ٥٤٨)، ط: مكتبة الرشد- الرياض.

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب قوله: نور أنى أراه، وقوله: رأيت نورًا، حديث (١٧٨ - ٢٩١).

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب قوله: نور أنى أراه، وقوله: رأيت نورًا، حديث (١٨٧ - ٢٩٢).

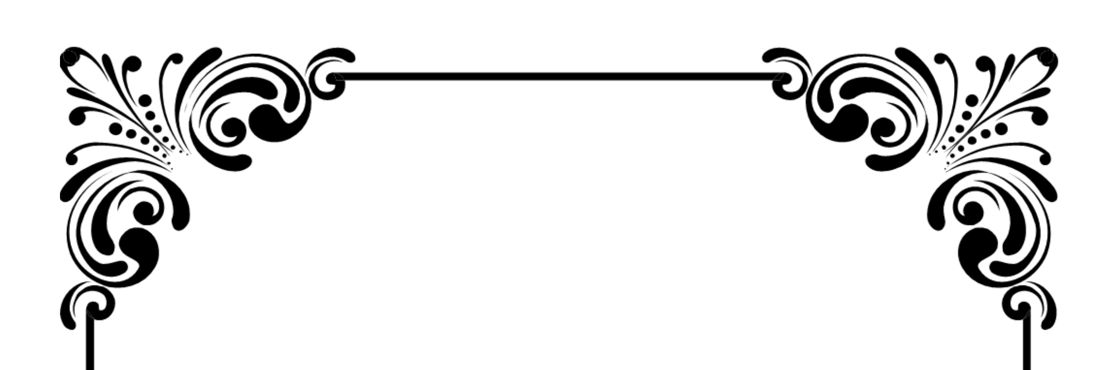
إن حدثت، فعدم ذكره لذلك دليل على عدم حدوثه.

أما ما ورد عن ابن عباس فروايتان إحداهما أنه قال: إن النبي ﷺ رأى ربه، والأخرى: أنه رآه بقلبه[(١)].

وليس هناك رواية عن ابن عباس أنه رآه بعينه، لكن من نقل عنه ذلك فهم من قوله: رأى محمد ربه. أنه رآه بعينه، وهذا غير صحيح ولم يرد عن ابن عباس، وإنما الذي ورد عنه أنه رآه مطلقًا، أو مقيدًا بقلبه[(٢)]، والصواب هو حمل مطلق قوله على مقيده، ويكون المعنى أن مقصد ابن عباس أنه رآه بقلبه.

❀❀❀

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٤٤٠) من طريق حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ: "رأيت ربي عز وجل"، وحماد بن سلمة ضعفه الدارقطني وابن رجب، وغيرهما في حديث قتادة.
وقد خالفه الشعبي كما عند عبد الله بن أحمد في السنة (١٠٤٤)، وسماك كما عند الترمذي (٣٢٨١)، والحكم بن أبان كما عند الترمذي (٣٢٧٩)، ثلاثتهم عن عكرمة عن ابن عباس قوله:" رأى محمد ربه عز وجل ".
ورواه أبو سلمة كما عند ابن أبي شيبة (٣١٨٠٣)، وعبد الله بن أبي سلمة كما عند عبد الله بن أحمد في السنة (٢١٧)، كلاهما عن ابن عباس قوله:" رأى محمد ربه عز وجل".
هذا وقد روى هذا الحديث مسلم (١٧٦) من طريق أبي العالية وعطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قوله:" رأى محمد ربه بفؤاده مرتين ".
وهذا الحديث من قول ابن عباس في إثباته لرؤية النبي لربه قد صححه أحمد كما نص عليه هنا في أصول السنة، وصححه العقيلي، والترمذي، وغيرهم.
(٢) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٧/ ١٨٧).



للاستماع للشرح المختصر للأصل السابق

استخدم الرمز الضوئي:

الأصل السابع: رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة.

امسح الرمز الضوئي





الأصل الثامن:
الإيمان بالوزن والميزان يوم القيامة

قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَالْإِيمَانُ بِالْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا جَاءَ، يُوزَنُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَا يَزِنُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَتُوزَنُ أَعْمَالُ الْعِبَادِ كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ، وَالْإِيمَانُ بِهِ، وَالتَّصْدِيقُ بِهِ، وَالْإِعْرَاضُ عَمَّنْ رَدَّ ذَلِكَ، وَتَرْكُ مُجَادَلَتِهِ.

وَأَنَّ اللهَ يُكَلِّمُ الْعِبَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّصْدِيقُ بِهِ.

قوله: "وَالْإِيمَانُ بِالْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا جَاءَ":

الميزان من الغيبيات التي يجب الإيمان بها لما وردت به النصوص، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ [القارعة: ٦ - ١١]، وقال: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨﴾ [الأعراف: ٨]، فنؤمن بها كما جاءت، ولا نعلم كيفيتها.

والوزن والميزان حقيقيان كما دلت عليه النصوص السابقة، وغيرها، والميزان يدل على عدل الله تعالى وإقامة الحجة على عباده، والعباد ليس لهم

حجة على الله تعالى، لكن هذا من تمام عدل الله تعالى، بل وإظهار هذا العدل يوم القيامة؛ إذ إنه يوم حساب وجزاء، ولو حكم الله بين عباده بدون وزن وميزان لن يظلم أحدًا، ولا اعتراض يومها ولا حجة لأحد، ولكنه من تمام فضله، وكمال عدله.

قوله:" يُوزَنُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَا يَزِنُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَتُوزَنُ أَعْمَالُ الْعِبَادِ كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ":

- لقد وردت أدلة بأن الذي يُوزَن الأعمال نفسها، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ»[(١)]، فهذا يدل على أن ذات الكلمتين توضعان في الميزان.

- ووردت أدلة أن الذي يُوزَن هو السجلات والكتب التي تكتب فيها الأعمال، ويدل لذلك حديث النبي ﷺ: عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «يصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فينشر عليه تسعة وتسعون سجلًّا، كل سجل مد البصر، ثم يقول الله عز وجل: هل تنكر من هذا شيئا؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: أظلمتك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا، يا رب، ثم يقول: ألك عذر، ألك حسنة؟ فيهاب الرجل، فيقول: لا. فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنات، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج له بطاقة، فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، قال: فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع

---

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح حديث (٦٤٠٦)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء حديث (٢٦٩٤).

هذه السجلات. فيقول: إنك لا تُظلَم. فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة»[١]، وهذا قطعًا لرجل خاص أو فئة خاصة، فليس كل من يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله. معه مثل هذا، وإلا لكانت كل الأمة تدخل الجنة ولا يُعذَّب أحد، وقد اجتهد العلماء في ذلك فقالوا: إن هذا الرجل قالها بصدق وإخلاص فمحت ذنوبه، أو أنه قالها عند موته صادقًا تائبًا، وقيل غير ذلك، وذلك لقوله (رجلًا) وهي نكرة في سياق الإثبات تفيد الإطلاق، فهو رجل واحد وليس كل رجل، وأيضًا فلو أن المراد مجرد قول الشهادتين لكان كل مسلم معه مثل هذه البطاقة، وعليه فكل مسلم سينجو في الوزن والميزان ولا يدخل أحد النار من الأمة، وهذا يناقض أحاديث الشفاعة ونحوها.

- وقد ورد أن الذي يُوزَن هو صاحب الأعمال؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، اقْرَءُوا فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا»[٢]، أي أنهم يوزنون لكن لا قيمة لهذا الوزن، وليس المعنى أنه لا توزن أعمالهم.

ويشهد لذلك أيضًا حديث ابن مسعود رضي الله عنه، فعن ابن مسعود: أنه كان يجتني سواكا من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤة، فضحك

---

(١) **إسناده حسن:** أخرجه أحمد (٦٥٨٣)، والترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وغيرهم من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا، وحسنه الترمذي، والألباني، وغيرهما.

(٢) رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى :" أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم" حديث (٤٧٩٢)، ومسلم في أول كتاب صفة القيامة والجنة والنار حديث (٢٧٨٥).

القوم منه، فقال رسول الله ﷺ: «مم تضحكون؟»، قالوا: يا نبي الله، من دقة ساقيه، فقال: «والذي نفسي بيده، لهما أثقل في الميزان من أحد»(١).

فقد يكون كل إنسان يوزن هو وعمله والسجلات، وقد يكون أناس توزن أعمالهم، وأناس توزن السجلات، وأناس يوزنون، فالله أعلى وأعلم.

قوله "وَالْإِيمَانُ بِهِ، وَالتَّصْدِيقُ بِهِ، وَالْإِعْرَاضُ عَمَّنْ رَدَّ ذَلِكَ، وَتَرْكُ مُجَادَلَتِهِ":

هذا ما يشير إليه الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كثير من المسائل الغيبية، وينبه عليه بعد ذكره لبعض المسائل: أنه يجب علينا الإيمان بما جاء في النصوص، ونصدق ما ورد فيها، ولا نرد شيئًا منها، وعدم جدال من يرد ذلك والإعراض عنه.

قوله: "وَأَنَّ اللهَ يُكَلِّمُ الْعِبَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّصْدِيقُ بِهِ":

ويدل لذلك حديث النبي ﷺ، فَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»(٢).

---

(١) إسناده حسن: أخرجه أحمد (٣٩٩١)، والطيالسي (٣٥٣)، وابن حبان (٧٠٦٩)، وغيرهم من حديث ابن مسعود، وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب من نوقش الحساب عذب حديث (٦٥٣٩).



الأصل التاسع:
الإيمان بالحوض يوم القيامة

قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَالْإِيمَانُ بِالْحَوْضِ، وَأَنَّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حَوْضًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتُهُ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَسِيرَةَ شَهْرٍ، آنِيَتُهُ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ عَلَى مَا صَحَّتْ بِهِ الْأَخْبَارُ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ.

قوله: "وَالْإِيمَانُ بِالْحَوْضِ، وَأَنَّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حَوْضًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتُهُ":

الحوض من الغيبيات التي يجب الإيمان بها، ولا يُخضَع فيها للعقل أو يُرجَع إليه، بل نسلم للشرع والنصوص.

والحوض هو مجتمع الماء، فحوض النبي ﷺ لأمته هو مجتمع الماء لأمته في عرصات القيامة، وهذا هو الصحيح؛ لأن العلماء اختلفوا في مكان الحوض، فمنهم من قال: قبل الصراط في عرصات القيامة، ومنهم من قال: بعد الصراط، ومنهم من قال: هما حوضان، والصواب والله أعلم أنه حوض واحد قبل الصراط؛ إذ هو وقت احتياج الناس للماء، واشتداد الظمأ في عرصات القيامة، وكذلك ورد أن هناك أناسًا يُطرَدون عن الحوض يوم القيامة وهم من ابتدع، أو

من ارتد ونحوهم، وبعد الصراط لا يوجد إلا من حكم له بالجنة، فكيف يُطرَد أحد منهم عن الحوض.

الأدلة على ثبوت الحوض:

الأدلة في إثبات الحوض كثيرة جدًّا، ورواها عدد كبير من الصحابة رضي الله عنهم، ولكثرة ما ورد فيها اخترت منها عددًا من الأحاديث، كل حديث عن صحابي مختلف؛ للدلالة على كثرة من رواه من الصحابة رضي الله عنهم، وهذا قليل من كثير، والعجيب أنه مع كل هذه الآثار الواردة في ذلك، وكثرة الصحابة الذين رووا ذلك وُجِد من أنكر الحوض، ويرد هذه الأحاديث كلها مع كثرتها، ووضوح بيانها، وصراحة ألفاظها، وصدق ربي إذ قال﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦﴾ [القصص:٥٦]، وقال ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٣٢﴾ [يونس:٣٢].

عَنْ جُنْدَبٍ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ»(١).

وَعَنْ سَهْلٍ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ وَرَدَ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، وَلَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ»(٢).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب في الحوض، حديث (٦٥٨٩)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، حديث (٢٢٨٩).

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب في الحوض، حديث (٦٥٨٣)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، حديث (٢٢٩٠).

شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا»(١).

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ قالت: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ أُنَاسٌ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي، فَيُقَالُ: أَمَا شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ؟ وَاللهِ مَا بَرِحُوا بَعْدَكَ يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ» قَالَ: فَكَانَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ يَقُولُ: «اللهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا أَوْ أَنْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِنَا»(٢).

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا قَالَتْ: كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَذْكُرُونَ الْحَوْضَ، وَلَمْ أَسْمَعْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمًا مِنْ ذَلِكَ، وَالْجَارِيَةُ تَمْشُطُنِي، فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «أَيُّهَا النَّاسُ» فَقُلْتُ لِلْجَارِيَةِ: اسْتَأْخِرِي عَنِّي، قَالَتْ: إِنَّمَا دَعَا الرِّجَالَ وَلَمْ يَدْعُ النِّسَاءَ، فَقُلْتُ: إِنِّي مِنَ النَّاسِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لَكُمْ فَرَطٌ عَلَى الْحَوْضِ، فَإِيَّايَ لَا يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ فَيُذَبُّ عَنِّي كَمَا يُذَبُّ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، فَأَقُولُ: فِيمَ هَذَا؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا»(٣).

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ، ثُمَّ صَعِدَ

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب في الحوض حديث (٦٥٧٩)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته حديث (٢٢٩٢).

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب في الحوض حديث (٦٥٩٣)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته حديث (٢٢٩٣).

(٣) رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته حديث (٢٢٩٥).

الْمِنْبَرَ كَالْمُوَدِّعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَإِنَّ عَرْضَهُ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى الْجُحْفَةِ، إِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا، وَتَقْتَتِلُوا، فَتَهْلِكُوا، كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» قَالَ عُقْبَةُ: «فَكَانَتْ آخِرَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ»(١).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَلَأُنَازِعَنَّ أَقْوَامًا ثُمَّ لَأُغْلَبَنَّ عَلَيْهِمْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»(٢).

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَمَامَكُمْ حَوْضًا، مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْهِ كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ»(٣).

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ»(٤).

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته حديث (٢٢٩٦).

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب في الحوض حديث (٦٥٧٥)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته حديث (٢٢٩٧).

(٣) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب في الحوض حديث (٦٥٧٧)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته حديث (٢٢٩٩).

(٤) رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته حديث (٢٣٠٠).

وَعَنْ ثَوْبَانَ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفَضَّ عَلَيْهِمْ». فَسُئِلَ عَنْ عَرْضِهِ فَقَالَ: «مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ» وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ فَقَالَ: «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَالْآخَرُ مِنْ وَرِقٍ»(١).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الْحَوْضَ رِجَالٌ مِمَّنْ صَاحَبَنِي، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُهُمْ وَرُفِعُوا إِلَيَّ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَلَأَقُولَنَّ: أَيْ رَبِّ أُصَيْحَابِي، أُصَيْحَابِي، فَلَيُقَالَنَّ لِي: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»(٢).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَإِنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَ طَرَفَيْهِ كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَأَيْلَةَ، كَأَنَّ الْأَبَارِيقَ فِيهِ النُّجُومُ»(٣).

۞ اختلاف الناس في الحوض:

- **المعتزلة** أنكروا الحوض إذ هو أمر عندهم لا يقبله العقل، وهذا من شؤم تقديم العقول القاصرة على النصوص، ولذلك تجدهم في غالب مسائل العقيدة رائدين لخلاف أهل السنة والنصوص في ذلك، مع أن الأحاديث الواردة في إثبات الحوض قد تبلغ حد التواتر، ورواها عدد كبير من الصحابة رضي الله عنهم كما سلف.

لذا كان أصحاب النبي ﷺ يشتد غضبهم على من يشعرون أنه يُكَذِّب

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته حديث (٢٣٠١).

(٢) رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته حديث (٢٣٠٤).

(٣) رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته حديث (٢٣٠٥).

بالحوض أو أي شيء من الغيبيات، فَعَنْ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: شَهِدْتُ أَبَا بَرْزَةَ دَخَلَ عَلَى عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ، قَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُ إِلَيْكَ لِأَسْأَلَكَ عَنِ الْحَوْضِ، سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ فِيهِ شَيْئًا؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَرْزَةَ: نَعَمْ «لَا مَرَّةً، وَلَا ثِنْتَيْنِ، وَلَا ثَلَاثًا، وَلَا أَرْبَعًا، وَلَا خَمْسًا، فَمَنْ كَذَّبَ بِهِ فَلَا سَقَاهُ اللهُ مِنْهُ، ثُمَّ خَرَجَ مُغْضَبًا»[(١)].

- **الخوارج والرافضة** ممن يثبتون الحوض، لكنهم يخالفون فيمن يُبعَد عن الحوض، فقد اتفقوا في أن أغلب الصحابة يُبعَدون عن الحوض، وهذا عجيب! فإذا كان أغلب الصحابة يُبعَدون فمن الذي سيرده؟! وذلك لأصلهم الفاسد في تكفير أغلب الصحابة، عليهم من الله ما يستحقون.

- **أهل السنة:** يثبتون الحوض كما يثبتون غيره من الغيبيات، ويؤمنون ويصدقون بما جاء عنه من صفات، ولا يردُّون ولا يُحرِّفون شيئًا منها، ويؤمنون أن أفضل من يرد الحوض وأولى الناس به هم صحابة رسول الله ﷺ، فلله درهم.

---

(١) **إسناده صحيح:** أخرجه أحمد (١٩٧٦٣)، وأبو داود (٤٧٤٩)، والبزار (٣٨٥١)، وغيرهم عن أبي برزة به.

قوله: "عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَسِيرَةَ شَهرٍ، آنِيَتُهُ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ عَلَى مَا صَحَّتْ بِهِ الْأَخْبَارُ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ":

صفة الحوض:

✳ طوله وعرضه:

الحوض زواياه متساوية؛ عرضه مثل طوله مسيرة شهر.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا»(١).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «قَدْرُ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ»(٢).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَالْمَدِينَةِ»(٣).

✳ آنيته وكيزانه:

آنيته أو كيزانه كعدد نجوم السماء، فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب في الحوض حديث (٦٥٧٩)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته حديث (٢٢٩٢).

(٢) رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا، وصفاته حديث (٢٣٠٠).

(٣) رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا، وصفاته حديث (٢٣٠٣).

وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ»(١).

قَالَ أَنَسٌ: قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «تُرَى فِيهِ أَبَارِيقُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ»(٢).

❋ ماؤه:

وقد جمع الله تعالى في ماء حوض النبي ﷺ من الفضائل أمورًا، فماؤه أبيض كالورِق -أي الفضة- أو كاللبن، ورائحته أطيب من المسك، وطعمه أحلى من العسل.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا»(٣).

عَنْ ثَوْبَانَ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفَضَّ عَلَيْهِمْ». فَسُئِلَ عَنْ عَرْضِهِ فَقَالَ: «مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ»، وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ فَقَالَ: «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَالْآخَرُ مِنْ وَرِقٍ»(٤).

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا وصفاته حديث (٢٢٩٢).

(٢) رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا، وصفاته حديث (٢٣٠٣).

(٣) رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا وصفاته حديث (٢٢٩٢).

(٤) رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا وصفاته حديث (٢٣٠١).

✵ **منبع مائه:**

الحوض يشجب فيه ميزابان من الجنة، عَنْ ثَوْبَانَ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفَضَّ عَلَيْهِمْ». فَسُئِلَ عَنْ عَرْضِهِ فَقَالَ: «مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ» وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ فَقَالَ: «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَالْآخَرُ مِنْ وَرِقٍ»(١).

ويطرد عن الحوض أناس، وهم مَن أحدث بعد النبي ﷺ وبدَّل وغيَّر، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَى الْمَقْبُرَةَ، فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا» قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ» فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ: «أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ، فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا»(٢).

۞۞۞

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا وصفاته حديث (٢٣٠١).

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب في الحوض حديث (٦٥٨٢)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا وصفاته حديث (٢٣٠٤).



الأصل العاشر:
الإيمان بعذاب القبر ونعيمه

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَالْإِيمَانُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُفتَنُ فِي قُبُورِهَا، وَتُسْأَلُ عَنِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، وَمَنْ رَبُّهُ؟ وَمَنْ نَبِيُّهُ؟ وَيَأْتِيه مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ، كَيْفَ شَاءَ اللهُ وَكَيْفَ أَرَادَ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّصْدِيقُ بِهِ.

قوله: "وَالْإِيمَانُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُفتَنُ فِي قُبُورِهَا":

من عقيدة أهل السنة الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، فالقبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «أَمَا إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ»، قَالَ فَدَعَا بِعَسِيبٍ رَطْبٍ فَشَقَّهُ بِاثْنَيْنِ، ثُمَّ غَرَسَ عَلَى هَذَا وَاحِدًا وَعَلَى هَذَا وَاحِدًا، ثُمَّ قَالَ: «لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا»(١).

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب عذاب القبر من الغيبة والبول حديث (١٣٧٨)، ومسلم في كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه حديث (٢٩٢).

وَعَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ» قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ الْمَغْرَمِ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»(١).

ومن الأدلة على عذاب القبر أيضًا قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٦﴾ [غافر: ٤٦]، فدل ذلك على أنهم يُعرَضون على النار وهم في القبور، وغيرها من الأدلة.

وإضافة العذاب أو النعيم إلى القبر هو من إضافة الشيء إلى مكانه، فالعذاب والنعيم من الله تعالى، لكن مكانه هو القبر.

تنبيه:

نسبة العذاب والنعيم للقبر نسبة أغلبية؛ لأن أغلب الناس يُقبَرون، فالمراد بالعذاب والنعيم بعد الموت أي في حياة البرزخ، وهذا يحل إشكالًا يورده بعضهم: إذا لم يُقبَر الإنسان بأن غرق أو حرق أو أكلته الوحوش، هل يُعذَّب أو يُنعَّم؟ فالجواب: نعم، يُعذَّب أو يُنعَّم؛ لأن نسبة العذاب والنعيم إلى القبر نسبة أغلبية كما سبق، وليست مقصودة لذاتها، والمراد أنه في حياة البرزخ.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام حديث (٨٣٢)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة حديث (٥٨٧).

قوله:"وَتُسْأَلُ عَنِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، وَمَنْ رَبُّهُ؟ وَمَنْ نَبِيُّهُ؟ وَيَأْتِيه مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ، كَيْفَ شَاءَ اَللهُ وَكَيْفَ أَرَادَ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّصْدِيقُ بِهِ":

وأهل السنة يؤمنون بفتنة القبر والسؤال فيه؛ حيث يأتي العبدَ منكَرٌ ونكيرٌ، يسألانه عن ربه، ونبيه، وعن الإسلام، فيجب الإيمان بذلك والتصديق به.

فَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرُ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ «هَاهُنَا» وَقَالَ: « وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ حِينَ يُقَالُ لَهُ: يَا هَذَا، مَنْ رَبُّكَ وَمَا دِينُكَ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ » قَالَ هَنَّادٌ: قَالَ: « وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ » قَالَ: « فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَيَقُولَانِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ «زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ» فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧﴾ [إبراهيم: ٢٧]، - ثُمَّ اتَّفَقَا - قَالَ: « فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ » قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا» قَالَ: «وَيُفْتَحُ لَهُ فِيهَا مَدَّ بَصَرِهِ» قَالَ: «وَإِنَّ الْكَافِرَ» فَذَكَرَ مَوْتَهُ قَالَ: « وَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ: لَهُ مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي،

فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ » قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا» قَالَ: «وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ» زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ قَالَ: «ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَبْكَمُ مَعَهُ مِرْزَبَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا» قَالَ: «فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ فَيَصِيرُ تُرَابًا» قَالَ: «ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ»[(١)].

✻ مسألة: هل عذاب القبر على البدن أم على الروح أم على الاثنين معًا؟

الصحيح - والله أعلم - أنه على الاثنين معًا، فقد أخبر النبي ﷺ كما سبق أن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، يسمع قرع نعالهم فيأتيه الملكان......[(٢)]، والعبد يطلق على الروح والجسد.

(١) إسناده صحيح: أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وأبو داود (٤٧٥٣)، والطيالسي (٧٨٩)، وغيرهم من طرق عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء به، وأعله بعضهم كابن حبان بالانقطاع بين الأعمش والمنهال بن عمرو، وأن بينهما رجلًا، لكن الأعمش تابعه يونس بن خباب كما عند أحمد (١٨٦١٤)، وعبد الرزاق (٦٧٣٧)، وغيرهما.

(٢) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب الميت يسمع خفق النعال حديث (١٣٣٨)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه حديث (٢٨٧٠).



للاستماع للشرح المختصر للأصول السابقة

استخدم الرمز الضوئي:

الأصل الثامن: الإيمان بالوزن والميزان يوم القيامة.

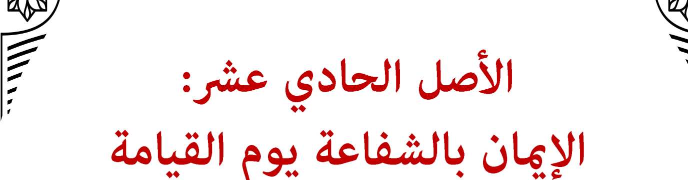
الأصل التاسع: الإيمان بالحوض يوم القيامة.

الأصل العاشر: الإيمان بعذاب القبر ونعيمه.

امسح الرمز الضوئي







الأصل الحادي عشر:
الإيمان بالشفاعة يوم القيامة

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَالْإِيمَانُ بِشَفَاعَةِ اَلنَّبِيِّ ﷺ، وَبِقَوْمٍ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَا احْتَرَقُوا وَصَارُوا فَحْمًا، فَيُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى نَهْرٍ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ، كَيْفَ شَاءَ اللهُ، وَكَمَا شَاءَ، إِنَّمَا هُوَ الْإِيمَانُ بِهِ، وَالتَّصْدِيقُ بِهِ.

قوله: "وَالْإِيمَانُ بِشَفَاعَةِ اَلنَّبِيِّ ﷺ، وَبِقَوْمٍ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَا احْتَرَقُوا وَصَارُوا فَحْمًا، فَيُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى نَهْرٍ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ، كَيْفَ شَاءَ اللهُ، وَكَمَا شَاءَ، إِنَّمَا هُوَ الْإِيمَانُ بِهِ، وَالتَّصْدِيقُ بِهِ":

الشفاعة: هي طلب الخير للغير.

والشفاعة في الجملة نوعان:

النوع الأول: الشفاعة في الدنيا:

وهي أمر مشروع ومستحب، ما لم يخالف نصًّا، أو يفوِّت مصلحة، أو يأتي بمفسدة، فعن أبي موسى، قال: كان رسول الله ﷺ إذا جاءه السائل أو طلبت إليه

حاجة قال: «اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ﷺ ما شاء»[(١)]، فالشفاعة عمل صالح للمرء له فيها أجر؛ لذلك فالنبي ﷺ مع جلالة قدره ومكانته شفع عند الصحابة، كما في حديث بريرة، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ مُغِيثًا كَانَ عَبْدًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ اشْفَعْ لِي إِلَيْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا بَرِيرَةُ اتَّقِي اللهَ، فَإِنَّهُ زَوْجُكِ وَأَبُو وَلَدِكِ»، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَأْمُرُنِي بِذَلِكَ، قَالَ: «لَا، إِنَّمَا أَنَا شَافِعٌ فَكَانَ دُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى خَدِّهِ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْعَبَّاسِ: «أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ، وَبُغْضِهَا إِيَّاهُ»[(٢)].

ومن الأحكام المتعلقة بالشفاعة في الدنيا: أن الشافع ليس آمرًا إنما هو شافع، وهذا يعني أنه إن رُدَّت شفاعته لا يغضب، وإلا فإن بريرة لم تقبل شفاعة رسول الله ﷺ، ولم يغضب منها ولم يعتب عليها، فهي مجرد شفاعة، فإذا دخلت لتصلح بين اثنين فإنك تؤجر على ذلك، ولو لم تقبل شفاعتك، بشرط ألا تخالف نصًّا، أو تأتي بمفسدة، أو تضيع حدًّا؛ فَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ، حِبُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟» ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ

---

(١) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة حديث (١٤٣٢)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام حديث (٢٦٢٧).

(٢) رواه البخاري في كتاب الطلاق، باب شفاعة النبي في زوج بريرة حديث (٥٢٨٣).

لَقَطَعْتُ يَدَهَا»[١].

۞ النوع الثاني: الشفاعة في الآخرة، وهي المرادة هنا، وهي أنواع:

١- الشفاعة العظمى؛ حيث يذهب الناس إلى الأنبياء ليشفعوا لهم، ولا يشفع أحد من الأنبياء إلا رسول الله ﷺ، فَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «يَجْتَمِعُ المُؤْمِنُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلاَئِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ ذَنْبَهُ فَيَسْتَحِي، ائْتُوا نُوحًا، فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ سُؤَالَهُ رَبَّهُ مَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ فَيَسْتَحِي، فَيَقُولُ: ائْتُوا خَلِيلَ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، ائْتُوا مُوسَى، عَبْدًا كَلَّمَهُ اللهُ وَأَعْطَاهُ التَّوْرَاةَ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ قَتْلَ النَّفْسِ بِغَيْرِ نَفْسٍ، فَيَسْتَحِي مِنْ رَبِّهِ، فَيَقُولُ: ائْتُوا عِيسَى عَبْدَ اللهِ وَرَسُولَهُ، وَكَلِمَةَ اللهِ وَرُوحَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ، عَبْدًا غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَأْتُونِي، فَأَنْطَلِقُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنَ لِي، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ تُعْطَهْ، وَقُلْ يُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُهُ بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ، فَأَقُولُ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ القُرْآنُ،

---

(١) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار حديث (٣٤٧٥)، ومسلم في كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره حديث (١٦٨٨).

وَوَجَبَ عَلَيْهِ الخُلُودُ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ القُرْآنُ، يَعْنِي قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [البقرة: ١٦٢][١].

٢- الشفاعة في أن يدخل قوم الجنة بغير حساب، كما في حديث عكاشة بن محصن، فَعَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ حُصَيْبٍ الْأَسْلَمِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ، أَوْ حُمَةٍ، فَقَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ، وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى ﷺ وَقَوْمُهُ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ الْآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ»، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللهِ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ؟» فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، فَقَالَ: " ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ؟»، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادْعُ

---

(١) رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى :" وعلم آدم الأسماء كلها " حديث (٤٤٧٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة حديث (١٩٣).

اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»(١).

٣- **الشفاعة في أن يدخل أهل الجنة الجنة**، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»(٢).

٤- **الشفاعة في رفع درجات ومراتب بعض أهل الجنة،** كما في حديث أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ، فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ»، فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَقَالَ: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ»، ثُمَّ قَالَ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ»(٣).

وفي الحديث عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا رب، أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك»(٤)، فهذا يدل على أن استغفار الولد لوالده يرفعه الله به

---

(١) هذا الحديث رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب حديث (٥٧٠٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب حديث (٢١٨).

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان، بَابٌ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا» حديث (١٩٧).

(٣) رواه مسلم في كتاب الجنائز، بَابٌ فِي إِغْمَاضِ الْمَيِّتِ وَالدُّعَاءِ لَهُ إِذَا حُضِرَ حديث (٩٢٠).

(٤) **إسناده حسن**: رواه أحمد (٨٧٥٨)، وابن ماجه (٣٦٦٠)، والدارمي (٣٥٠٧)، =

درجة أعلى من الدرجة التي هو فيها.

٥- الشفاعة في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فمن ثقلت حسناته يدخل الجنة، ومن ثقلت سيئاته يدخل النار، ومن تساوت حسناته وسيئاته قيل هم أهل الأعراف، فقد سئل حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن أهل الأعراف فقال: هؤلاء أناس تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيقفون على الصور بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم(١)، فهؤلاء تنفعهم الشفاعة، وقد رجح هذا الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ(٢).

٦- الشفاعة في أهل الكبائر، وقد خالف فيها أهلَ السنة بعضُ أهل البدع، فبعض أهل البدع نفى هذه الشفاعة، مستدلين بقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ **[المدثر: ٤٨]**، وقوله تعالى﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ **[المائدة:٣٧]**، ونحوها من الآيات.

تنبيه: للوصول إلى الحكم الصحيح والفهم السديد للنصوص لا بد أولًا من النظر للسياق الذي ورد فيه النص، ثانيًا جمع النصوص وخاصة في أبواب العقيدة، فضلال أهل البدع أتى من هنا وهو أنهم يتركون السياق ويبترون النصوص، ومن باب أولى لا يجمعون كل النصوص، فسياق الآيات التي استدلوا بها يدل على أنها نزلت في سياق الحديث عن الكافرين، وهؤلاء لا

= وغيرهم من حديث أبي هريرة به، وصححه الهيثمي، والبوصيري، والشيخ شعيب، وغيرهم.

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٢١٢)، والبيهقي في البعث والنشور (١٠٢، ١٠٣).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٢٨).

شفاعة لهم، ففي الآية الأولى قال تعالى﴿فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٤١ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ۝٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤٦ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ۝٤٧ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ۝٤٨﴾ [المدثر: ٤٠- ٤٨]، والآية الثانية كذلك قال تعالى﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٣٦ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ۝٣٧﴾ [المائدة:٣٦-٣٧]، ونحو ذلك، أما غير الكفار من المسلمين فقد ورد ثبوت الشفاعة لهم، قال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ۝٢٨﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فالشفاعة ثابتة للمسلم لكن بشرطين: الإذن، والرضا من الله تعالى، وما عدا ذلك فلا شفاعة، بل صرح النبي ﷺ بثبوت شفاعته لبعض المسلمين في نصوص كثيرة منها:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة»[(١)].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء حديث (٦١٤).

(٢) إسناده صحيح: أخرجه أحمد (١٣٢٢٢)، وأبو داود (٤٧٩٣)، والترمذي (٢٤٣٥)، =

والخوارج ينكرون ذلك؛ لأنهم يكفرون مرتكب الكبيرة، والمعتزلة ينكرون ذلك؛ لأن مرتكب الكبيرة عندهم في منزلة بين المنزلتين يعامل في الدنيا معاملة المسلم الفاسق، لكنه في الآخرة مخلد في النار، وكذلك لمخالفتها للنصوص القرآنية الواردة - بزعمهم - في نفي الشفاعة، وسبق الجواب عن هذا، وقالوا الأحاديث الواردة فيها آحاد، ومخالفة لظاهر نصوص القرآن.

والجواب: أنَّ هذا ليس مخالفًا لظاهر القرآن ، بل السياق الوارد ليس في محل النزاع أصلًا كما سبق بيانه، وهو مع ذلك لا يخالف العقل الذي هو قبلة المعتزلة في قبول النصوص، فالله تعالى عذبه بقدر ما أراد من ذنبه، ثم أذن للشفعاء أن يشفعوا لإخراجه من النار، أو عفى عنه تَفَضُّلًا منه سبحانه، فالشفاعة لا تخالف العقل، بل إن العقل والفطرة يدلان على الشفاعة، فالناس يشفع بعضهم في بعض في أمور الدنيا، وفي الآخرة يشفع بعد إذن الله ورضاه سبحانه، وهذا يدل على أن العبد ضعيف لا يستطيع أن يشفع إلا بإذن الله، وأيضًا يدل على سعة عفو الله، وأن رحمته غلبت غضبه، فمن الناحية العقلية الشفاعة موجودة، وهي أمر محمود أيضًا، بل هي بيان لصفات الله تعالى، فضلًا عن النصوص الكثيرة الواردة في ذلك.

❋ الشفاعة لأهل الكبائر نوعان:

الأولى: الشفاعة بأن يغفر الله سيئاتهم التي رجحت على حسناتهم فلا يدخلون النار ابتداء، ومن ذلك شفاعة الأنبياء على الصراط، فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي ﷺ «فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ،

= وغيرهم، وصححه الترمذي، والألباني، وغيرهما.

وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ»[(١)]، والمعنى اللهم سلِّم مَن حُكِم به إلى النار، أي سلِّمه من دخولها، فلعله تنفعه شفاعة الأنبياء وقتها.

الثانية: الشفاعة في قوم من أهل الكبائر دخلوا النار، وهذا الذي أشار إليه الإمام -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-، أنهم يخرجون من النار بعدما احترقوا وصاروا فحمًا، فعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خلص المؤمنون من النار يوم القيامة وأمنوا، فما مجادلة أحدكم لصاحبه في الحق يكون له في الدنيا، بأشد مجادلة له من المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أدخلوا النار»، قال: « يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا، ويصومون معنا، ويحجون معنا، فأدخلتَهم النار » قال: فيقول: « اذهبوا فأخرجوا من عرفتم، فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم، لا تأكل النار صورهم، فمنهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من أخذته إلى كعبيه، فيخرجونهم، فيقولون: ربنا أخرجنا من أمرتنا، ثم يقول: أخرجوا من كان في قلبه وزن دينار من الإيمان، ثم من كان في قلبه وزن نصف دينار، حتى يقول: من كان في قلبه مثقال ذرة ». قال أبو سعيد: فمن لم يصدق بهذا، فليقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٤٠﴾ [النساء: ٤٠]، قال: « فيقولون: ربنا قد أخرجنا من أمرتنا، فلم يبق في النار أحد فيه خير » قال: « ثم يقول الله: شفعت الملائكة، وشفع الأنبياء، وشفع المؤمنون، وبقي أرحم الراحمين »، قال: « فيقبض قبضة من النار، - أو قال: قبضتين - ناس لم يعملوا لله خيرا قط قد احترقوا حتى صاروا حمما »، قال: « فيؤتى بهم إلى ماء يقال له: ماء الحياة، فيصب عليهم، فينبتون

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة حديث (١٩٥).

كما تنبت الحبة في حميل السيل، فيخرجون من أجسادهم مثل اللؤلؤ، في أعناقهم الخاتم: عتقاء الله »، قال: « فيقال لهم: ادخلوا الجنة، فما تمنيتم أو رأيتم من شيء فهو لكم عندي أفضل من هذا »، قال: « فيقولون: ربنا وما أفضل من ذلك؟ » قال: «فيقول رضائي عليكم فلا أسخط عليكم أبدا»[(١)]،وفي الحديث يقول الله تعالى: (شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين)[(٢)]، وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»[(٣)]، وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُخْرِجُ قَوْمًا مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ»[(٤)].

٧- الشفاعة في أبي طالب عم النبي ﷺ، عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، قال للنبي ﷺ: ما أغنيت عن عمك، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»[(٥)]، وهذه هي الشفاعة الوحيدة في كافر، وتكون خاصة بالنبي ﷺ فقط، لكنها ليست في

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، حديث (٦٥٤٩)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة حديث (٢٨٢٩).

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية حديث (١٨٣).

(٣) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد (١٣٢٢٢)، وأبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥)، وغيرهم من طرق عن أنس بن مالك به.

(٤) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار حديث (٦٥٥٨)، و مسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة حديث (١٩١).

(٥) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب في قصة أبي طالب حديث (٣٨٨٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي لأبي طالب حديث (٢٠٩).

الخروج من النار، فإنه مخلد في النار، وإنما في تخفيف العذاب عنه.

والكافر الذي يفعل الخيرات لا تنفعه في الآخرة، بل يُطعَم بها في الدنيا، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا»(١).

والشفاعات الخاصة بالنبي ﷺ هي: الشفاعة العظمى، فتح باب الجنة، وتخفيف العذاب عن أبي طالب.

✷ الشفعاء يوم القيامة:

الشفعاء يوم القيامة كثر، منهم:

- **الملائكة، والأنبياء، والمؤمنون**، كما في حديث أبي سعيد: عن النبي ﷺ «فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.........»(٢).

- **الشهداء**، قال نمران بن عتبة الذماري: دخلنا على أم الدرداء ونحن أيتام، فقالت: أبشروا فإني سمعت أبا الدرداء يقول: قال رسول الله ﷺ: «يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته»(٣).

---

(١) رواه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا حديث (٢٨٠٨).

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية حديث (١٨٣).

(٣) **إسناده ضعيف**: أخرجه أبو داود (٢٥٢٢)، وابن حبان (٤٦٦٠)، والبيهقي في الكبرى (١٨٥٢٧) وغيرهم من طريق نمران بن عتبة الذمار عن أم الدرداء عن أبي الدرداء به، =

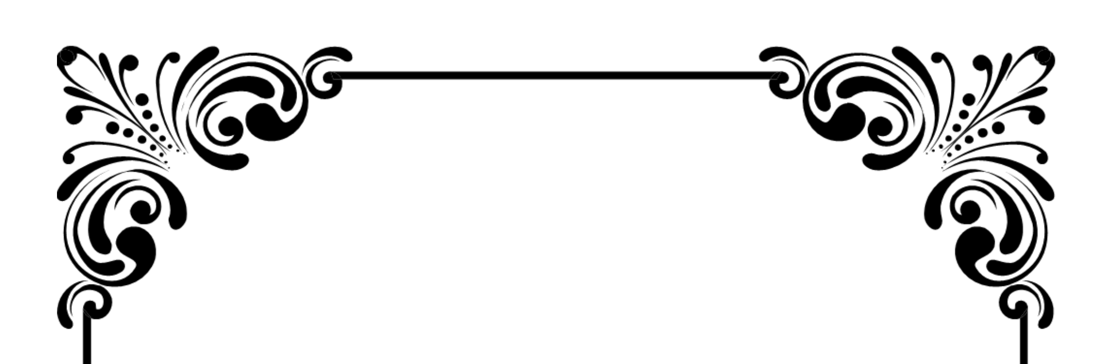
- **وكذلك الأعمال الصالحة:** ومنها القرآن، فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ»(١)، وغير ذلك.

❊

=

ونمران بن عتبة لم يوثقه أحد وجهله الذهبي وابن حجر، فهو على الجهالة، وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ لتصحيح ابن حبان له.

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، حديث (٨٠٤).



للاستماع للشرح المختصر للأصل السابق

استخدم الرمز الضوئي:

الأصل الحادي عشر: الإيمان بالشفاعة يوم القيامة.

امسح الرمز الضوئي





الأصل الثاني عشر:
الإيمان بخروج المسيح الدجال

قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَالْإِيمَانُ أَنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ خَارِجٌ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ وَالْأَحَادِيثُ اَلَّتِي جَاءَتْ فِيهِ، وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ، وَأَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنْزِلُ فَيَقْتُلُهُ بِبَابِ لُدٍّ.

قوله: "وَالْإِيمَانُ أَنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ خَارِجٌ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ وَالْأَحَادِيثُ اَلَّتِي جَاءَتْ فِيهِ، وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ":

وهذا أيضًا من الغيبيات التي يجب الإيمان بها، وهو من علامات الساعة، وعلامات الساعة نوعان صغرى وكبرى، وهنا أشار إلى علامة من العلامات الكبرى وهي خروج المسيح الدجال، وعلامات الساعة الكبرى هي عشر علامات كما قال ﷺ: «إن الساعة لا تكون حتى تروا عشر آيات، وهي: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، والدخان، والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس»، وقال أحد الرواة في العاشرة: «ونزول عيسى بن مريم»،

وقال الآخر: «وريح تلقي الناس في البحر»[(١)].

وقد قيل: إن أول العلامات هي خروج المسيح الدجال. وقيل: بل طلوع الشمس من مغربها. ووفق بعض العلماء وجمع بينهما فقال: إن أول العلامات الأرضية هي خروج المسيح الدجال، وأول العلامات السماوية التي تنبئ باختلال الكون السماوي هي خروج الشمس من مغربها، واستدلوا على ذلك بأن الشمس إذا خرجت من مغربها لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أما زمن المسيح الدجال فلا يزال فيه إيمان وكفر، فدل ذلك على أنه سيكون قبل خروج الشمس من مغربها.

وورد أن آخر العلامات الصغرى هي مدينة يفتحها المسلمون ويغنمون فيها مغنمة عظيمة، فإذا جلسوا يوزعون الغنائم يسمعون من يصيح ويصرخ فيهم: لقد ظهر المسيح الدجال، وخلفكم في أهلكم وذراريكم. فيتركون الغنائم ويعودون سريعًا إلى بيوتهم، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ، مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافُّوا، قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا، وَاللهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا، فَيُقَاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ، أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ، لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ، قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمِ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الآيات التي تكون قبل الساعة حديث (٢٩٠١).

خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ، يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ، فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ، ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ»(١).

وقد سُمِّي المسيح الدجال بالمسيح؛ لأن إحدى عينيه ممسوحة، وقيل: لأنه يمسح الأرض كلها في أربعين يومًا.

والدجال هو الكذاب؛ لأنه يكذب بادعاء الألوهية والربوبية، وقيل: الدجال هو المموه الذي يظهر معه أشياء على غير حقيقتها، كما ورد أنه يكون معه جنة ونار، وجنته نار وناره جنة(٢).

وفتنة الدجال من أكبر الفتن التي حذر منها رسول الله ﷺ؛ حيث قال: «ما من نبي إلا أنذر أمته الأعور الدجال، وإني أنذركموه»(٣)، وكان النبي ﷺ في كل صلاة يستعيذ منه، فيقول بعد التشهد الأخير: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال»(٤).

---

(١) هذا الحديث رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب فتح قسطنطينية حديث (٢٨٩٧).

(٢) رواه البخاري في كتاب الفتن، باب ذكر الدجال حديث (٧١٣٠)، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته حديث (٢٩٣٤).

(٣) رواه البخاري في كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام حديث (٨٣٢)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة حديث (٥٨٧).

(٤) رواه البخاري في كتاب الفتن، باب ذكر الدجال حديث (٧١٣١)، ومسلم في كتاب =

❋ صفات الدجال:

ولعظم فتنة الدجال فقد بين الله تعالى بعض صفاته على لسان نبيه ﷺ، فقد ورد بعض هذه الصفات في حديث تميم الداري، فعن فاطمة بنت قيس قالت: فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِي، مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ، يُنَادِي: الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنبَرِ، وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: « إِنِّي وَاللهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ، لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ، فَلَعِبَ بِهِمِ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَئُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ، مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا، حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ

= الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته حديث (٢٩٣٣).

بَحْرِيَّةٍ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا، فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقُلْنَا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا، وَفَزِعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا، هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ، قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً - أَوْ وَاحِدًا - مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا، يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ: «هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ» - يَعْنِي الْمَدِينَةَ - «أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟» فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، «فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ، أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي

كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ، وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّأْمِ، أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ» وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ، قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ»[(١)].

- فهذا دليل على أنه موجود بالفعل منذ هذا الزمن وقبله، وأنه سيخرج في الوقت الذي قدره الله تعالى.

- ومن صفاته أنه أعور، قال ﷺ: «إما أنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وإن بين عينية مكتوب ك ف ر»[(٢)].

وعن ابن عباس، عن النبي ﷺ، أنه قال في الدجال: «أعور هجان أزهر، كأن رأسه أصلة، أشبه الناس بعبد العزى بن قطن، فإما هلك الهلك، فإن ربكم ليس بأعور»[(٣)].

ومع وضوح صفات الدجال، وبيان النبي ﷺ لكل فتنة معه، لكن مع ذلك يتبعه كثير من الناس ويفتن به، وهذا يدل على خطورة الشبه والفتن ولا يعصم منها إلا الله.

ولا يقع الإنسان في شراك الفتن إلا إذا حاد عن طريق الله ورسوله ﷺ،

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في قصة الجساسة حديث (٢٩٤٢).

(٢) رواه البخاري في كتاب الفتن، باب ذكر الدجال حديث (٧١٣١)، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته حديث (٢٩٣٣).

(٣) **إسناده حسن:** رواه أحمد (٢١٤٨)، وابن حبان (٦٧٩٦)، وغيرهما من طرق عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس، وسماك يضطرب في رواية عكرمه، ولكن تابعه قتادة في رواية أحمد.

فيكون ذلك عقابًا من الله له.

وأيضًا من الفتن في عصر المسيح الدجال أن معه جنة ونارًا، فَعَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى، جُفَالُ الشَّعَرِ، مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ، فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ»(١)، وكلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ أصدق من رؤيا العين، فالنبي أمر من تعرض لهذا أن يأتي النار فإنها ماء بارد، قال عقبة بن عمرو، لحذيفة: ألا تحدثنا ما سمعتَ من رسول الله ﷺ، قال: إني سمعته يقول: «إن مع الدجال إذا خرج ماء ونارا، فأما الذي يرى الناس أنها النار فماء بارد، وأما الذي يرى الناس أنه ماء بارد فنار تحرق، فمن أدرك منكم فليقع في الذي يرى أنها نار، فإنه عذب بارد»(٢).

وَعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا» قُلْنَا: يَا

---

(١) رواه البخاري في كتاب الفتن، باب ذكر الدجال حديث (٧١٣٠)، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته حديث (٢٩٣٤).

(٢) انظر ما قبله.

رَسُولَ اللهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ، أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ، يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ»[(١)].

وأكثر الذين يتبعون المسيح الدجال هم اليهود لعنهم الله، وخاصة يهود أصبهان، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ، سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته حديث (٢٩٣٧).

(٢) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال حديث (٢٩٤٤).

۞ هل ابن صياد هو الدجال:

- والراجح والله أعلم أن ابن صياد ليس هو الدجال بدليل حديث تميم الداري السابق، ولكن شغل أمرُه رسولَ الله ﷺ، فعن سالم بن عبد الله، أن ابن عمر رضي الله عنهما، أخبره أن عمر انطلق مع النبي ﷺ في رهط قبل ابن صياد، حتى وجدوه يلعب مع الصبيان عند أطم بني مغالة، وقد قارب ابن صياد الحلم، فلم يشعر حتى ضرب النبي ﷺ بيده، ثم قال لابن صياد: «تشهد أني رسول الله؟»، فنظر إليه ابن صياد، فقال: أشهد أنك رسول الأميين، فقال ابن صياد للنبي ﷺ أتشهد أني رسول الله؟ فرفضه وقال: «آمنت بالله وبرسله»، فقال له: «ماذا ترى؟» قال ابن صياد: يأتيني صادق وكاذب، فقال النبي ﷺ: «خلط عليك الأمر»، ثم قال له النبي ﷺ: «إني قد خبأت لك خبيئا»، فقال ابن صياد: هو الدخ، فقال: «اخسأ، فلن تعدو قدرك»، فقال عمر رضي الله عنه: دعني يا رسول الله أضرب عنقه، فقال النبي ﷺ: «إن يكنه فلن تسلط عليه، وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله»[(١)].

وعن سالم قال: سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول: انطلق بعد ذلك رسول الله ﷺ وأبي بن كعب إلى النخل التي فيها ابن صياد، وهو يختل أن يسمع من ابن صياد شيئا قبل أن يراه ابن صياد، فرآه النبي ﷺ وهو مضطجع - يعني في قطيفة له فيها رمزة أو زمرة - فرأت أم ابن صياد رسول الله ﷺ، وهو يتقي بجذوع النخل، فقالت لابن صياد: يا صاف - وهو اسم ابن صياد - هذا محمد ﷺ،

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجنائز، بَابُ إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ، هَلْ يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَهَلْ يُعْرَضُ عَلَى الصَّبِيِّ الإِسْلاَمُ حديث (١٣٥٤)، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد حديث (٢٩٣١).

فثار ابن صياد، فقال النبي ﷺ: «لو تركته بين»[١].

۞ ولذلك اختلف الصحابة ﭫ في أمره هل هو الدجال أم لا؟:

فَعَنْ نَافِعٍ، قَالَ: لَقِيَ ابْنُ عُمَرَ ابْنَ صَائِدٍ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ قَوْلًا أَغْضَبَهُ، فَانْتَفَخَ حَتَّى مَلَأَ السِّكَّةَ، فَدَخَلَ ابْنُ عُمَرَ عَلَى حَفْصَةَ وَقَدْ بَلَغَهَا، فَقَالَتْ لَهُ: رَحِمَكَ اللهُ مَا أَرَدْتَ مِنِ ابْنِ صَائِدٍ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ غَضْبَةٍ يَغْضَبُهَا؟»[٢].

عن أبي سعيد الخدري، قال: حججنا فنزلنا تحت شجرة وجاء ابن صائد، فنزل في ناحيتها، فقلت: إنا لله ما صب هذا علي، قال: فقال: يا أبا سعيد ما ألقى من الناس، وما يقولون لي؟ يقولون: إني الدجال، أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الدجال لا يولد له، ولا يدخل المدينة، ولا مكة»، قال: قلت: بلى، وقال: «قد ولد لي، وقد خرجت من المدينة، وأنا أريد مكة»، قال أبو سعيد: فكأني رققت له، فقال: والله إن أعلم الناس بمكانه لأنا، قال: قلت: تبا لك سائر اليوم[٣].

إذن فتنة ابن صياد كانت كبيرة جدًّا تحير فيها الصحابة، واختلفوا، فمنهم من يقول إنه الدجال، فعن محمد بن المنكدر، قال: رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله: أن ابن الصائد الدجال، قلت: تحلف بالله؟ قال: «إني سمعت عمر

---

(١) رواه البخاري في كتاب الشهادات، باب شهادة المختبي حديث (٢٦٣٨)، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد حديث (٢٩٣٠).

(٢) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد حديث (٢٩٣٢).

(٣) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد حديث (٢٩٢٧).

يحلف على ذلك عند النبي ﷺ، فلم ينكره النبي ﷺ»[١]، ومنهم من ينكر ذلك لحديث تميم الداري السابق وغيره، لكن الأدلة تدل على أنه ليس هو المسيح الدجال المعهود، وإن كان دجالًا من الدجاجلة.

۞ ما يعصم الله به من الدجال:

وإنما يُعصَم المسلم من الدجال بشيئين:

الأول: عدم إتيانه، فقد نهى ﷺ عن إتيانه، فَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَمِعَ مِنْكُمْ بِخُرُوجِ الدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ، أَنَّهُ مُؤْمِنٌ، فَمَا يَزَالُ بِهِ حَتَّى يَتَّبِعَهُ مِمَّا يَرَى مِنَ الشُّبُهَاتِ»[٢].

الثاني: إن لقيه المسلم، أو أدركه الدجال فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف: فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ»[٣]، وقوله: «من أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف»[٤].

قوله: "وَأَنَّ عِيسَى ابْن مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنْزِلُ فَيَقْتُلُهُ بِبَابِ لُدٍّ":

نبي الله عيسى عليه السلام هو الذي يقتل الدجال، يقتله عند باب لد في

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد حديث (٢٩٢٩).

(٢) أخرجه أحمد (١٩٨٥٧)، وأبو داود (٤٣١٩)، وابن أبي شيبة (٣٧٤٥٩)، وغيرهم من حديث عمران بن حصين، وسنده صحيح، وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف، وآية الكرسي حديث (٨٠٩).

(٤) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته حديث (٢٩٣٧).

دمشق، قال ﷺ: «فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين -أي حلتين- واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر -أي الماء- وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ -أي الفضة- فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله»[(١)]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ«فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ، ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الدجال وصفته حديث (٢٩٣٧).

(٢) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب فتح قسطنطينية حديث (٢٨٩٧).



للاستماع للشرح المختصر للأصل السابق

استخدم الرمز الضوئي:

الأصل الثاني عشر: الإيمان بخروج المسيح الدجال.

امسح الرمز الضوئي





الأصل الثالث عشر:
الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص

قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَالْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ كَمَا جَاءَ فِي ٱلْخَبَرِ: (أَكْمَلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا).

قوله: "وَالْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ":

مسألة الإيمان من المسائل الهامة المُمَيِّزة لمذهب أهل السنة والجماعة؛ لأنها تفرق بين أهل السنة وغيرهم، وخلاصة القول فيها أن الإيمان قول وعمل، وليس الإيمان القول فقط كما يقول بعض فرق المرجئة؛ لأن القول فقط يعني أن المنافقين كانوا مؤمنين، وليس الإيمان المعرفة فقط كما يقول الجهمية؛ لأن معنى ذلك أن إبليس وفرعون مؤمنان، وليس الإيمان القول والتصديق فقط كما هو قول مرجئة الفقهاء؛ لأن هذا ينفي العمل مطلقًا من الإيمان، وهو ركن من أركان الإيمان.

فمذهب أهل السنة أن الإيمان قول وعمل، وبعضهم يزيد في التعريف وينقص، لكن الجميع يرجع إلى هذا المعنى، فبعضهم يقول: الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان والجوارح، ومنهم من يقول: القول

قولان قول اللسان، وقول القلب وهو التصديق، والعمل عملان عمل القلب كالإنابة والتوكل والخشية، ونحوه، وعمل الجوارح.

والكلام عن الإيمان ينتظم في مسائل:

۞ المسألة الأولى: معنى الإيمان:

الإيمان عند أهل السنة هو قول وعمل.

وعند أغلب فرق المرجئة هو التصديق، وعند بعضهم أنه المعرفة، وقيل غير ذلك.

ومن قال: الإيمان هو التصديق. اعتمد على المعنى اللغوي أن الإيمان في اللغة التصديق.

والبيان والتوضيح لذلك بأمور منها:

- أن أهل اللغة لم يجمعوا أن الإيمان هو التصديق، فمنهم من قال: الإيمان هو التصديق، ومنهم من قال: هو الإقرار، وغير ذلك.

- أيضًا فإن الحقائق إما لغوية أو شرعية أو عرفية، فالحقائق اللغوية تُبحَث في اللغة، والحقائق العرفية تُبحَث في العرف، والحقائق الشرعية تُبحَث في الشرع.

فحين نبحث عن الأحكام والمعاني الشرعية نبحث عنها في الشرعيات، والخلاف في مسألة الإيمان بين أهل السنة وغيرهم خلاف شرعي، فنبحث عنه في الشرعيات، فإذا قلنا تنزُّلًا معهم: الإيمان في اللغة هو التصديق، فهذا لا يفض النزاع في المسألة؛ لأننا نبحث عن معنى الإيمان في الشرع وليس في اللغة، فضلًا

أن القول بأن الإيمان في اللغة هو التصديق قول متنازع فيه؛ لذا لو قارنا من الناحية اللغوية بين الإيمان والتصديق لوجدنا خلافًا بينهما منه: أن ضد التصديق في اللغة هو التكذيب، وعكس الإيمان هو الكفر.

وأيضًا فإن الإيمان يتعدى بحرف الجر؛ لذلك قال إخوة يوسف: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾ [يوسف: ١٧]، وقال تعالى ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥]، بخلاف التصديق قد يتعدى بنفسه، قال تعالى: ﴿قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥﴾ [الصافات: ١٠٥] .

وكذلك فإنه ورد أن التصديق قد يكون بالعمل، كما ذكر الله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام لما رأى رؤيا أنه يذبح إسماعيل فهو كان مُصَدِّقًا قطعًا قال: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢﴾ [الصافات: ١٠٢] ، ورؤيا الأنبياء حق، ثم قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥﴾ [الصافات: ١٠٣ – ١٠٥] ، فأخبر الله عنه أنه صدق لما عمل، فالتصديق نفسه قد يطلق أحيانًا على العمل.

إذن حتى القول بأن الإيمان هو التصديق من الناحية اللغوية غير مسلَّم، فضلًا أننا نبحث في مسألة الإيمان من الناحية الشرعية، وليس من الناحية اللغوية.

۞ المسألة الثانية: الأدلة على أن الإيمان قول وعمل:

وقد استدل أهل السنة على كون العمل من الإيمان بأدلة كثيرة:

✳ أولًا: الأدلة من القرآن، ومنها:

- قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥]، قال ابن رجب الحنبلي: وقد استَدَلَّ على أنَّ الأعمال تدخلُ في الإيمانِ بهذه الآية طوائفُ من الأئمةِ، منهم: الشافعيُّ، وأحمدُ، والحميديُّ، وقال الشافعيُّ: ليسَ عليهم أحجُّ من هذه الآيةِ[(١)].

عن أبي عثمان محمد بن محمد بن إدريس الشافعي قال سمعت أبي يقول ليلة للحميدي: ما يُحَجُّ عليهم (يعني أهل الإرجاء) بآية أحج من قوله عز وجل ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة:٥][(٢)].

- قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [التوبة: ١١]، فبمفهوم المخالفة أنهم إن لم يتوبوا ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فليسوا إخواننا في الدين، فعلق الله تعالى الأخوة في الدين على العمل بعد التوبة والإسلام.

- قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ

---

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي (٢/ ٢٣٣).

(٢) تفسير الإمام الشافعي (٣/ ١٤٥٦).

ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، قال الإمام الشوكاني: والمعنى: أنه لا ينفع نفسًا إيمانُها عند حضور الآيات متصفة بأنها لم تكن آمَنَتْ من قبل، أَوْ آمنَتْ من قبل، ولكن لم تكسب في إيمانها خيرًا، فحصل من هذا أنه لا ينفع إلا الجمع بين الإيمان مِن قبلِ مجيءِ بعض الآيات مع كسب الخير في الإيمان، فمَن آمن مِن قبلُ فقط، ولم يكسب خيرًا في إيمانه، أو كسب خيرًا، ولم يؤمن فإنَّ ذلك غير نافعه، وهذا التركيب هو كقولك: لا أُعطِي رجلًا اليوم أتاني لم يأتني بالأمس، أو لم يمدحني في إتيانه إليَّ بالأمس، فإنَّ المستفاد من هذا أنه لا يستحق العطاء إلا رجلٌ أتاه بالأمس، ومدحه في إتيانه إليه بالأمس[1].

- قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وهذه الآية نزلت في أناسٍ كانوا يصلون إلى المسجد الأقصى وماتوا، ونزل تحويل القبلة فسألوا النبي ﷺ عن حكم صلاتهم التي كانوا يصلونها، فأنزل الله هذه الآية، ومعناها: وما كان الله ليضيع صلاتكم، وهذا من باب إطلاق الكل على الجزء، فعبر بالإيمان وأراد الصلاة، فعلم أن الصلاة ركن في الإيمان.

ولذلك بوب الإمام البخاري لهذا الحديث فقال: باب الصلاة من الإيمان. أي ركن في الإيمان.

(١) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٢٠٦).

❋ ثانيا: الأدلة من السنة، ومنها:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[١]، فالإيمان أصلٌ، وله بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة، وقد ذكر النبي ﷺ من هذه الشعب ثلاث شعب: إحداها قول، والثاني عمل قلب، والثالث عمل جوارح، وهذا يدل على أن هذه الأنواع الثلاثة هي من الإيمان، فإماطة الأذى من الإيمان وهي عمل بالجوارح، وهل يعقل أن إماطة الأذى من الإيمان، والصلاة والزكاة ليست من الإيمان؟! هذا من باب أولى، بل لو قال: الصلاة من الإيمان. لكان من الممكن أن يقال: إماطة الأذى ليست من الإيمان؛ لأن الأعلى لا يفهم منه الأدنى، لكن لما عبر بالأدنى علم أن الأعلى داخل من باب أولى؛ لذلك نقول: الأعمال من الإيمان.

- قَالَ أَبُو سَعِيدٍ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[٢]، فهذه الأشياء الثلاثة من الإيمان وهي قول، وعمل قلب، وعمل بالجوارح.

- عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ:

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان حديث (٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها حديث (٣٥).

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ حديث (٤٩).

«لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»(١)، وهذه النصيحة عمل اللسان، وليست مجرد تصديق، ولذلك قال الحافظ ابن حجر: هذا يدل على أن الدين يطلق على العمل(٢).

- عَنْ أَبِي جَمْرَةَ، قَالَ: كُنْتُ أُتَرْجِمُ بَيْنَ يَدَي ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبَيْنَ النَّاسِ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ، تَسْأَلُهُ عَنْ نَبِيذِ الْجَرِّ، فَقَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ أَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنِ الْوَفْدُ؟ أَوْ مَنِ الْقَوْمُ؟»، قَالُوا: رَبِيعَةُ، قَالَ: «مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ، أَوْ بِالْوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا، وَلَا النَّدَامَى»، قَالَ: فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا نَأْتِيكَ مِنْ شُقَّةٍ بَعِيدَةٍ، وَإِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيَّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ، وَإِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي شَهْرِ الْحَرَامِ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا نَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ، قَالَ: فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، قَالَ: «أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ»، وَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُؤَدُّوا خُمُسًا مِنَ الْمَغْنَمِ»، وَنَهَاهُمْ عَنِ الدُّبَّاءِ، وَالْحَنْتَمِ، وَالْمُزَفَّتِ - قَالَ شُعْبَةُ: وَرُبَّمَا قَالَ - النَّقِيرِ، قَالَ شُعْبَةُ: وَرُبَّمَا قَالَ: الْمُقَيَّرِ، وَقَالَ: «احْفَظُوهُ، وَأَخْبِرُوا بِهِ مِنْ وَرَائِكُمْ»(٣)، وكل ذلك يدل على أن العمل ركن في الإيمان، بل هو بحد النبي ﷺ وتعريفه للإيمان.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة حديث (٥٥).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١/ ١٣٨).

(٣) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان حديث (٥٣)، ومسلم كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله، وشرائع الدين حديث (١٧).

ثالثا: الإجماع، وهو كثير في هذا الباب، ومن ذلك:

١- قال الإمام الشافعي: وكان الإجماع من الصحابة والتابعين وتابعيهم أن الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر[(١)].

٢- قال الإمام البغوي في شرح السنة: اتفقت الصحابة والتابعون ومن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان[(٢)].

٣- قال الإمام ابن بطال في شرح البخاري: ومذهب جماعة أهل السنة عن سلف الأمة وخلفها أن الإيمان قول وعمل[(٣)].

٤- قال أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان: أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازًا وعراقًا شامًا ويمنًا، فكان من مذهبهم أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص[(٤)].

٥- قال ابن رجب في شرح البخاري: وأكثر العلماء قالوا: هو قول وعمل، وهذا كله إجماع من السلف، وعلماء الحديث، وحكى الشافعي وأبو ثور الإجماع عليه أيضًا[(٥)].

---

(١) ذكره ابن تيمية في كتاب الإيمان (ص ٢٤١)، وعزاه لكتاب الأم.

(٢) شرح السنة للبغوي (١/ ٣٨)، ط: المكتب الإسلامي – دمشق.

(٣) شرح البخاري لابن بطال (١/ ٥٦)، ط: مكتبة الرشد – الرياض.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٣٢١)، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٢٣٣).

(٥) فتح الباري لابن رجب (١/ ٥)، ط: مكتبة الغرباء – المدينة النبوية.

قوله: "يَزِيدُ وَيَنْقُصُ كَمَا جَاءَ فِي اَلْخَبَرِ: «أَكْمَلُ اَلْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»[١]":

❋ الإيمان يزيد وينقص:

الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وبعض من قال أن الإيمان هو التصديق فقط جره ذلك لقول منكر ألا وهو القول بأن إيمان المؤمنين جميعا درجة واحدة، وإيمان الطائعين الأبرار كإيمان العصاة الفجار، بل قالوا: إن إيمان أفجر الأمة كإيمان جبريل وميكائيل؛ لأنه التصديق، والتصديق واحد لا يزيد ولا ينقص.

قال ابن أبي مليكة: عاصرت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ ما رأيت أحدًا منهم يقول: إن إيماني كإيمان جبريل وميكائيل، بل كانوا جميعًا يخافون على أنفسهم النفاق[٢].

وقولهم أيضًا أن التصديق لا يزيد ولا ينقص هذا غير صحيح، فالتصديق يزيد وينقص، فإبراهيم عليه السلام قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠] وكان مصدقًا، ولكن قال بعدها: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِيۖ﴾ [البقرة: ٢٦٠] أي ليزداد إيماني وتصديقي.

ولذلك فرق علماء الحديث بين المتواتر والآحاد لزيادة التصديق، والذي

---

(١) إسناده حسن: أخرجه أبوداود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢)، وأحمد (٧٤٠٢)، وقال الترمذي حسن صحيح، وصححه الألباني رحمه الله.

(٢) إسناده صحيح: أخرجه البخاري تعليقًا (١/ ١٨)، ووصله الخلال في السنة (١٠٨١)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (١٠٥٣)، وسنده صحيح.

يخبر به عشر ثقات مثلا ليس كالخبر الذي يخبر به ثقة واحد.

إذن الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، لذلك ورد كثيرًا في النصوص الإشارة إلى أن الإيمان يزيد وينقص، قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾ [مريم: ٧٦]، وقال: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التوبة: ١٢٤]، وغيرها من الآيات.

وفي الحديث الذي استدل به الإمام رحمه الله "أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا"، فهو يدل على تفاوت الإيمان، وحَسَنُ الخلقِ أكملهم وأكثرهم إيمانًا؛ وهذا يدل على أن الإيمان يزيد وينقص.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»(١)، والمعنى أنه في حال زناه ينقص إيمانه، وأيضًا فما من شيء يزيد إلا وينقص.

عَنْ زِرٍّ، قَالَ: كَانَ عُمَرُ مِمَّا يَأْخُذُ بِيَدِ الرَّجُلِ وَالرَّجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَيَقُولُ: «قُمْ بِنَا نَزْدَدْ إِيمَانًا»(٢).

---

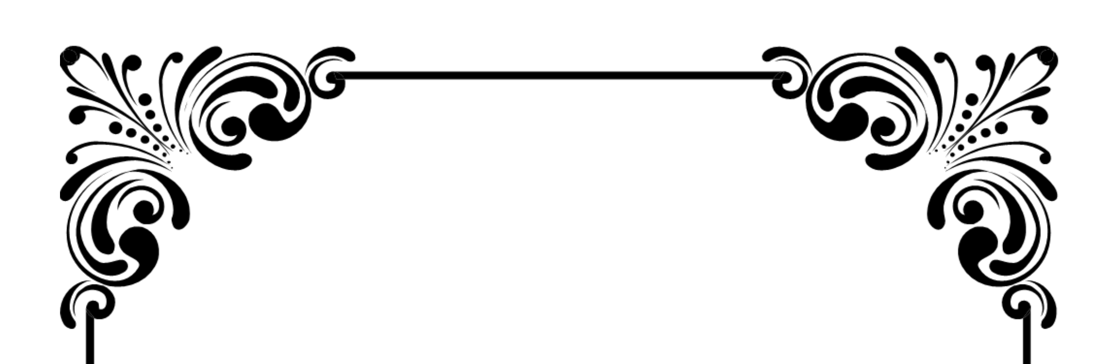
(١) رواه البخاري في كتاب المظالم والغصب، باب النهبى بغير إذن صاحبه حديث (٢٤٧٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان نقص الإيمان بالمعاصي حديث (٥٧).

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٣٠٣٦٦) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والبيهقي في الشعب (٤٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

عَنْ حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ، قَالَ: - وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ - قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ؟ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ(١)، وهذا أمر ملحوظ قطعًا فالمرء حينما يكون في حلقات العلم وبيوت الله، لا كما يكون في وقت اللعب واللهو المباح ومع أهله وأولاده وإن كان مباحًا.

---

(١) رواه مسلم في كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ وَالْمُرَاقَبَةِ وَجَوَازِ تَرْكِ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ وَالِاشْتِغَالِ بِالدُّنْيَا حديث (٢٧٥٠).



للاستماع للشرح المختصر للأصل السابق

استخدم الرمز الضوئي:

الأصل الثالث عشر: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص.

امسح الرمز الضوئي







الأصل الرابع عشر:
حكم تارك الصلاة

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ فَقَدْ كَفَرَ، وَلَيْسَ مِنَ الْأَعْمَالِ شَيْءٌ تَرْكُهُ كُفْرٌ إِلَّا الصَّلَاةُ، مَنْ تَرَكَهَا فَهُوَ كَافِرٌ، وَقَدْ أَحَلَّ اللهُ قَتْلَهُ.

قوله: "وَمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ فَقَدْ كَفَرَ وَلَيْسَ مِنْ الْأَعْمَالِ شَيْءٌ تَرْكُهُ كُفْرٌ إِلَّا الصَّلَاةُ، مَنْ تَرَكَهَا فَهُوَ كَافِرٌ، وَقَدْ أَحَلَّ اللهُ قَتْلَهُ":

ترك الصلاة من المسائل العظام، واختلف فيها العلماء هل يكفر صاحبها الكفر الأكبر أم لا؟

القول الأول: مذهب الإمام أحمد ومن تبعه قالوا بأن تارك الصلاة كافر الكفر الأكبر، ويستندون في ذلك إلى أدلة منها:

عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ»[(١)].

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ إِطْلَاقِ اسْمِ الْكُفْرِ عَلَى مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ حديث (٨٢).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمِ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»[(١)].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ: ذَكَرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا فَقَالَ: «مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا؟ كَانَتْ لَهُ نُورًا، وَبُرْهَانًا، وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ، وَلَا بُرْهَانٌ، وَلَا نَجَاةٌ ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ، وَفِرْعَوْنَ، وَهَامَانَ، وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ»[(٢)].

ومما استدلوا به قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾ [البقرة: ١٤٣] أي صلاتكم، فعبرعن الصلاة بالإيمان فدل على أن الصلاة ركن من الإيمان، وينعدم الأصل بانعدام الركن.

وقال عبد الله بن شقيق: كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة[(٣)].

القول الثاني: وهو قول الجمهور وقالوا أن تارك الصلاة كسلًا ليس بكافر، والمراد بالكفر في الأحاديث الكفر الأصغر غير المخرج من الملة، وأنه تحت المشيئة، واستدلوا بأدلة عامة منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ

---

(١) إسناده صحيح: أخرجه النسائي (٤٦٣)، والترمذي (٢٦٢١)، وابن ماجه (٢٠٧٩) من حديث بريدة مرفوعًا، وصححه الترمذي، والألباني.

(٢) إسناده حسن: أخرجه أحمد (٦٥٧٦)، والدارمي (٢٧٦٣)، وابن حبان (١٤٦٧)، وغيرهم من حديث عبد الله بن عمرو به.

(٣) إسناده صحيح: رواه الترمذي (٢٦٢٢)، وابن أبي شيبة (٣٠٤٤٦)، والخلال في السنة (١٣٧٨)، وغيرهم عن عبد الله بن شقيق به.

وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨]، وأدلة أخرى تدل على أن من تهاون أو ترك شيئًا من الصلاة فهو تحت المشيئة، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الصُّنَابِحِيّ، قَالَ: زَعَمَ أَبُو مُحَمَّدٍ أَنَّ الْوِتْرَ وَاجِبٌ، فَقَالَ: عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ كَذَبَ أَبُو مُحَمَّدٍ أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللهُ تَعَالَى مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ وَصَلَّاهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ كَانَ لَهُ عَلَى اللهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ لَهُ عَلَى اللهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ»(١).

---

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه مالك (١/ ١٢٣)، وأحمد (٢٢٦٩٣)، وأبو داود (٤٢٥)، والنسائي (٤٦١)، وغيرهم من حديث عبادة بن الصامت به، وصححه الألباني.

الأصل الخامس عشر:
فضائل الخلفاء الراشدين والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَخَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ نُقَدِّمُ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ كَمَا قَدَّمَهُمْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي ذَلِكَ.

قوله: "وَخَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ":

أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

هو أفضل الصحابة على الإطلاق، وهو المُقدَّم عليهم سبقًا وعملًا وقدرًا، سبقًا في الإسلام، وقدرًا لمكانته عند الله وعند رسوله ﷺ، وفي الأعمال أيضًا كان هو أفضلهم وأسبقهم في ذلك، والمعنى أن الإنسان قد يسبق إلى الإسلام لكن يكون غيره أكثر عملًا منه، أو أكبر قدرًا منه، لكن أبا بكر كان أسبق من غيره، وأعظم قدرًا، وأكثر عملًا، ومما يدل على ذلك:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ

عَادَ مِنكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»(١). وكان في النفقات أسبقهم وأكثرهم إنفاقًا، فَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: " أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟»، قُلْتُ: مِثْلَهُ، قَالَ: وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لَا أُسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا"(٢).

وفي العلم كان أبو بكر أعلم الصحابة، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، جَلَسَ عَلَى الْمِنبَرِ فَقَالَ: «عَبْدٌ خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ زَهْرَةَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ» فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَبَكَى، فَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، قَالَ فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ، لَا تُبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ»(٣)، هذا فضلًا عن جهاده، وصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم، وغير ذلك.

---

(١) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث (١٠٢٨).

(٢) إسناده حسن: أخرجه أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٢٦٧٥)، والدارمي (١٧٠١)، وغيرهم من حديث عمر بن الخطاب به، وصححه الترمذي، والألباني، وغيرهما.

(٣) رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب الخوخة والممر في المسجد، حديث (٤٦٧)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث =

فأبو بكر ﷺ أفضل الأمة على الإطلاق، ثم بعده عمر ﷺ، ثم بعده عثمان ﷺ، كما قال عبد الله بن عمر: كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ حَيٌّ: «أَفْضَلُ أُمَّةِ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ﷺ أَجْمَعِينَ»(١).

عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: «أَبُو بَكْرٍ» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ»، قَالَ: ثُمَّ خَشِيتُ أَنْ أَقُولَ ثُمَّ مَنْ فَيَقُولَ عُثْمَانُ، فَقُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ يَا أَبَةِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»(٢).

وهذا يدل على المفاضلة بين الصحابة، وأنهم لم يكونوا على درجة واحدة، ولا مانع من ذلك.

وأبو بكر ﷺ أيضًا كان أحق بالخلافة من غيره، لذلك تولى الخلافة بالإشارة في النصوص، وبإجماع الصحابة ﷺ، ومما يتميز به أبو بكر بأنه بلغ المنزلة العالية في استواء الشخصية واستقامتها، فعامة الناس يغلب عليه جانب من الجوانب، فيغلب على إنسان الرقة واللين، ونحو هذا، وآخر يغلب عليه الشدة ونحوها، وآخر شديد الحياء، لكن أبا بكر يغلب عليه الرقة في موضع الرقة، والشدة في موضع الشدة، ولذلك يُتعَجَّب من مواقفه لما تولى الخلافة،

= (٢٣٨٢).

(١) رواه البخاري في كتاب مناقب أصحاب النبي، باب مناقب عثمان ﷺ حديث (٣٦٩٧).

(٢) رواه البخاري في كتاب أصحاب النبي، باب قوله: لو كنت متخذًا خليلًا حديث (٣٦٧١).

فكانت له مواقف شديدة وقوية، فمع أنه كما قالت عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ لما أراد أن يقدمه للصلاة: أبو بكر رجل أسيف[١]، لكن لما تولى الخلافة كأنه رجل آخر، بعد أن منع أناس الزكاة، وبعد أن ارتد أناس، ومصاب الصحابة الأبرار وفجأتهم بموت النبي ﷺ، كل هذا يحتاج إلى رجل من طراز فريد، ولذلك كان أبو بكر صاحب قرار وقوة في هذا كله رضي الله عنه.

فأهل مشورته وأقرب الناس إليه خالفوه في ذلك كعمر رضي الله عنه، وهذا قد يجعل الإنسان يتراجع في قراره وينظر ويتردد، لكنه ما تراجع في قرار أخذه؛ لأنه كان يستند في ذلك إلى الأدلة والنصوص، فلم يتراجع عن قتال مانعي الزكاة، والمرتدين، وفي إنفاذ جيش أسامة في ذلك الوقت، وغيرها.

وكان أبوبكر رضي الله عنه رجلًا مُوفَّقا مُسدَّدا بإذن الله تعالى، فمع أن النبي ﷺ قال عن عمر: إن يكن في أمتي محدثون فعمر[٢]، لكن مع ذلك ما خالف عمر أبا بكر في أمر إلا كان الحق مع أبي بكر غالبًا، إلا في مسألة واحدة، فقد خالف عمر أبا بكر في صلح الحديبية، وكان الحق مع أبي بكر، وخالفه في قتال مانعي الزكاة، وكان الحق فيه مع أبي بكر، وخالفه في إنفاذ جيش أسامة، وكان الحق فيه مع أبي بكر، وخالفه حين وفاة النبي ﷺ، وكان الحق قطعًا مع أبي بكر، ولكن خالفه في أسرى بدر وكان الصواب فيه مع عمر، ونزل القرآن بموافقته، لكن كأن أبا بكر جُبِر في هذا بموافقة رسول الله ﷺ له، فلم يكن أبو بكر وحده،

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأذان، باب حد المريض أن يشهد الجماعة حديث (٦٦٤)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر حديث (٤١٨).

(٢) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب مناقب عمر رضي الله عنه حديث (٣٦٨٩)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه حديث (٢٣٩٨).

بل كان النبي ﷺ معه، وأقره على هذا الرأي.

وقد أشار عمر رضي الله عنه إلى ذلك حين عارضه في قتال مانعي الزكاة بقوله: فوالله ما هو إلا أن شرح الله صدر أبي بكر فعرفت أنه الحق.

والقاعدة العامة تقول: الحق لا يعرف بالرجال، لكن الرجال يعرفون بالحق. لكن كأن عمر يقول: هذه القاعدة ليست في أبي بكر، فإنه عَرَف أنه الحق بانشراح صدر أبي بكر له - فلله دره رضي الله عنه.

وكما أن أبا بكر رضي الله عنه كان أفضل الأمة، فهو أيضًا أولى الأمة بالخلافة بعد رسول الله ﷺ، فعن عمر رضي الله عنه قال: إن المهاجرين اجتمعوا إلى أبي بكر، وتخلف عنا الأنصار في سقيفة بني ساعدة، فقلت لأبي بكر انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار ننظر ما صنعوا، فخرجنا نؤمهم، فلقينا رجلان صالحان منهم، فقالا: أين تذهبون يا معشر المهاجرين، فقلت: نريد إخواننا من الأنصار، قال: فلا عليكم أن لا تأتوهم، اقضوا أمركم يا معشر المهاجرين، فقلت: والله لا نرجع حتى نأتيهم، فجئناهم فإذا هم مجتمعون في سقيفة بني ساعدة، وإذا رجل مزمل بين ظهرانيهم، فقلت: من هذا؟ فقالوا: سعد بن عبادة، قلت: ما له؟ قالوا: وجع، فلما جلسنا قام خطيبهم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد: فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وقد دفت إلينا يا معشر المسلمين منكم دافة، وإذا هم قد أرادوا أن يختصوا بالأمر ويخرجونا من أصلنا.

قال عمر: فلما سكت أردت أن أتكلم، وقد كنت زورت مقالة قد أعجبتني أريد أن أقولها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحدة، وكان أحلم مني وأوقر، فأخذ بيدي وقال: اجلس، فكرهت أن أغضبه، فتكلم فوالله ما ترك

مما زورته في مقالتي إلا قال مثله في بديهته أو أفضل، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فما ذكرتم من خير، فأنتم أهله، ولن يعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب دارًا ونسبًا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم، وأخذ بيدي ويد أبي عبيدة بن الجراح، وهو جالس بيننا، فلم أكره شيئا من مقالته غيرها، كان والله لأن أقدم فتضرب عنقي في أمر لا يقربني ذلك إلى إثم أحب إلي من أن أؤمر على قوم فيهم أبو بكر، فقال فتى الأنصار أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، فكثر اللغط وخشيت الاختلاف، فقلت ابسط يدك يا أبا بكر فبسطها فبايعته، وبايعه المهاجرون والأنصار(١) .

قوله:" ثُمَّ عُمَرُ بْنُ اَلْخَطَّابِ":

✵ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

يأتي بعد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المنزلة والفضل والخلافة عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد لا يكون سبقًا؛ لأن غيره سبقه، لكن كانت له المكانة والفضل، وله يدٌ عظيمة في إظهار الإسلام ودفاعه عنه، وكان يمتاز عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوته، وقد انتفع بهذه القوة المسلمون؛ لذلك أظهر المسلمون إسلامهم وأعزهم الله لما أسلم عمر، قال عبد الله «مازلنا أعزة منذ أسلم عمر»(٢)،وهذا يدلك على أن إسلام شخص

---

(١) رواه البخاري في كتاب الحدود، بَابُ رَجْمِ الحُبْلَى مِنَ الزِّنَا إِذَا أَحْصَنَتْ حديث (٦٨٣٠).

(٢) رواه البخاري في كتاب المناقب، بَابُ مَنَاقِبِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ أَبِي حَفْصٍ القُرَشِيِّ العَدَوِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حديث (٣٦٨٤).

واحد أو هدايته قد يكون له عظيم الأثر في الناس، وقد كان النبي ﷺ يعلم ذلك، فقد كان يدعو الله تعالى أن يؤيد الدين ويعزه بأحب الرجلين إليه: عمر، أوأبي جهل، فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ» قَالَ: وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ[(١)].

وهنا فائدة:

أنه على الدعاة إلى الله مع دعوتهم العامة لجميع الناس أن يتخيروا للدعوة الخاصة، وبذل الجهد الأكبر لبعض المدعوين الذين قد يكون لهم عظيم الأثر بعد هدايتهم، وقد ظهر هذا مثلًا حينما نزل مصعب بن عمير على أسعد بن زرارة في المدينة للدعوة إلى الله تعالى ونشر الإسلام وأسلم على أيديهم أناس كُثُر، لكن لما جاء أسيد بن حضير، قال أسعد لمصعب: هَذَا سَيِّدُ قَوْمِهِ فَاصْدُقِ اللهَ فِيهِ، ولما أسلم أسيد بن حضير قال لهما: إِنَّ وَرَائِي رَجُلًا إِنِ اتَّبَعَكُمَا لم يتخلف عنه أحد من قَوْمِهِ وَسَأُرْسِلُهُ إِلَيْكُمَا الْآنَ، ولما أتى سعد قال أسعد لمصعب: أَيْ مُصْعب، جَاءَكَ وَاَللهِ سَيِّدُ مَن وَرَاءَهُ مِنْ قَوْمِهِ، إنْ يَتَّبِعْكَ لَا يَتَخَلَّفُ عَنْكَ مِنْهُمْ اثْنَانِ.

قَالَ ابْنُ هِشَام: وَاجْتَمَعَ إلَيْهِمَا – لمصعب بن عمير وأسعد بن زرارة- رِجَالٌ مِمَّنْ أَسْلَمَ وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وأَسَيْد بْنُ حُضَيْر، يَوْمَئِذٍ سَيِّدَا قَوْمِهِمَا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَكِلَاهُمَا مشرك عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، فَلَمَّا سَمِعَا بِهِ قَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ لِأُسَيْدِ بْنِ حُضَير: لَا أَبَا لَكَ، انْطَلِقْ إلَى هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ قَدْ أَتَيَا دارينا

---

(١) إسناده حسن: أخرجه أحمد (٥٦٩٦)، والترمذي (٣٦٨١)، وعبد بن حميد (٧٥٩)، وغيرهم من حديث ابن عمر مرفوعًا، وله شواهد كثيرة، وصححه الترمذي، والألباني.

لِيُسَفِّهَا ضُعَفَاءَنَا، فازجرْهما وَانْهَهُمَا عَنْ أَنْ يَأْتِيَا دَارَيْنَا، فَإِنَّهُ لَوْلَا أَنَّ أسعد ابن زُرَارَةَ مِنِّي حَيْثُ قَدْ عَلِمْت كَفَيْتُكَ ذَلِكَ، هُوَ ابْنُ خَالَتِي، وَلَا أَجِدُ عَلَيْهِ مُقَدَّمًا. قَالَ: فَأَخَذَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَير حَرْبَتَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ إلَيْهِمَا؛ فَلَمَّا رَآهُ أَسْعَدُ بْنُ زُرارة، قَالَ لِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ: هَذَا سَيِّدُ قَوْمِهِ قَدْ جَاءَكَ، فَاصْدُقْ اللهَ فِيهِ؛ قَالَ مُصْعَبٌ: إنْ يَجْلِسْ أكلمْه. قَالَ فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مُتشتِّما، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمَا إلَيْنَا تُسَفِّهَانِ ضعفاءَنا؟ اعْتَزِلَانَا إنْ كَانَتْ لَكُمَا بِأَنْفُسِكُمَا حَاجَةٌ. فَقَالَ له مصعب: أوَ تجلس فَتَسْمَعَ، فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا قَبِلْتَهُ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ كُف عَنْكَ مَا تَكْرَهُ؟ قَالَ: أَنْصَفْتَ، ثُمَّ رَكَزَ حَرْبَتَهُ وَجَلَسَ إلَيْهِمَا، فَكَلَّمَهُ مُصْعَب بالإِسلام، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ؛ فَقَالَا فِيمَا يُذْكَرُ عَنْهُمَا: وَاللهِ لَعَرَفْنَا فِي وَجْهِهِ الإسلامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي إشْرَاقِهِ وتسهُّله، ثُمَّ. قَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلَامَ وَأَجْمَلَهُ! كَيْفَ تَصْنَعُونَ إذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا فِي هَذَا الدِّينِ؟ قَالَا له: تغتسل فتطهَّر وتطهر ثوبيك، ثُمَّ تُصَلِّي. فَقَامَ فَاغْتَسَلَ وَطَهَّرَ ثَوْبَيْهِ، وَتَشَهَّدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: إنَّ وَرَائِي رَجُلًا إنْ اتَّبَعَكُمَا لَمْ يَتَخَلَّفْ عنْهُ أحدٌ مِنْ قَوْمِهِ وَسَأُرْسِلُهُ إلَيْكُمَا الْآنَ، سَعْدَ بْنَ مُعاذ، ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ وَانْصَرَفَ إلَى سَعْدٍ وَقَوْمِهِ وَهُمْ جُلُوسٌ فِي نَادِيهِمْ؛ فَلَمَّا نَظَرَ إلَيْهِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مُقْبِلًا، قَالَ: أَحْلِفُ بِاللهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أَسَيْد بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ؛ فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى النَّادِي قَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: كَلَّمْتُ الرَّجُلَيْنِ، فَوَاللهِ مَا رَأَيْتُ بِهِمَا بَأْسًا، وَقَدْ نَهَيْتُهُمَا، فَقَالَا: نَفْعَلُ مَا أَحْبَبْتَ، وَقَدْ حُدِّثت أَنَّ بَنِي حَارِثَةَ قَدْ خَرَجُوا إلَى أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ لِيَقْتُلُوهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ عَرَفُوا أَنَّهُ ابْنُ خَالَتِكَ، لِيُخْفِرُوكَ . قَالَ: فَقَامَ سَعْدٌ مغضبًا مُبَادِرًا، تخوُّفا لِلَّذِي ذُكر لَهُ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ، فَأَخَذَ الْحَرْبَةَ مِنْ يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَاللهِ مَا أَرَاكَ أَغْنَيْتَ شَيْئًا، ثُمَّ خَرَجَ إلَيْهِمَا؛ فَلَمَّا رَآهُمَا سَعْدٌ مُطْمَئِنَّيْنِ، عَرَفَ سَعْدٌ أَنَّ أُسَيْدًا إنَّمَا أَرَادَ مِنْهُ أَنْ

يَسْمَعَ مِنْهُمَا، فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مُتَشَتِّمًا، ثُمَّ قَالَ لِأَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ: يَا أَبَا أُمَامَةَ، أَمَا وَاللهِ، لَوْلَا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنْ الْقَرَابَةِ مَا رُمْتَ هَذَا مِنِّي، أَتَغْشَانَا فِي دَارَيْنَا بِمَا نَكْرَهُ -وَقَدْ قَالَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ لِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ: أَيْ مُصْعب، جَاءَكَ وَاللهِ سَيِّدُ مَن وَرَاءَهُ مِنْ قَوْمِهِ، إنْ يَتَّبِعْكَ لَا يَتَخَلَّفُ عَنْكَ مِنْهُمْ اثْنَانِ: قَالَ: فَقَالَ له مصعب: أو تقعد فَتَسْمَعَ، فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا وَرَغِبْتَ فِيهِ قَبِلْتَهُ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ عَزَلْنَا عَنْكَ مَا تَكْرَهُ؟ قَالَ سَعْدٌ: أَنْصَفْتَ. ثُمَّ رَكَزَ الْحَرْبَةَ وَجَلَسَ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، قَالَا: فَعَرَفْنَا وَاللهِ فِي وَجْهِهِ الإِسلام قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ، لإِشراقه وتسهُّله، ثم قال لهما: وكيف تَصْنَعُونَ إذَا أَنْتُمْ أَسْلَمْتُمْ وَدَخَلْتُمْ فِي هَذَا الدين قالا: تغتسل فتطهر ثَوْبَيْكَ ثُمَّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ تُصَلِّي ركعتين، قال: فقام فاغتسل وطهر ثوبيه، وشهد شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ رَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ، فَأَقْبَلَ عَامِدًا إلَى نَادِي قَوْمِهِ وَمَعَهُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ.

قَالَ: فَلَمَّا رَآهُ قَوْمُهُ مُقْبِلًا، قَالُوا: نَحْلِفُ بِاَللهِ لَقَدْ رَجَعَ إلَيْكُمْ سَعْدٌ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ؛ فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، كَيْفَ تَعْلَمُونَ أَمْرِي فِيكُمْ قَالُوا: سيدُنا وأفضلُنا رَأْيًا، وأيمنُنا نَقِيبَةً قَالَ: فَإِنَّ كَلَامَ رِجَالِكُمْ وَنِسَائِكُمْ عليَّ حَرَامٌ حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، قَالَا: فَوَاللهِ مَا أَمْسَى فِي دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ إلَّا مُسْلِمًا وَمُسْلِمَةً(١).

---

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٤٨)، وابن هشام في سيرته (١/ ٤٣٦) من طريق يزيد بن أبي حبيب مرسلًا، وعبيد الله بن المغيرة مرسلًا، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم مرسلًا، وهذه المراسيل يقوي بعضها بعضًا.

قوله:" ثُمَّ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ نُقَدِّمُ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ كَمَا قَدَّمَهُمْ أَصْحَابُ رَسُولِ اَللهِ ﷺ ، لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي ذَلِكَ":

✵ عثمان بن عفان رضي الله عنه:

ثم بعد ذلك عثمان رضي الله عنه فهو في الفضل والمكانة والخلافة بعد عمر رضي الله عنهم أجمعين، وفضائل عثمان رضي الله عنه عظيمة جليلة منها:

عن أبي عبد الرحمن، أن عثمان رضي الله عنه حين حوصر أشرف عليهم، وقال: أنشدكم الله، ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ، ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «من حفر رومة فله الجنة»؟ فحفرتها، ألستم تعلمون أنه قال: «من جهز جيش العسرة فله الجنة»؟ فجهزتهم، قال: فصدقوه بما قال»(١).

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فِي حَائِطٍ مِنْ حَائِطِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ مُتَّكِئٌ يَرْكُزُ بِعُودٍ مَعَهُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ، إِذَا اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ، فَقَالَ: «افْتَحْ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ» قَالَ: فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ، فَفَتَحْتُ لَهُ وَبَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ، قَالَ ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: «افْتَحْ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ» قَالَ: فَذَهَبْتُ فَإِذَا هُوَ عُمَرُ، فَفَتَحْتُ لَهُ وَبَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ آخَرُ، قَالَ فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ فقَالَ: «افْتَحْ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تَكُونُ» قَالَ: فَذَهَبْتُ فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، قَالَ: فَفَتَحْتُ وَبَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ، قَالَ وَقُلْتُ الَّذِي قَالَ، فَقَالَ: اللهُمَّ صَبْرًا، أَوِ اللهُ الْمُسْتَعَانُ(٢).

---

(١) رواه البخاري في كتاب الوصايا، بَابُ إِذَا وَقَفَ أَرْضًا أَوْ بِئْرًا، وَاشْتَرَطَ لِنَفْسِهِ مِثْلَ دِلاءِ المُسْلِمِينَ حديث (٢٧٧٨).

(٢) رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل عثمان رضي الله عنه حديث (٢٤٠٣).

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَوْهَبٍ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مِصْرَ حَجَّ البَيْتَ فَرَأَى قَوْمًا جُلُوسًا فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا: قُرَيْشٌ. قَالَ: فَمَنْ هَذَا الشَّيْخُ؟ قَالُوا: ابْنُ عُمَرَ فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ شَيْءٍ فَحَدِّثْنِي، أَنْشُدُكَ اللهَ بِحُرْمَةِ هَذَا البَيْتِ أَتَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَتَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَلَمْ يَشْهَدْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَتَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ يَوْمَ بَدْرٍ فَلَمْ يَشْهَدْهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: تَعَالَ أُبَيِّنْ لَكَ مَا سَأَلْتَ عَنْهُ: أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ فَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ قَدْ عَفَا عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ يَوْمَ بَدْرٍ فَإِنَّهُ كَانَتْ عِنْدَهُ أَوْ تَحْتَهُ ابْنَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَكَ أَجْرُ رَجُلٍ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمُهُ»، وَأَمَرَهُ أَنْ يَخْلُفَ عَلَيْهَا وَكَانَتْ عَلِيلَةً. وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكَانَ عُثْمَانَ، بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُثْمَانَ وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ الْيُمْنَى: «هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ». وَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: «هَذِهِ لِعُثْمَانَ»، قَالَ لَهُ: اذْهَبْ بِهَذَا الآنَ مَعَكَ[(١)].

عَنْ أَنَسٍ، أَنَّهُ رَجَفَ أُحُدٌ وَعَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اسْكُنْ أُحُدُ، مَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ»[(٢)]، وغير ذلك من مناقبه رضي الله عنه.

❊

(١) رواه البخاري في كتاب أصحاب النبي ﷺ، بَابُ مَنَاقِبِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أَبِي عَمْرٍو القُرَشِيِّ رضي الله عنه حديث (٣٦٩٨).

(٢) رواه البخاري في كتاب أصحاب النبي ﷺ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا» حديث (٣٦٧٥).

قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثُمَّ بَعْدَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ أَصْحَابُ الشُّورَى الْخَمْسَةُ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَسَعْدٌ، كُلُّهُمْ يَصْلُحُ لِلْخِلَافَةِ، وَكُلُّهُمْ إِمَامٌ، وَنَذْهَبُ فِي ذَلِكَ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ: (كُنَّا نَعُدُّ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ حَيٌّ وَأَصْحَابُهُ مُتَوَافِرُونَ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ نَسْكُتُ).

قوله: "ثُمَّ بَعْدَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ أَصْحَابُ الشُّورَى الْخَمْسَةُ":

كان أصحاب الشورى ستة، لكنه ذكر عثمان قبل ذلك، ولم يختر عمر معهم أبا عبيدة بن الجراح؛ لأنه كان قد مات قبلها، وإنما اختار عمر أصحاب الشورى ممن مات رسول الله وهو عنهم راض، وكانوا جميعًا من المبشرين بالجنة.

قوله:"عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ":

✳ علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

هو ابن عم النبي ﷺ، وزوج ابنته فاطمة، وأبو الحسن والحسين، الشجاع البطل المغوار، قاتل عمرو بن عبد ود في غزوة الأحزاب، وفاتح خيبر بإعانة الله تعالى، ومناقبه وفضائله كثيرة، منها:

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَلِيٍّ: «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي» قَالَ سَعِيدٌ: فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُشَافِهَ بِهَا سَعْدًا، فَلَقِيتُ سَعْدًا فَحَدَّثْتُهُ بِمَا حَدَّثَنِي عَامِرٌ،

فَقَالَ: أَنَا سَمِعْتُهُ، فَقُلْتُ آنْتَ سَمِعْتَهُ؟ فَوَضَعَ إِصْبَعَيْهِ عَلَى أُذُنَيْهِ فَقَالَ: نَعَمْ، وَإِلَّا، فَاسْتَكَّتَا[(١)].

عَنْ عَلِيٍّ، أَنَّ فَاطِمَةَ اشْتَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ أَثَرِ الرَّحَى فِي يَدِهَا، وَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ سَبْيٌ فَانْطَلَقَتْ، فَلَمْ تَجِدْهُ، وَلَقِيَتْ عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ إِلَيْهَا، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا فَذَهَبْنَا لِنَقُومَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى مَكَانِكُمَا» فَقَعَدَ بَيْنَنَا، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي، فَقَالَ: «أَلَا أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَا؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا أَنْ تُكَبِّرَا اللهَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، وَتُسَبِّحَاهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدَاهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ»[(٢)].

جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن عثمان، فذكر محاسن عمله، قال: لعل ذاك يسوءك؟ قال: نعم، قال: فأرغم الله بأنفك، ثم سأله عن علي فذكر محاسن عمله، قال: هو ذاك بيته أوسط بيوت النبي ﷺ، ثم قال: لعل ذاك يسوءك؟ قال: أجل، قال: فأرغم الله بأنفك، انطلق فاجهد علي جهدك "[(٣)].

---

(١) رواه البخاري في كتاب أصحاب النبي ﷺ، بَابُ مَنَاقِبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ القُرَشِيِّ الهَاشِمِيِّ أَبِي الحَسَنِ رضي الله عنه حديث (٣٧٠٦)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي رضي الله عنه حديث (٢٤٠٤).

(٢) رواه البخاري في كتاب أصحاب النبي ﷺ، بَابُ مَنَاقِبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ القُرَشِيِّ الهَاشِمِيِّ أَبِي الحَسَنِ رضي الله عنه، حديث (٣٧٠٥)، ومسلم في كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ التَّسْبِيحِ أَوَّلَ النَّهَارِ وَعِنْدَ النَّوْمِ حديث (٢٧٢٧).

(٣) رواه البخاري في كتاب أصحاب النبي ﷺ، بَابُ مَنَاقِبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ القُرَشِيِّ الهَاشِمِيِّ أَبِي الحَسَنِ رضي الله عنه حديث (٣٧٠٤).

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، أَنَّ رَجُلًا جَاءَهُ، فَقَالَ: هَذَا فُلَانٌ - أَمِيرٌ مِنْ أُمَرَاءِ الْمَدِينَةِ - يَدْعُوكَ لِتَسُبَّ عَلِيًّا عَلَى الْمِنْبَرِ، قَالَ: أَقُولُ مَاذَا؟ قَالَ: تَقُولُ لَهُ: أَبُو تُرَابٍ، فَضَحِكَ سَهْلٌ، فَقَالَ: وَاللهِ، مَا سَمَّاهُ إِيَّاهُ إِلَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا كَانَ لِعَلِيٍّ اسْمٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهُ، دَخَلَ عَلِيٌّ عَلَى فَاطِمَةَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَاطِمَةَ، فَقَالَ: «أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ؟»، قَالَتْ: هُوَ ذَا مُضْطَجِعٌ فِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ، فَوَجَدَ رِدَاءَهُ قَدْ سَقَطَ عَنْ ظَهْرِهِ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَمْسَحُ التُّرَابَ عَنْ ظَهْرِهِ، وَيَقُولُ: «اجْلِسْ أَبَا تُرَابٍ» وَاللهِ مَا كَانَ اسْمٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهُ مَا سَمَّاهُ إِيَّاهُ إِلَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ[(١)].

وقال عمر: فَالْخِلَافَةُ شُورَى بَيْنَ هَؤُلَاءِ السِّتَّةِ، الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ[(٢)].

قوله "وَطَلْحَةُ":

✵ وهو طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه:

وكان من الستة الذين اختارهم عمر للشورى، وكان اختيار عمر لهؤلاء الستة مع وجود الصحابة، ولم ينكر ذلك أحد، فكان هذا إجماعًا على فضلهم

---

(١) رواه البخاري في كتاب أصحاب النبي ﷺ، بَابُ مَنَاقِبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ القُرَشِيِّ الهَاشِمِيِّ أَبِي الحَسَنِ رضي الله عنه حديث (٣٧٠٣)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه حديث (٢٤٠٩).

(٢) رواه البخاري في كتاب الجنائز، بَابُ مَا جَاءَ فِي قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ رضي الله عنهما حديث (١٣٩٢)، ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَابُ نَهْيِ مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا أَوْ كُرَّاثًا أَوْ نَحْوَهَا حديث (٥٦٧).

ومكانتهم.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ»(١).

عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ قَالَ: كَانَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ دِرْعَانِ يَوْمَ أُحُدٍ، فَنَهَضَ إِلَى الصَّخْرَةِ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَأَقْعَدَ طَلْحَةَ تَحْتَهُ، فَصَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ حَتَّى اسْتَوَى عَلَى الصَّخْرَةِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَوْجَبَ طَلْحَةُ»(٢).

قوله: " وَالزُّبَيْرُ":

❋ وهو الزبير بن العوام رضي الله عنه:

والزبير بن العوام، هو ابن عمة النبي ﷺ، وكان من السابقين، أسلم وهو ابن ثمان سنين، وهاجر الهجرتين، وشهد المشاهد كلها، فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: نَدَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ، ثُمَّ نَدَبَهُمْ، فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ، ثُمَّ نَدَبَهُمْ، فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ، وَحَوَارِيَّ

---

(١) **صحيح لطرقه وشواهده**: رواه أحمد (١٦٧٥)، والترمذي (٣٧٤٧) من حديث عبد الرحمن بن عوف به، أخرجه أحمد (١٦٥٠)، والترمذي (٣٧٤٨)، وابن ماجه (١٣٤) من حديث سعيد بن زيد به، وله شواهد أخر.

(٢) **إسناده حسن**: أخرجه أحمد (١٤١٧)، والترمذي (١٦٩٢)، وابن أبي عاصم في السنة (١٣٩٧)، وغيرهم، ومداره على ابن إسحاق وهو صدوق يدلس، وقد صرح بالسماع عند أحمد، وغيره.

الزُّبَيْرُ»[(١)].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: كُنْتُ يَوْمَ الأَحْزَابِ جُعِلْتُ أَنَا وَعُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ فِي النِّسَاءِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِالزُّبَيْرِ، عَلَى فَرَسِهِ، يَخْتَلِفُ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا، فَلَمَّا رَجَعْتُ قُلْتُ: يَا أَبَتِ رَأَيْتُكَ تَخْتَلِفُ؟ قَالَ: أَوَهَلْ رَأَيْتَنِي يَا بُنَيَّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ يَأْتِ بَنِي قُرَيْظَةَ فَيَأْتِينِي بِخَبَرِهِمْ». فَانْطَلَقْتُ، فَلَمَّا رَجَعْتُ جَمَعَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَوَيْهِ فَقَالَ: «فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي»[(٢)].

عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالُوا لِلزُّبَيْرِ يَوْمَ اليَرْمُوكِ: أَلَا تَشُدُّ فَنَشُدَّ مَعَكَ؟ فَقَالَ: " إِنِّي إِنْ شَدَدْتُ كَذَبْتُمْ، فَقَالُوا: لا نَفْعَلُ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ حَتَّى شَقَّ صُفُوفَهُمْ، فَجَاوَزَهُمْ وَمَا مَعَهُ أَحَدٌ، ثُمَّ رَجَعَ مُقْبِلًا، فَأَخَذُوا بِلِجَامِهِ، فَضَرَبُوهُ ضَرْبَتَيْنِ عَلَى عَاتِقِهِ، بَيْنَهُمَا ضَرْبَةٌ ضُرِبَهَا يَوْمَ بَدْرٍ، قَالَ عُرْوَةُ: «كُنْتُ أُدْخِلُ أَصَابِعِي فِي تِلْكَ الضَّرَبَاتِ أَلْعَبُ وَأَنَا صَغِيرٌ» قَالَ عُرْوَةُ: «وَكَانَ مَعَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ فَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ وَوَكَّلَ بِهِ رَجُلًا»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب حديث (٤١١٣)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل طلحة والزبير حديث (٢٤١٥).

(٢) رواه البخاري في كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الزبير بن العوام رضي الله عنه، حديث (٣٧٢٠)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما حديث (٢٤١٦).

(٣) رواه البخاري في كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الزبير بن العوام رضي الله عنه حديث (٣٧٢١).

قوله: "وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ":

✵ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه:

هو من العشرة المبشرين بالجنة، عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: " أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَا سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي، وَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأَرْوِيَ عَلَيْهِ كَذِبًا يَسْأَلُنِي عَنْهُ إِذَا لَقِيتُهُ أَنَّهُ قَالَ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْجَنَّةِ» وَتَاسِعُ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُسَمِّيَهُ لَسَمَّيْتُهُ فَرَجَّ أَهْلُ الْمَسْجِدِ يُنَاشِدُونَهُ يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ، ﷺ مَنِ التَّاسِعُ؟ قَالَ: «نَاشَدْتُمُونِي بِاللهِ الْعَظِيمِ، أَنَا تَاسِعُ الْمُؤْمِنِينَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ الْعَاشِرُ»[(١)].

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ أَمْرَكُنَّ لَمِمَّا يُهِمُّنِي بَعْدِي، وَلَنْ يَصْبِرَ عَلَيْكُنَّ إِلَّا الصَّابِرُونَ». قَالَ: ثُمَّ تَقُولُ عَائِشَةُ، فَسَقَى اللهُ أَبَاكَ مِنْ سَلْسَبِيلِ الجَنَّةِ، تُرِيدُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، وَقَدْ كَانَ وَصَلَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَالٍ، يُقَالُ: بِيعَتْ بِأَرْبَعِينَ أَلْفًا[(٢)].

---

(١) **صحيح لطرقه وشواهده**: أخرجه أحمد (١٦٥٠)، والترمذي (٣٧٤٨)، وابن ماجه (١٣٤) من حديث سعيد بن زيد به، ورواه أحمد (١٦٧٥)، والترمذي (٣٧٤٧) من حديث عبد الرحمن بن عوف به، وله شواهد أخر.

(٢) **صحيح لطرقه**: رواه الترمذي (٣٧٤٩)، وأحمد (٢٤٤٨٥)، وابن حبان (٦٩٩٥) من طريق صخر بن عبد الله عن أبي سلمة عن عائشة به، وصخر وثقه العجلي ولم يرو عنه إلا بكر بن مضر، ولكنه توبع كما عند أحمد (٢٤٧٢٤)، ٢٤٨٩٣)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (١٧٥٥)، والآجري في الشريعة (١٧٨٩) عن النبي ﷺ به.

وعبد الرحمن بن عوف هو الذي قام بالشورى واعتبر هذا من أعماله العظيمة؛ لأنه تنازل عن الخلافة وقام بالشورى أحسن قيام حتى اختار عثمان ﵁، وهو من السابقين إلى الإسلام، والسبق إلى الإسلام كان يعد من أعظم المناقب في ذلك الوقت؛ لذلك لما حدث بينه وبين خالد بن الوليد شيء، قال خالد لعبد الرحمن: أتعيروننا بأيام سبقتمونا بها أي إلى الإسلام، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»[(١)].

ومن مناقب عبد الرحمن بن عوف أنه صلى برسول الله ﷺ إمامًا، فَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، أَنَّ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ «أَخْبَرَهُ أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَبُوكَ» قَالَ: الْمُغِيرَةُ «فَتَبَرَّزَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قِبَلَ الْغَائِطِ فَحَمَلْتُ مَعَهُ إِدَاوَةً قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيَّ أَخَذْتُ أُهَرِيقُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْإِدَاوَةِ وَغَسَلَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ، ثُمَّ ذَهَبَ يُخْرِجُ جُبَّتَهُ عَنْ ذِرَاعَيْهِ، فَضَاقَ كُمَّا جُبَّتِهِ فَأَدْخَلَ يَدَيْهِ فِي الْجُبَّةِ، حَتَّى أَخْرَجَ ذِرَاعَيْهِ مِنْ أَسْفَلِ الْجُبَّةِ، وَغَسَلَ ذِرَاعَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ عَلَى خُفَّيْهِ»، ثُمَّ أَقْبَلَ قَالَ: الْمُغِيرَةُ «فَأَقْبَلْتُ مَعَهُ حَتَّى نَجِدَ النَّاسَ قَدْ قَدَّمُوا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ فَصَلَّى لَهُمْ فَأَدْرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِحْدَى الرَّكْعَتَيْنِ فَصَلَّى مَعَ النَّاسِ الرَّكْعَةَ الْآخِرَةَ، فَلَمَّا سَلَّمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُتِمُّ صَلَاتَهُ فَأَفْزَعَ ذَلِكَ الْمُسْلِمِينَ فَأَكْثَرُوا التَّسْبِيحَ فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ صَلَاتَهُ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ» ثُمَّ قَالَ: «أَحْسَنْتُمْ» أَوْ

---

(١) رواه البخاري في كتاب أصحاب النبي، باب قول النبي: لو كنت متخذًا خليلًا حديث (٣٦٧٣)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة حديث (٢٥٤٠).

قَالَ: «قَدْ أَصبتُمْ» يَغْبِطُهُمْ أَنْ صَلَّوُا الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا[(١)]، وفي روايةقَالَ الْمُغِيرَةُ: فَأَرَدْتُ تَأْخِيرَ عَبْدِالرَّحْمَنِ فَقَالَ: النَّبِيُّ ﷺ «دَعْهُ»[(٢)] .

قوله:"وَسَعْدٌ":

✳ وهو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

سعد بن أبي وقاص قد كان قريبًا للنبي ﷺ من ناحية أمه؛ لذا كان يُدعَى خال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: أَقْبَلَ سَعْدٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَذَا خَالِي فَلْيُرِنِي امْرُؤٌ خَالَهُ»[(٣)]، وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُفَدِّي أَحَدًا بِأَبَوَيْهِ إِلَّا لِسَعْدٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ يَوْمَ أُحُدٍ: «ارْمِ سَعْدُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي»، وعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ قال: سَمِعْتُ سَعْدًا، يَقُولُ: «مَا أَسْلَمَ أَحَدٌ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَسْلَمْتُ فِيهِ، وَلَقَدْ مَكَثْتُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، وَإِنِّي لَثُلُثُ الْإِسْلَامِ»[(٤)].

وعن سَعْدِ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ، أنه قال: «وَاللهِ إِنِّي لَأَوَّلُ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَقَدْ كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مَا لَنَا طَعَامٌ نَأْكُلُهُ إِلَّا وَرَقُ

---

(١) رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب تقديم الجماعة من يصلي بهم إذا تأخر الإمام، ولم يخافوا مفسدة بالتقديم حديث (٢٧٤).

(٢) المصدر السابق.

(٣) رواه الترمذي (٣٧٢٥)، وأبو يعلى (٢٠٤٩)، والطبراني في الشاميين (١٠١٨) من حديث جابر، وصححه الألباني.

(٤) رواه البخاري في كتاب أصحاب النبي ﷺ، بَابُ مَنَاقِبِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ الزُّهْرِيِّ وَبَنُو زُهْرَةَ أَخْوَالُ النبي ﷺ حديث (٣٧٢٧).

الْحُبْلَةِ وَهَذَا السَّمُرُ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ»(١).

* أبو عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وهو من هؤلاء الأعلام المعروف لهم فضلهم، ولابد أن يذكر معهم، وهو تتمة العشرة المبشرين بالجنة، وإن كان المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ لم يذكره ، وهو أمين هذه الأمة، فَعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ أَهْلَ الْيَمَنِ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا يُعَلِّمْنَا السُّنَّةَ وَالْإِسْلَامَ، قَالَ فَأَخَذَ بِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَقَالَ: «هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ»(٢).

وهو من أحب الناس لرسول الله ﷺ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ قُلْتُ: «أَيُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِ؟» قَالَتْ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ قُلْتُ: «ثُمَّ مَنْ؟» فَسَكَتَتْ(٣).

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، بَابٌ: كَيْفَ كَانَ عَيْشُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَتَخَلِّيهِمْ مِنَ الدُّنْيَا حديث (٦٤٥٣)، ومسلم في أوائل كتاب الزهد والرقائق حديث (٢٩٦٦).

(٢) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران حديث (٤٣٨٠)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح حديث (٢٤١٩).

(٣) إسناده صحيح: أخرجه النسائي في الكبرى (٨١٤٤)، والطحاوي في مشكل الآثار (٥٣٠٦)، وغيرهما عن عائشة به.



للاستماع للشرح المختصر للأصول السابقة

استخدم الرمز الضوئي:

الأصل الرابع عشر: حكم تارك الصلاة.

الأصل الخامس عشر: فضائل الخلفاء الراشدين والصحابة رضي الله عنهم.

امسح الرمز الضوئي





الأصل السادس عشر:
الأئمة وأمراء المؤمنين وما يتعلق بهم من أحكام

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِلْأَئِمَّةِ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، وَمَنْ وَلِيَ الْخِلَافَةَ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَرَضُوا بِهِ، وَمَنْ عَلَيْهِمْ بِالسَّيْفِ حَتَّى صَارَ خَلِيفَةً، وَسُمِّيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْغَزْوُ مَاضٍ مَعَ الْأَمِيرِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ لَا يُتْرَكُ.

وَقِسْمَةُ الْفَيْءِ وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ إِلَى الْأَئِمَّةِ مَاضٍ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَطْعَنَ عَلَيْهِمْ، وَلَا يُنَازِعُهُمْ، وَدَفْعُ الصَّدَقَاتِ إِلَيْهِمْ جَائِزَةٌ نَافِذَةٌ، مَنْ دَفَعَهَا إِلَيْهِمْ أَجْزَأَتْ عَنْهُ، بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا.

قوله:"والسَّمع وَالطَّاعَة للأئمة وأمير الْمُؤمنِينَ، البر والفاجر، وَمن ولي الْخلَافَة وَاجْتمعَ النَّاس عَلَيْهِ وَرَضوا بِهِ، وَمن عَلَيْهِم بِالسَّيْفِ حَتَّى صَار خَليفَة، وَسُمي أَمِير الْمُؤمنِينَ":

في هذه العبارات يضع الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ القواعد العامة للتعامل مع الأئمة وأُمراء المؤمنين، ومنها: السمع والطاعة لولي الأمر والحاكم وأمير المؤمنين؛ برًّا كانَ أو فاجرًا، لكن ذلك قطعًا مُرتبطٌ بالمعروف، فَعَنْ عَلِيٍّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ جَيْشًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا، فَأَوْقَدَ نَارًا، وَقَالَ: ادْخُلُوهَا، فَأَرَادَ نَاسٌ أَنْ

يَدْخُلُوهَا، وَقَالَ الْآخَرُونَ: إِنَّا قَدْ فَرَرْنَا مِنْهَا، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لِلَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا: «لَوْ دَخَلْتُمُوهَا لَمْ تَزَالُوا فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، وَقَالَ لِلْآخَرِينَ قَوْلًا حَسَنًا، وَقَالَ: «لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»(١)، فيجب طاعته فيما إذا أمر بطاعة، ولا تجوز طاعته إذا أمر بمعصية؛ فلا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق.

وسُمِّي (ولي الأمر)؛ لأنه يتولى أمور الناس في دينهم و دُنياهم ، فالأصل أن ولي الأمر يقوم على إصلاح أمور الناس إصلاح دينهم وهذا أولى، وكذلك إصلاح دُنياهم.

كذلك هو صاحب الأمر والنهي في أمور الناس، فيضع ولي الأمر أحكامًا وقواعد وضوابط هي في الأصل لمصلحة الناس، كقواعد المرور، وقواعد تعامل الناس بعضهم مع بعض، فإذا لم تخالف أمرًا من أمور الشرع فينبغي التزامها.

قوله:"وَمَنْ وَلِيَ الْخِلَافَةَ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَرَضُوا بِهِ، وَمَنْ عَلَيْهِمْ بِالسَّيْفِ حَتَّى صَارَ خَلِيفَةً، وَسُمِّيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ":

والمعنى: أن العلة المرتبطة بهذه الأحكام هو أن يتولى أمور الناس ويجتمع الناس عليه؛ سواء كان ذلك برضا الناس أو بالغلبة، فإن اختاره الناس فهو أمير لهم، وإن غلب الناس وأصبح أميرًا لهم بالقوة فهو أيضًا أميرٌ لهم؛ وذلك لأن

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للأمير مالم تكن معصية حديث (٧١٤٥)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية حديث (١٨٤٠).

المفسدة التي تترتب في الغالب على معارضة ذلك تكون مفسدة عظيمة ترجع على المسلمين جميعًا.

قوله:" وَالْغَزْوُ مَاضٍ مَعَ اَلْأَمِيرِ إِلَى يَوْمِ اَلْقِيَامَةِ البَرِّ وَالْفَاجِرِ لَا يُتْرَكُ":

والمعنى: أن الغزو معه ماضٍ وصحيح حتى وإن كان ظالمًا؛ فإن كان ظالمًا ولكنه يغزو ويفتح البلاد وينشر الإسلام، فالغزو معه واجب؛ لأن هذا من المعروف، وحدث في أزمنة كثيرة كما في زمن الحجاج وغيره، مع ظُلمه وقتله لبعض التابعين ونحو ذلك، لكنه كان فاتحًا للبلاد، غازيًا مجاهدًا، وكان الصحابة الموجودون والتابعون يقاتلون معه، لذلك قال: (والغزو ماض معه إلى يوم القيامة، البرِّ والفاجر).

قوله:"وقسمة الفيء وإقامة الحدود إلى الأئمة ماضٍ، ليس لأحدٍ أن يطعن عليهم":

فقسمة الفيء والغنائم قطعًا تكون للإمام أو نائبه؛ حتى يكون هناك قواعد وضوابط لقسمتها، وكذلك حتى تقسم بالعدل، لا تُترك إلى الناس وإلى رغباتهم، وكذلك منعًا للخلاف والشحناء والبغضاء.

وكذلك الحدود، لا يقيمها إلا الإمام أو نائبه، ولا تُترك أيضًا لرغبات الناس وشهواتهم واجتهاداتهم، وهذا أولًا لمصلحة العباد، وكذلك صيانة لأنفس الناس، كذلك الإمام هو الذي معه القوة والغلبة التي يستطيع بها أن يقيم الحد ولا يخاف التبعات، كذلك الرعية تنقاد له قهرًا وجبرًا، كذلك تهمة المحاباة الأصل أنها منتفية فيه، فلا يحابي أحدًا؛ لذلك قال النبي ﷺ: «لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ

مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا»[١].

ويشهد لذلك – إقامة الحدود تكون للإمام أو نائبه– أن النبي ﷺ وخلفاءه كانوا هم الذين يقيمون الحدود؛ إما يقيمها النبي ﷺ، يعني في حضرته كما حدث مثلًا في قصة ماعز أو غيره، أو نائب عنه ﷺ كما قال: «اغْدُ يَا أُنَيْسُ عَلَى امْرَأَةِ هَذَا، فَإِنْ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمْهَا»[٢]، فأصبح أُنيس نائبًا عن النبي ﷺ.

قوله:"ودفع الصدقات إليهم جائزة نافذة مَنْ دَفَعَهَا إِلَيْهِمْ أَجْزَأَتْ عَنْهُ، بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا":

يجوز للإنسان أن يدفع الصدقات والزكوات إلى أولياء الأمور والحكام ليعطوها للفقراء وغيرهم، سواء كان برًّا أو فاجرًا، وإن دفعها إليه أجزأت عنه.

والمراد بقوله "فاجرًا"، يعني عاصيا أو فاسقًا، فهذا أمره على نفسه، فالأصل أنه يجوز أن تُدفع لهم الصدقات، ولا يلزم أن يخرجها الإنسان بنفسه، ويدل لذلك أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يدفعونها للنبي ﷺ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: هَلَكْتُ، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «وَمَا أَهْلَكَكَ؟» قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي فِي رَمَضَانَ، قَالَ: «هَلْ تَجِدُ مَا تُعْتِقُ رَقَبَةً؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَهَلْ تَجِدُ مَا تُطْعِمُ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟» قَالَ: لَا، قَالَ: ثُمَّ جَلَسَ، فَأُتِيَ النَّبِيُّ

---

(١) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار حديث (٣٤٧٥)، ومسلم في كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره حديث (١٦٨٨).

(٢) رواه البخاري في كتاب الوكالة، باب الوكالة في الحدود حديث (٢٣١٤)، ومسلم في كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا حديث (١٦٩٧).

ﷺ بعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ، فَقَالَ: «تَصَدَّقْ بِهَذَا» قَالَ: أَفْقَرَ مِنَّا؟ فَمَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا أَهْلُ بَيْتٍ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنَّا، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: «اذْهَبْ فَأَطْعِمْهُ أَهْلَكَ»(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَبِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، شَكَى حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَقَالَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ»، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلَا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، شَكَا حَاجَةً وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَقَالَ: «أَمَا إِنَّهُ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ » فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ هَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ تَزْعُمُ أَنَّكَ لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ، قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هِيَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ، فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ

---

(١) رواه البخاري في كتاب الصوم، باب إذا جامع في نهار رمضان، ولم يكن له شيء فتصدق عليه فليكفر حديث (١٩٣٦)، ومسلم في كتاب الصيام، بَابُ تَغْلِيظِ تَحْرِيمِ الْجِمَاعِ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ عَلَى الصَّائِمِ، وَوُجُوبِ الْكَفَّارَةِ الْكُبْرَى فِيهِ وَبَيَانِهَا، وَأَنَّهَا تَجِبُ عَلَى الْمُوسِرِ وَالْمُعْسِرِ، وَتَثْبُتُ فِي ذِمَّةِ الْمُعْسِرِ حَتَّى يَسْتَطِيعَ حديث (١١١١).

حَتَّى تُصْبِحَ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ: «مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهَا فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «مَا هِيَ؟» قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَهَا ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، وَقَالَ: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبُكَ الشَّيْطَانُ حَتَّى تُصْبِحَ، وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ كَذُوبٌ وَقَدْ صَدَقَكَ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثٍ، يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟» فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: «ذَلِكَ الشَّيْطَانُ»(١)، فكل هذا يدل على أنه يجوز للإنسان أن يُخرِج الصدقة بنفسه، ويجوز له أن يعطيها للإمام، وتكون أجزأت عنه سواء كان صدقة أو زكاة؛ لذلك قال: (ومن دفعها إليهم أجزأت عنه)، يعني إذا كانت زكاة تُجزئ عنه برًّا كان الإمام أو فاجرًا.

❊

(١) رواه البخاري في كتاب الوكالة، بَابُ إِذَا وَكَّلَ رَجُلًا، فَتَرَكَ الوَكِيلُ شَيْئًا فَأَجَازَهُ المُوَكِّلُ فَهُوَ جَائِزٌ، وَإِنْ أَقْرَضَهُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى جَازَ حديث (٢٣١١).

قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وصلاة الجمعة خلفه وخلف من ولَّاه جائزة باقية تامة ركعتين، فمن أعادها فهو مبتدع، تارك للآثار، ومخالف للسنة لَيْسَ لَهُ مِنْ فَضْلِ الْجُمْعَةِ شَيْءٌ؛ إِذَا لَمْ يَرَ الصَّلَاةَ خَلْفَ الْأَئِمَّةِ مَنْ كَانُوا بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ فَالسُّنَّةُ: بِأَنْ يُصَلِّيَ مَعَهُمْ رَكْعَتَيْنِ، وَيَدِينَ بِأَنَّهَا تَامَّةٌ، لَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ مِنْ ذَلِكَ شَكٌّ.

ومن عقيدة أهل السنة أن الصلاة عامة وصلاة الجمعة خاصة خلف الأئمة وولاة الأمور سواء كان أبرارًا أو فجارًا صحيحة، واستُدِل لذلك بأدلة، منها: «صَلُّوا خلفَ كلِّ بَرٍّ وفاجرٍ»[1]، ولكنه حديث ضعيف، واستدلوا بأحاديث أخرى لكنها ضعيفة أيضًا، لكن المشهور من عمل الصحابة أنهم كانوا يفعلون ذلك، و يصلون خلف الأئمة الجُمَع والجماعات؛ سواء كان الإمام برًّا أو كان فاجرًا.

ومن أمثلة ذلك ما ورد عن الصحابة في الصلاة خلف الحجاج، فعن نافع أن ابن عمر: «اعتزل بمنى في قتال ابن الزبير، والحجاج بمنى فصلى مع

---

(١) رواه أبو داود (٥٩٤)، والدارقطني في السنن (١٧٦٨) من حديث أبي هريرة، ومداره على مكحول، وهو لم يسمع من أبي هريرة.
ورواه الدارقطني في السنن (١٧٦٥)، وابن شاهين في الناسخ والمنسوخ (٣٦٠) من حديث علي بن أبي طالب، وفيه محمد بن علوان والحارث الأعور متروكان، ورواه الدارقطني (١٧٦٩) من حديث ابن مسعود ومداره على عمر بن صبح وهو كذاب، وضعفه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الحجاج»(١).

وورد عن جعفر بن محمد عن أبيه أن الحسن، والحسين رضي الله عنهما كانا يصليان خلف مروان، فقيل: ما كانا يصليان إذا رجعا إلى منازلهما؟ فقال: " لا والله، ما كانا يزيدان على صلاة الأئمة "(٢).

وعن عبد الكريم البكاء قال: " أدركت عشرة من أصحاب النبي ﷺ، كلهم يصلي خلف أئمة الجور "(٣).

وعن إبراهيم قال: «كان عبد الله - يعني ابن مسعود - يصلي معهم إذا أخروا عن الوقت قليلا، ويرى أن مأثم ذلك عليهم»(٤).

---

(١) رواه ابن المنذر في الأوسط (١٨٦٣)، والبيهقي في الكبرى (٥٣٠١)، وفي رواية البيهقي (٥٣٠٢) عن عمير بن هانئ قال: " بعثني عبد الملك بن مروان بكتب إلى الحجاج فأتيته، وقد نصب على البيت أربعين منجنيقا، فرأيت ابن عمر إذا حضرت الصلاة مع الحجاج صلى معه، وإذا حضر ابن الزبير صلى معه، فقلت له: يا أبا عبد الرحمن، أتصلي مع هؤلاء وهذه أعمالهم؟ فقال: يا أخا أهل الشام، ما أنا لهم بحامد ولا نطيع مخلوقا في معصية الخالق قال: قلت: ما تقول في أهل الشام؟ قال: ما أنا لهم بحامد، قلت: فما تقول في أهل مكة؟ قال: ما أنا لهم بعاذر، يقتتلون على الدنيا، يتهافتون في النار تهافت الذباب في المرق، قلت: فما قولك في هذه البيعة التي أخذ علينا مروان؟ قال: قال ابن عمر: " كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة يلقننا فيما استطعتم ".

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٧٥٦٠)، والبيهقي في الكبرى (٥٣٠٣).

(٣) رواه البيهقي في الكبرى (٥٣٠٤).

(٤) رواه ابن أبي شيبة (٧٥٦٦).

وتحريرالمسألة وخلاصتها أن للإمام أحوالًا، وفيها كلها يُصلَّى خلفه إما بالإجماع أو على الراجح:

- فالإمام إما أنه إمام صالح عادل، وهذا تجب الصلاة خلفه بلا خلاف.
- أو إمام ظالم، هذا حُكمه أيضًا أنه يُصلَّى خلفه، وهذا فِعْل الصحابة رَضِوَاللَّهُعَنْهُمْ.
- أو إمام مجهول الحال، لا يُعلَم هل هو بر أم فاسق؟ والصحيح: أنه يُصلَّى خلفه، ولا يُسأل عن حاله، بل قرر العلماء أن السؤال عن حاله من البدع؛ لأنه يُبنى على الأصل، فالأصل أنه عدل، وأنه صالح ما لم يظهر منه ظلم أو فسق، أو نحو ذلك.
- أو أنه إمام فاسق، والفاسق: هو الذي يقع في المعاصي، وقد يفعل الكبائر أحيانًا، وهذا فيه خلاف، لكن الصواب: أنه يُصلَّى خلفه أيضًا؛ لفِعل بعض الصحابة رَضِوَاللَّهُعَنْهُمْ.

لذلك نُقل عن ابن مسعود رَضِوَاللَّهُعَنْهُ أنه كان يُصلي خلف الوليد بن عقبة، وكان أميرًا وكان يشرب الخمر، فصلى الفجر أربع ركعات، حتى بعدما قضى الصلاة قال: أزيدكم؟! لذلك قال ابن مسعود: ما زلنا منذ اليوم منك في زيادة[(١)].

(١) ذكره الصنعاني في توضيح الأفكار (٢/ ٤٣٧)، وأصل الحديث في مسلم (١٧٠٧)، وأحمد (١٢٣٠)، والنسائي في الكبرى (٥٢٥٠)، وغيرهم.

قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَمَنْ خَرَجَ عَلَى إِمَامٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ كَانَ النَّاسُ اِجْتَمَعُوا عَلَيْهِ وَأَقَرُّوا لَهُ بِالْخِلَافَةِ، بِأَيِّ وَجْهٍ كَانَ، بِالرِّضَا أَوْ بِالْغَلَبَةِ - فَقَدْ شَقَّ هَذَا الْخَارِجُ عَصَا الْمُسْلِمِينَ، وَخَالَفَ الْآثَارَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِنْ مَاتَ الْخَارِجُ عَلَيْهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَلَا يَحِلُّ قِتَالُ السُّلْطَانِ وَلَا الْخُرُوجُ عَلَيْهِ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ عَلَى غَيْرِ السُّنَّةِ وَالطَّرِيقِ.

قوله:" وَمَنْ خَرَجَ عَلَى إِمَامٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ كَانَ النَّاسُ اِجْتَمَعُوا عَلَيْهِ، وَأَقَرُّوا لَهُ بِالْخِلَافَةِ، بِأَيِّ وَجْهٍ كَانَ، بِالرِّضَا أَوْ بِالْغَلَبَةِ - فَقَدْ شَقَّ هَذَا الْخَارِجُ عَصَا الْمُسْلِمِينَ، وَخَالَفَ الْآثَارَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ":

والمعنى: أنه لا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق، طالما أنه تولى أمور الناس، سواء بالرضا أو بالغلبة، لا يجوز الخروج عليه؛ لأن الخروج عليه واقعًا وتاريخًا يأتي بالمفاسد الكبيرة في الغالب، وكما هو معلوم: أن درء المفاسد مُقدَّم على جلب المصالح، وسبق بيان هذا، ولله الحمد.

قوله:"فَإِنْ مَاتَ الْخَارِجُ عَلَيْهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً":

والمعنى: أن من مات على ذلك أي على فعل كفعل الخوارج من الخروج على أمير المؤمنين، وشق عصا المسلمين، فقد مات على شعبة وخصلة من خصال الجاهلية.

قوله: "وَلَا يَحِلُّ قِتَالُ السُّلْطَانِ وَلَا الْخُرُوجُ عَلَيْهِ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ عَلَى غَيْرِ السُّنَّةِ وَالطَّرِيقِ":

والمعنى أن هذه الأفعال من الخروج على أمير المؤمنين أو قتاله أو نحو هذا ليس من أفعال أهل السنة، بل من أفعال أهل البدع؛ لأن أهل السنة ملتزمون بالنصوص، ويفهمون معانيها بفهم السلف الصالح، وينظرون للمآلات والعواقب، وكل هذا يخالفهم فيه أهل البدع، فلاهم يلتزمون بالنصوص، ولا يفهمون النصوص بفهم السلف، ولا ينظرون لعواقب الأمور ومآلاتها.



للاستماع للشرح المختصر للأصل السابق

استخدم الرمز الضوئي:

الأصل السادس عشر:

الأئمة وأمراء المؤمنين، وما يتعلق بهم من أحكام.

امسح الرمز الضوئي







الأصل السابع عشر:
قتال اللصوص والخوارج

قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَقِتَالُ اللُّصُوصِ وَالْخَوَارِجِ جَائِزٌ إِذَا عَرَضُوا لِلرَّجُلِ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَهُ أَنْ يُقَاتِلَ عَنْ نَفْسِهِ وَمَالِهِ، وَيَدْفَعُ عَنْهَا بِكُلِّ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ

قوله:" وَقِتَالُ اللُّصُوصِ وَالْخَوَارِجِ جَائِزٌ إِذَا عَرَضُوا لِلرَّجُلِ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَهُ أَنْ يُقَاتِلَ عَنْ نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَيَدْفَعَ عَنهَا بِكُلِّ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ":

ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا نوعين ممن يحل قتالهم وهما اللصوص والخوارج، وهما مختلفان في الأحكام، فاللصوص غير الخوارج؛ حيث إن الأصل أن الخوارج يكونون جماعة، ويخرجون على الإمام وعلى عامة الناس، وكذلك يُكفِّرون الناس، ويستحلون دمائهم وأموالهم، ونحو هذا.

أما اللصوص قد يكون هذا أمرًا مفردًا؛ كسارق أو قاطع طريق أو نحو هذا، ولا يلزم أنه يكفر الناس أو يستحل دماءهم.

فقال: قتال اللصوص والخوارج جائز إذا عرضوا للرجل في نفسه وماله، فله أن يقاتل عن نفسه وماله.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: «فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: «قَاتِلْهُ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: «فَأَنْتَ شَهِيدٌ»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: «هُوَ فِي النَّارِ»(١).

أما الخوارج فشأنهم شأن آخر، فهم الذين يخرجون على إمام المسلمين، وعلى جماعة المسلمين، ويُكفِّرون المسلمين، ويستحلون دمائهم وأموالهم، ويُكفِّرون بالمعصية، ونحو هذا. فالإمام له أن يقاتلهم.

وبدعة الخوارج هي من أوائل البدع التي ظهرت، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: بَعَثَ عَلِيٌّ رضي الله عنه، وَهُوَ بِالْيَمَنِ بِذَهَبَةٍ فِي تُرْبَتِهَا، إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَسَمَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيُّ، وَعُيَيْنَةُ بْنُ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ عُلَاثَةَ الْعَامِرِيُّ ثُمَّ أَحَدُ بَنِي كِلَابٍ، وَزَيْدُ الْخَيْرِ الطَّائِيُّ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي نَبْهَانَ، قَالَ: فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ، فَقَالُوا: أَتُعْطِي صَنَادِيدَ نَجْدٍ وَتَدَعُنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي إِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِأَتَأَلَّفَهُمْ»، فَجَاءَ رَجُلٌ كَثُّ اللِّحْيَةِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، نَاتِئُ الْجَبِينِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ، يَا مُحَمَّدُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَمَنْ يُطِعِ اللهَ إِنْ عَصَيْتُهُ، أَيَأْمَنُنِي عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمَنُونِي؟» قَالَ: ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ، فَاسْتَأْذَنَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فِي قَتْلِهِ - يُرَوْنَ أَنَّهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ - فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مَنْ قَصَدَ أَخْذَ مَالِ غَيْرِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، كَانَ الْقَاصِدُ مُهْدَرَ الدَّمِ فِي حَقِّهِ، وَإِنْ قُتِلَ كَانَ فِي النَّارِ، وَأَنَّ مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ حديث (١٤٠).

لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَقْتُلُونَ، أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»[(١)].

فأصبح هذا الرجل بعد ذلك هو أصل الخوارج، والذين خرجوا من إبطه كَفَّروا الصحابة، والذين يخرجون من آباطهم يُكفِّرون العلماء، وهكذا.

فكل إنسان يرى نفسه كبيرًا عظيمًا يستطيع أن يحكم على الأكابر، وخاصة يكون ذلك غالبًا بهواه وشهوته، ونحو ذلك؛ لذلك قد تجد البعض منهم لا يحسن شيئًا في علوم الشريعة، أو قد لا يحسن أحيانًا قراءة القرآن، أو نحو ذلك، ومع ذلك يُكفِّر الناس، ويحكم عليهم، فإلى الله المُشتكَى.

---

(١) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء بَابُ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ حديث (٣٣٤٤)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم حديث (١٠٦٤).

قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَلَيْسَ لَهُ إِذَا فَارَقُوهُ أَوْ تَرَكُوهُ أَنْ يَطْلُبَهُمْ، وَلَا يَتْبَعَ آثَارَهُمْ، لَيْسَ لِأَحَدٍ إِلَّا الْإِمَامَ أَوْ وُلَاةَ الْمُسْلِمِينَ، إِنَّمَا لَهُ أَنْ يَدْفَعَ عَنْ نَفْسِهِ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ، وَيَنْوِيَ بِجُهْدِهِ أَنْ لَا يَقْتُلَ أَحَدًا، فَإِنْ مَاتَ عَلَى يَدَيْهِ فِي دَفْعِهِ عَنْ نَفْسِهِ فِي الْمَعْرَكَةِ فَأَبْعَدَ اللهُ الْمَقْتُولَ، وَإِنْ قُتِلَ هَذَا فِي تِلْكَ الْحَالِ وَهُوَ يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ وَمَالِهِ، رَجَوْتُ لَهُ الشَّهَادَةَ، كَمَا جَاءَ فِي الْأَحَادِيثِ وَجَمِيعِ الْآثَارِفِي هَذَا إِنَّمَا أُمِرَ بِقِتَالِهِ، وَلَمْ يُؤْمَرْ بِقَتْلِهِ وَلَا اتِّبَاعِهِ، وَلَا يُجْهِزُ عَلَيْهِ إِنْ صُرِعَ أَوْ كَانَ جَرِيحًا، وَإِنْ أَخَذَهُ أَسِيرًا فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَقْتُلَهُ، وَلَا يُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَلَكِنْ يَرْفَعُ أَمْرَهُ إِلَى مَنْ وَلَّاهُ اللهُ، فَيَحْكُمُ فِيهِ.

هذه المسألة مما تظهر فيها حكمة الشريعة ويتجلى عدلها، فمع أنهم لصوص وخوارج مبتدعون مفسدون، لكن وضع الشرع الحدود الشرعية لقتالهم حتى لا يُظلَموا أو يُجار عليه.

وجعل الغاية للقتال ليس الانتقام منهم بل حتى يفيئوا إلى أمر الله، وذلك يكون بالجهاد باللسان تارة، كما فعل ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ معهم ودحضهم بالحجة والبرهان، أو بالقوة والقتال ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [الحجرات: ٩]، لكنها لا تُعامَل معاملة الكفار؛ إذ الحكمة هي الدفع عن النفس، ولكي يفيء هؤلاء إلى أمر الله؛ إذًا لا يُتَّبَع من يفر منهم، لا يُقتَل أسيرهم، لا يُجهَز على الجريح لأننا لا نريده أن يموت على البدعة، وإنما نريد أن نرده فقط إلى

الصواب وإلى الخير، كما فعل علي رضي الله عنه في قتال الخوارج، وقتال كل من خرج عليه[١].

ولذلك قال: **"وإنما أُمِر بقتاله ولم يؤمر بقتله"**، فالقتال يعني المدافعة، فإذا فر أو وقع أسيرًا أو جريحًا انتهت المقاتلة.

ولذا قال أيضًا: **"وَإِنْ أَخَذَهُ أَسِيرًا فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَقْتُلَهُ"**، وهذا فِعل الصحابة رضي الله عنهم.

"وَلَا يُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدَّ"، بل يُرفَع أمره إلى الإمام.

❋ تنبيه:

الحكم على الناس ليس بالمقابلة بمعنى أنه من الخطأ أن من يُكفِّر الناس يُكفَّر لأجل ذلك، ومن يُفسِّق الناس يُفسَّق، فالخوارج كانوا يُكفِّرون الصحابة، والصحابة لم يُكَفِّروهم؛ لأن تكفير المسلم يدل على الجهل، لذلك هم يُكفِّرون المسلمين لجهلهم، لكن الصحابة علماء، فلا يُكفِّرون المسلم حتى وإن ابتدع.

وكان ابن تيمية رحمه الله يقول: و لهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية و النفاة الذين نفوا أن الله تعالى فوق العرش لما وقعت محنتهم أنا لو وافقتكم كنت كافرا؛ لأني أعلم أن قولكم كفر، و أنتم عندي لا تكفرون لأنكم جهال[٢].

ولهذا يقول رحمه الله-أيضًا: (أهل السنة هم أعلم الناس بالحق، وأرحم

---

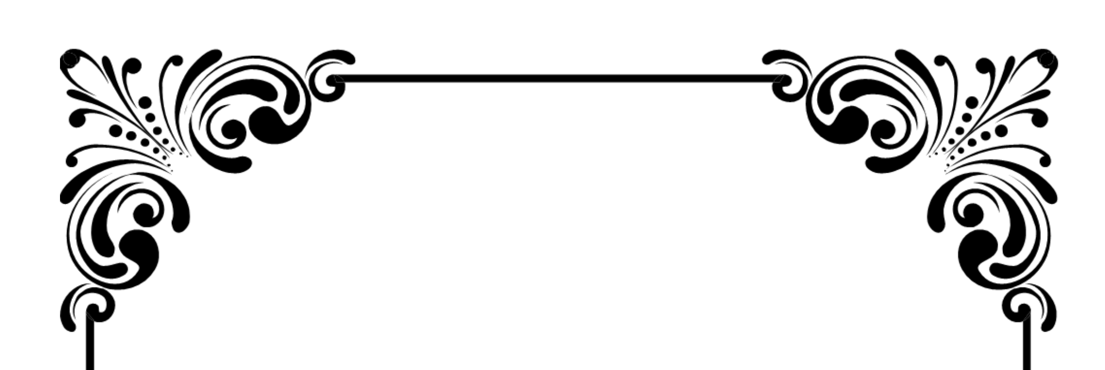
(١) قصة قتال علي للخوارج والأمر بقتالهم رواها البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦).

(٢) الرد على البكري لابن تيمية (٢/ ٤٩٤).

الناس بالخلق)[١]؛ لذلك لا يسارعون في تفسيق الناس، ولا تبديع الناس، ولا تكفيرهم، بل هم رحماء بهم.

---

(١) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٨/ ٤٦٧).



للاستماع للشرح المختصر للأصل السابق

استخدم الرمز الضوئي:

الأصل السابع عشر: قتال اللصوص والخوارج.

امسح الرمز الضوئي





الأصل الثامن عشر:
عدم الشهادة لمعين بالجنة أوالنار

قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَلَا نَشْهَدُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ اَلْقِبْلَةِ بِعَمَلٍ يَعْمَلُهُ بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ، نَرْجُو لِلصَّالِحِ وَنَخَافُ عَلَيْهِ، وَنَخَافُ عَلَى اَلْمُسِيءِ اَلْمُذْنِبِ، وَنَرْجُو لَهُ رَحْمَةَ اَللهِ.

قوله: "وَلَا نَشْهَدُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِعَمَلٍ يَعْمَلُهُ بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ":

۞ مسألة: الحكم بالجنة والنار:

الحكم في هذه المسألة نوعان:

- حُكمٌ عام.
- وحُكمٌ خاص.

هذا الحكم إن كان للمسلم فإنه يجوز له أن يُحكَم عليه بالحكم العام؛ وهو أن كل مسلمٍ سيدخل الجنة ولو في آخر مآله، أما الحكم بالنار فلا يجوز أن نحكم عليه عيناً أنه سيدخل النار لمعصية، وإن كانت من الكبائر؛ لأنه قد يتوب إلى الله تعالى، وقد يتوب الله عليه ويعفو عنه، وقد تكون له حسنة ماحية، ونحو هذا، فلا يعلم أحد ذلك إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أما بالنسبة للكافر: فالكافر له الحكم العام، فيجوز أن يُحكم أنه في النار،

يعني كل كافر سيدخل النار.

أما إذا مات هل يجوز أن يُحكم عليه عينًا أنه في النار؟

اختلف العلماء في ذلك، والأقرب - والله أعلم - ألَّا نحكم عليه عينًا بذلك، لأنه لا يعلم الخواتيم إلا الله.

قوله:"نرجُو لِلصَّالِحِ وَنخَافُ عَلَيْهِ، وَنَخَافُ عَلَى الْمُسِيءِ الْمُذْنِبِ وَنَرْجُو لَهُ رَحْمَةَ اللهِ":

والمعنى أننا أمة رحمة للصالح المحسن، والمسيء المذنب، فأما الصالح والمحسن نرجو له القبول، ونكثر له الدعاء، ونقتفي آثاره، وأما المسيء فإننا نخاف عليه؛ لذا نسأل الله أن يغفر له، ونرجو الله أن يرحمه، ولا يؤاخذه بما فعل، وكذلك نحذر من أفعاله.

الأصل التاسع عشر:
مصير من استوجب العقوبة في الآخرة

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَمَنْ لَقِيَ اللهَ بِذَنْبٍ يَجِبُ لَهُ بِهِ النَّارُ تَائِبًا غَيْرَ مُصِرٍّ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ، وَيَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ، وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ، وَمَنْ لَقِيَهُ وَقَدْ أُقِيمَ عَلَيْهِ حَدُّ ذَلِكَ الذَّنْبِ فِي الدُّنْيَا، فَهُوَ كَفَّارَتُهُ، كَمَا جَاءَ فِي الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَنْ لَقِيَهُ مُصِرًّا غَيْرَ تَائِبٍ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي قَدْ اِسْتَوْجَبَ بِهَا الْعُقُوبَةَ فَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَمِنْ لَقِيَهُ وَهُوَ كَافِرٌ عَذَّبَهُ وَلَمْ يَغْفِرْ لَهُ.

قوله:"وَمَنْ لَقِيَ اللهَ بِذَنْبٍ يَجِبُ لَهُ بِهِ النَّارُ، تَائِبًا غَيْرَ مُصِرٍّ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ وَيَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ، وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ":

ذكر هنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ نوعين من أهل الذنوب، الأول: أهل الكبائر سواء من تاب منهم، أو من أقيم عليه الحد، أو من هو مصر ولم يتب، والنوع الثاني هو الكافر الذي مات على الكفر.

النوع الأول: أهل الكبائر: (مَنْ لَقِيَ اللهَ بِذَنْبٍ يَجِبُ لَهُ بِهِ النَّارُ)، فالإشارة هنا إلى أهل الكبائر؛ والدليل على ذلك أنه قال: (وَقَدْ أُقِيمَ عَلَيْهِ حَدُّ ذَلِكَ)، والحد لا يكون إلا على أهل الكبائر، وهذا الحكم الأول، وهو حكم أهل

الكبائر.

وأهل الكبائر هم:

- المسلم الذي أوجب الله له النار لفعل ما.
- من وصفه بالخلود في النار وهو مسلم.
- من تَرَتَّب على فِعْلِ فَعَلَه لعنة.
- من شمله قول: (ليس منّا).
- ووصف الشرع للأعمال بأنها من الموبقات المهلكات، ونحو هذا.

فأهل الكبائر هؤلاء مُتوعَّدون بالعقاب إلا في حالات منها:

التوبة النصوح: أن يتوب توبة خالصة لوجه الله تعالى، قال تعالى ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٧٠]، كالرجل الذي قتل مائة نفس، وتاب الله تعالى عليه.

❋ الحسنات الماحيات: ووردت النصوص ببعضها، ومنها:

غزوة بدر: قال- ﷺ- في قصة حاطب بن أبي بلتعة: «لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ علَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقالَ: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ؛ فإنِّي قدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»(١).

ومنها الهجرة: عَنْ جَابِرٍ أَنَّ الطُّفَيْلَ بْنَ عَمْرٍو الدَّوْسِيَّ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ:

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس حديث (٣٠٠٧)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم حديث (٢٤٩٤).

يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ لَكَ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ وَمَنْعَةٍ؟ - قَالَ: حِصْنٌ كَانَ لِدَوْسٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ - فَأَبَى ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ لِلَّذِي ذَخَرَ اللهُ لِلْأَنْصَارِ، فَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، هَاجَرَ إِلَيْهِ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَهَاجَرَ مَعَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَاجْتَوَوُا الْمَدِينَةَ، فَمَرِضَ، فَجَزِعَ، فَأَخَذَ مَشَاقِصَ لَهُ، فَقَطَعَ بِهَا بَرَاجِمَهُ، فَشَخَبَتْ يَدَاهُ حَتَّى مَاتَ، فَرَآهُ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فِي مَنَامِهِ، فَرَآهُ وَهَيْئَتُهُ حَسَنَةٌ، وَرَآهُ مُغَطِّيًا يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: مَا صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ: غَفَرَ لِي بِهِجْرَتِي إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ، فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكَ مُغَطِّيًا يَدَيْكَ؟ قَالَ: قِيلَ لِي: لَنْ نُصْلِحَ مِنْكَ مَا أَفْسَدْتَ، فَقَصَّهَا الطُّفَيْلُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ»(١).

لكن هنا ملحظ: أن الحسنات الماحيات قد تكون كبيرة في ذاتها، وقد تكون صغيرة في ظاهرها لكنها عند الله قد تكون كبيرة؛ لما يعتريها من الأحوال والقرائن، ونحو هذا، فغزوة بدر هي كبيرة في ذاتها، يعني عند الله وعند الناس عمل عظيم، والهجرة عمل عظيم كما سبق، الجهاد في سبيل الله عمل عظيم؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [النحل: ١١٠]، وفي الحديث جاء رجل للنبي - ﷺ- وقال: «يا رسُولَ الله، أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ في سَبيلِ اللهِ، يَغْفِرُ اللهُ لي؟ قالَ: إنْ قُتِلتَ وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ. أَخْبَرَنِي بِذلك جِبْرِيلُ»(٢)، فالجهاد سبب في مغفرة الذنوب.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَن قَاتِلَ نَفْسِه لَا يَكْفُرُ حديث (١١٦).

(٢) رواه مسلم في كتاب الإمارة، بَابُ مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ كُفِّرَتْ خَطَايَاهُ إِلَّا الدَّيْنَ حديث (١٨٨٥).

لكن هناك أشياء قد تكون صغيرة في نظر الناس، لكن تعتريها أشياء تكبر بها؛ منها مثلًا كما ورد في النصوص: أن امرأة بغي سقت كلبًا فغُفر لها، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ، قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ، فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا فَغُفِرَ لَهَا»(١).

فهي بغي، ومع ذلك غُفر لها بسقي كلب، فجاءت بعمل صغير في ذاته، لكنه كان كبيرًا لإخلاصها، وأثر فعلها في إنقاذ حيوان من الموت، وغير ذلك.

أو كتنحية الرجل الشوك عن الطريق حتى لا يؤذي مسلمًا، فهذا يدل على حبه ووده وولائه للمسلمين الذين يعرفهم والذين لا يعرفهم، فغفر الله له، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ»(٢).

ومنها أيضًا: التجاوز عن المُعسِر، فَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ»، قَالَ: «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ»(٣).

أيضًا من أسباب ذلك: عفو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن العبد ابتداء؛ فالله -عزَّ

---

(١) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث (٣٤٦٧)، مسلم في كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، حديث (٢٢٤٥).

(٢) رواه البخاري في كتاب الأذان، باب فضل التهجير إلى الظهر، حديث (٦٥٢)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب فضل إزالة الأذى عن الطريق، حديث (١٩١٤).

(٣) رواه مسلم في كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر، حديث (١٥٦١).

وجَل- غفورٌ رحيمٌ حليمٌ، ورحمته سبقت غضبه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فمن الممكن أن يعفو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن العبد دون فعل شيء من العبد.

ومنها كذلك الشفاعات كما سبق، ومنها أيضًا إقامة الحدود كما سيشار إليه في الفقرة التالية إن شاء الله تعالى.

قوله: "وَمَنْ لَقِيَهُ وَقَدْ أُقِيمَ عَلَيْهِ حَدُّ ذَلِكَ الذَّنْبِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَتُهُ":

وهذه هي الطائفة الثانية من طوائف أهل الكبائر وهم من أقيم عليهم الحد، عن عبادة بن الصامت رَضِوَاللَّهُعَنْهُ قال: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ في مَجلِس، فَقَال: بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا وَلَا تَزْنُوا...» الحديث، وذكر فيه مجموعة من الكبائر، ثم قال «فمَنْ وَفَّى منكُم فأَجْرُهُ على اللهِ، ومَنْ أَصَابَ مِن ذلِكَ شيئًا فعُوقِبَ بِهِ (أي حُدَّ) في الدُّنْيَا فهو كَفَّارَةٌ له، ومن أصابَ مِن ذلكَ شيئًا فستَرَهُ اللهُ (يعني لم يُعاقب، ولم يتب) فأمره إلى اللهِ؛ إن شاءَ عفا عنهُ، وإن شاءَ عذَّبه»[(١)]، وهذا يُرجِّح قول من يقول: أن الحد كفارة للذنب أيضًا.

قوله: "وَمَنْ لَقِيَهُ مُصِرًّا غَيْرَ تَائِبٍ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي قَدِ اسْتَوْجَبَ بِهَا الْعُقُوبَةَ، فَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ":

وهذه هي الطائفة الثالثة من طوائف أهل الكبائر وهم الذين يلقون الله تعالى بذنوبهم، بدون توبة، وبدون إقامة الحد عليه إن كان الذنب مما شُرِعَ له حَدٌّ، وهؤلاء يكونون تحت المشيئة إن شاء غفر لهم، وإن شاء عذبهم، ومما يدل على ذلك أن أناسًا يأتون الله تعالى يوم القيامة بسيئات لم يتوبوا منها ويقررهم

(١) رواه البخاري في كتاب الحدود، باب الحدود كفارة حديث (٦٧٨٤)، ومسلم في كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها حديث (١٧٠٩).

الله تعالى بذنوبهم فيقرون بها ثم يغفرها الله لهم، فَعَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ قَالَ: كُنْتُ آخِذًا بِيَدِ ابْنِ عُمَرَ إِذْ عَرَضَ لَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: فِي النَّجْوَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ، وَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، وَيَقُولُ لَهُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، ثُمَّ يُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨][1].

قوله:" وَمَنْ لَقِيَهُ كَافِرًا عَذَّبَهُ، وَلَمْ يَغْفِرْ لَهُ": هذا هو النوع الثاني ممن يستحق العقوبة أو من المتوَعَّدين بالعقاب، وهم الكفار.

والكفار مُعذَّبون مخلدون، لا يخرجون من النار أبدًا؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾ [النساء: ٤٨]، وقال تعالى ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة:٧٢].

(١) رواه البخاري في كتاب المظالم والغصب، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨] حديث (٢٤٤١)، ومسلم في كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله حديث (٢٧٦٨).

الأصل العشرون:
الرجم حقٌّ على الزاني المحصن

قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَالرَّجْمُ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَا وَقَدْ أَحْصَنَ إِذَا اعْتَرَفَ أَوْ قَامَتْ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ، وَقَدْ رَجَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَدْ رَجَمَتِ الْأَئِمَّةُ الرَّاشِدُونَ.

قوله: "وَالرَّجْمُ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَا وَقَدْ أَحْصَنَ إِذَا اعْتَرَفَ أَوْ قَامَتْ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ، وَقَدْ رَجَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَدْ رَجَمَتِ الْأَئِمَّةُ الرَّاشِدُونَ":

فالرجم حد من الحدود الشرعية، وهو حق، والحق يأتي بأحد معنيين: إما بمعنى الموجود الثابت، وإما بمعنى المقصود النافع، فقوله: الرجم حقٌّ أي موجود ثابت، وهو أيضًا مقصود نافع.

وقال: "وَقَدْ أَحْصَنَ": الرجم من الحدود النافعة والمهمة في الشريعة، والحدود كلها هكذا، فالحدود جاءت للردع والزجر، وأتت أيضًا للكفارة كما سبق؛ فقطع يد السارق لمنع السرقة، وللحفاظ على أموال الناس، فإن تعدَّى الإنسان وسرق وَفَاتَهُ مَنْع السرقة، فلا بد أن يُحافَظ على أموال الناس، فيُقام عليه الحد من قبل الحاكم أو نائبه كما سبق.

فالحدود الشرعية يكون لها أكثر من حكمة: الحفاظ على الناس، الحفاظ

على أموال الناس، الحفاظ على المجتمع، الحفاظ على الأفراد، كفارة الذنوب، فإن فات شيء لا تفوت الأشياء الأخرى.

كذلك الرجم يُعطي فائدة: أن هناك أشياء تُعالج بالنسبة للفرد؛ كقطع يد السارق، وجلد الزاني غير المحصن، وجلد القاذف، فهذا علاج له، لكن قد يزيد الجُرم ولا يَصلح العلاج للإنسان، فأصبح كالبؤرة الخبيثة في البدن، لابد أن تخرج من البدن لصلاح البدن، وهذا هو حد الرجم أو حد القتل (القصاص)، ونحوها.

وكذلك الرجم يظهر فيها الإشارة إلى علاقة الدوافع والموانع بالأحكام والحدود الشرعية؛ فإن الموانع كلما قويت زاد العقاب، وكلما خفَّت خفَّ العقاب، ففي السرقة مثلًا: لماذا اشتُرِط أن يكون ذلك من حرز؟ لأن المانع للسرقة سيكون شديدًا، ومع ذلك سَرَق، فكان الحد القطع، أما إذا أخذ الإنسان نفس المال من غير حرز، فالدافع للمعصية شديد، والمانع ضعيف؛ لأن المال -مثلًا- موجود أمامه، فيُعاقب ويُعَزَّر، لكنه لا تُقطع يده.

كذلك في مسألة الزنا -نسأل الله السلامة والعافية- فغير المتزوج يخالف المتزوج؛ فالإنسان إذا كان متزوجًا فالمانع هنا شديد، والدافع ضعيف؛ لأنه متزوج ويمكنه إتيان أهله في الحلال، لكنه تجاوز ذلك وفعل الفاحشة؛ لذا كان الحد له كبيرًا.

فالرجم حق لوروده في النصوص، ولقد ورجم النبي ﷺ ماعزًا والغامدية، فَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: جَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، طَهِّرْنِي، فَقَالَ: «وَيْحَكَ، ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللهَ وَتُبْ إِلَيْهِ»، قَالَ: فَرَجَعَ

غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ جاءَ، فقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، طَهِّرْنِي، فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَيْحَكَ، ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللهَ وَتُبْ إِلَيْهِ»، قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ جاءَ، فقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، طَهِّرْنِي، فقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَتِ الرَّابِعَةُ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ: «فِيمَ أُطَهِّرُكَ؟» فقَالَ: مِنَ الزِّنَى، فَسَأَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَبِهِ جُنُونٌ؟» فَأُخْبِرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ، فقَالَ: «أَشَرِبَ خَمْرًا؟» فقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنْكَهَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خَمْرٍ، قَالَ، فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَزَنَيْتَ؟» فقَالَ: نَعَمْ، فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ، فَكَانَ النَّاسُ فِيهِ فِرْقَتَيْنِ، قَائِلٌ يَقُولُ: لَقَدْ هَلَكَ، لَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ، وَقَائِلٌ يَقُولُ: مَا تَوْبَةٌ أَفْضَلَ مِنْ تَوْبَةِ مَاعِزٍ، أَنَّهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: اقْتُلْنِي بِالْحِجَارَةِ، قَالَ: فَلَبِثُوا بِذَلِكَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً، ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُمْ جُلُوسٌ، فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ، فقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ»، قَالَ: فقَالُوا: غَفَرَ اللهُ لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ، فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ»، قَالَ: ثُمَّ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ غَامِدٍ مِنَ الْأَزْدِ، فقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، طَهِّرْنِي، فقَالَ: «وَيْحَكِ ارْجِعِي فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ» فقَالَتْ: أَرَاكَ تُرِيدُ أَنْ تُرَدِّدَنِي كَمَا رَدَّدْتَ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ، قَالَ: «وَمَا ذَاكِ؟» قَالَتْ: إِنَّهَا حُبْلَى مِنَ الزِّنَى، فقَالَ: «آنْتِ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، فقَالَ لَهَا: «حَتَّى تَضَعِي مَا فِي بَطْنِكِ»، قَالَ: فَكَفَلَهَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّى وَضَعَتْ، قَالَ: فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فقَالَ: «قَدْ وَضَعَتِ الْغَامِدِيَّةُ»، فقَالَ: «إِذًا لَا نَرْجُمُهَا وَنَدَعُ وَلَدَهَا صَغِيرًا لَيْسَ لَهُ مَنْ يُرْضِعُهُ»، فقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فقَالَ: إِلَيَّ رَضَاعُهُ يَا نَبِيَّ اللهِ، قَالَ: فَرَجَمَهَا»[(١)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَزَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ، أَنَّهُمَا قَالَا: إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ

---

(١) رواه مسلم في كتاب الحدود، بَابُ مَنِ اعْتَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ بِالزِّنَى حديث (١٦٩٥).

أَتى رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْشُدُكَ اللهَ إِلَّا قَضَيْتَ لِي بِكِتَابِ اللهِ، فَقَالَ الْخَصْمُ الْآخَرُ: وَهُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ نَعَمْ، فَاقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللهِ وَأْذَنْ لِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قُلْ»، قَالَ: إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا عَلَى هَذَا، فَزَنَى بِامْرَأَتِهِ، وَإِنِّي أُخْبِرْتُ أَنَّ عَلَى ابْنِي الرَّجْمَ، فَافْتَدَيْتُ مِنْهُ بِمِائَةِ شَاةٍ وَوَلِيدَةٍ، فَسَأَلْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ، فَأَخْبَرُونِي أَنَّمَا عَلَى ابْنِي جَلْدُ مِائَةٍ، وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَأَنَّ عَلَى امْرَأَةِ هَذَا الرَّجْمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللهِ، الْوَلِيدَةُ وَالْغَنَمُ رَدٌّ، وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ، وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَاغْدُ يَا أُنَيْسُ إِلَى امْرَأَةِ هَذَا، فَإِنِ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمْهَا»، قَالَ: فَغَدَا عَلَيْهَا، فَاعْتَرَفَتْ، فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَرُجِمَتْ(١).

وعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بالحَقِّ، وَأَنْزَلَ عليه الكِتَابَ، فَكانَ ممَّا أَنْزَلَ اللهُ آيَةُ الرَّجْمِ، فقَرَأْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا وَعَقَلْنَاهَا، فَرَجَمَ رَسولُ اللهِ ﷺ وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ، فأخْشَى إنْ طَالَ بالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: واللهِ ما نَجِدُ الرَّجْمَ في كِتَابِ اللهِ، فَيَضِلُّوا بتَرْكِ فَرِيضَةٍ أَنْزَلَهَا اللهُ، وإنَّ الرَّجْمَ في كِتَابِ اللهِ حَقٌّ»(٢).

قال: (والرجم في كتاب الله حق)، فالرجم موجودٌ في حكم الله وشرعه على من زنى إذا أَحصن من الرجال والنساء، إذا كانت البينة أو كان الحَبَل أو الاعتراف، وهذا ما قاله الإمام أحمد: إذا اعترف أو قامت عليه بينة، أيًّا كانت

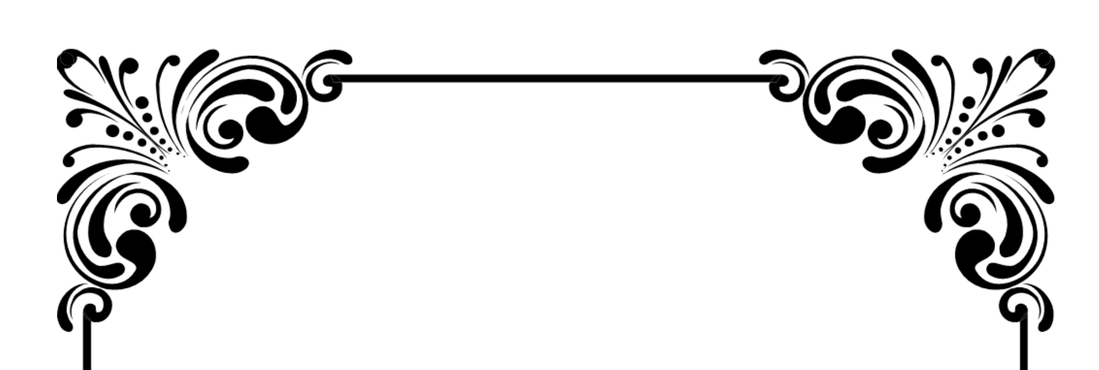
(١) رواه البخاري في كتاب الوكالة، باب الوكالة في الحدود حديث (٢٣١٤)، ومسلم في كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا حديث (١٦٩٧).

(٢) رواه البخاري في كتاب الحدود، بَابُ رَجْمِ الحُبْلَى مِنَ الزِّنَا إِذَا أَحْصَنَتْ حديث (٦٨٣٠)، ومسلم كتاب النذر، باب رجم الثيب في الزنى، حديث (١٦٩١).

البينة؛ سواء بالشهود، أو بظهور الحمل، أو غير ذلك.

وقوله: "وَقَدْ رَجَمَتِ الْأَئِمَّةُ الرَّاشِدُونَ": وذِكْر الخلفاء بعد النبي ﷺ في الأحكام يكون المراد منه في الغالب أن الحكم مستمر وباقٍ، ولم يُنسَخ.

❊



للاستماع للشرح المختصر للأصول السابقة

استخدم الرمز الضوئي:

الأصل الثامن عشر: عدم الشهادة لمعين بالجنة أو النار.

الأصل التاسع عشر: مصير من استوجب العقوبة في الآخرة.

الأصل العشرون: الرجم حق على الزاني المحصن.

امسح الرمز الضوئي





الأصل الحادي والعشرون:
حرمة سب الصحابة رضي الله عنهم، أو الانتقاص منهم

قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَمَنِ انْتَقَصَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَوْ أَبْغَضَهُ بِحَدَثٍ كَانَ مِنْهُ، أَوْ ذَكَرَ مَسَاوِئَهُ كَانَ مُبْتَدِعًا، حَتَّى يَتَرَحَّمَ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا، وَيَكُونُ قَلْبُهُ لَهُمْ سَلِيمًا.

قال: "وَمَنِ انْتَقَصَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَوْ أَبْغَضَهُ لِحَدَثٍ كَانَ مِنْهُ، أَوْ ذَكَرَ مَسَاوِئَهُ؛ كَانَ مُبْتَدِعًا حَتَّى يَتَرَحَّمَ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا، وَيَكُونَ قَلْبُهُ لَهُمْ سَلِيمًا":

وهذا الأصل العظيم من أصول أهل السنة فيه مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الصحابي:

الصحابي: هو كل من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات على ذلك[(١)].

والصحبة جنس؛ بمعنى أن كل من لقي النبي ﷺ وصحبه مؤمنًا به ومات على ذلك، فإنه يكون صحابيًّا، والجنس قد لا يكون درجة واحدة، فالصحابة ليسوا درجة واحدة، فالإسلام جنس، لكن ليس كل المسلمين درجة واحدة،

---

(١) فتح المغيث للسخاوي (٤/ ٨٤).

والصلاح جنس، وليس كل الصالحين درجة واحدة، والولاية كذلك جنس، فليس كل الأولياء درجة واحدة، بل ليس كل الأنبياء درجة واحدة.

وهذا هو سبب أنك تجد بعض العلماء يُفرِّق في مسألة سب الصحابة، بين من سب أبا بكر وعمرمثلًا، ومن سبَّ غيرهم.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من لعن أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ كمعاوية وعمرو، أو من هو أفضل كأبي موسى وأبي هريرة، أو من هو أفضل كطلحة والزبير وعثمان وعلي أو أبي بكر وعمر وعائشة(١)، وهذا يدل أنهم مراتب كما بينه رحمه الله.

۞ المسألة الثانية: فضل الصحابة:

الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ هم أفضل البشر بعد الأنبياء، قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:«إنَّ اللهَ نظَرَ في قلوبِ العِبادِ؛ فوجَدَ قلبَ محمَّدٍ خيرَ قلوبِ العِبادِ، فاصطَفاه لنفْسِه وابْتعَثَه برِسالتِه، ثُمَّ نظَرَ في قلوبِ العِبادِ بعدَ قلبِ محمَّدٍ؛ فوجَدَ قلوبَ أصحابِه خيرَ قلوبِ العِبادِ، فجعَلَهم وُزَراءَ نبيِّه، يُقاتِلونَ على دينِه»(٢)، فدلَّ ذلك على أن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ هم أفضل الخلق بعد الأنبياء.

وقال أيضًا عنهم: (كَانوا أَبَرَّ هَذِهِ الأُمَّةِ قُلُوبًا، وأَعْمَقَهَا عِلْمًا، وأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا)(٣)، **وهذا يدل على أمور:**

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٥/ ٥٨).

(٢) **إسناده حسن:** رواه أحمد (٣٦٠٠)، والطيالسي (٢٤٣)، والبزار (١٨١٦)، وغيرهم من طرق عن ابن مسعود به.

(٣) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٨١٠)، وذكره البغوي في شرح السنة =

أولًا: حُسن قصدهم ونيتهم؛ لقوله: (كَانُوا أَبَرَّ هَذِهِ الأُمَّةِ قُلُوبًا).

ثانيًا: (أَعْمَقَها عِلْمًا) فيه إشارة إلى أنهم أكثر الناس علمًا، وأدق الناس فهمًا.

ثالثًا: (وأَقَلَّها تَكَلُّفًا) وهذا فيه إشارة إلى تيسير العلم والفهم لهم بدون تكلف، يعني لا إفراط ولا تفريط.

وقال أيضًا: إنهم أقوم هذه الأمة هَديًا، وأحَسَنُها حالًا، قَوْمًا اخْتارَهُمُ اللهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ، فاعْرِفُوا لَهم فَضلَهم، واتَّبِعوهم في آثارهم؛ فَإِنَّهم كانُوا عَلى الهَدْيِ المُسْتَقِيمِ[(١)].

وفضل الصحابة مبثوثٌ في القرآن والسنة، ومن ذلك: أن الله تعالى تاب عليهم، ورضي عنهم، رضي عنهم في الجملة، ورضي عن آحادهم في العقبة، وفي بدر، وفي الهجرة، وغيرها، قال تعالى ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١١٧﴾ [التوبة: ١١٧]، وقال﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ١٨﴾ [الفتح:١٨]، وقال ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ

=
(١/ ٢١٤)، لكنه منقطع، فمداره على قتادة وهو لم يسمع من ابن مسعود، وورد عن ابن عمر كما عند أبي نعيم في الحلية (١/ ٣٠٥)، وعن الحسن البصري قوله كما عند الآجري في الشريعة (١١٦١).

(١) هو جزء من الأثر الذي تم تخريجه في الهامش السابق فلينظر هناك.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال رسول الله ﷺ: «لا تَسبُّوا أصحابي، فإنه لو أنَّ أحدَكُم أنفقَ مثلَ أُحُدٍ ذَهَبًا؛ ما بلَغ مُدَّ أحدِهِم ولا نصيفَهُ»(١)، وهذا يدل على أن الصحابة رضي الله عنهم أعمالهم أعظم من أعمال غيرهم وإن قلَّت.

وقال ﷺ: «آيَةُ الإيمَانِ حُبُّ الأنْصَارِ، وآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأنْصَارِ»(٢).

المهاجرون قطعًا أفضل من الأنصار، فإذا كان آية الإيمان حُب الأنصار، فالمهاجرون من باب أولى.

المسألة الثالثة: واجبنا تجاه الصحابة:

الواجب على كل مسلم اتجاه الصحابة رضي الله عنهم أمور منها:

أولًا: أن يعتقد المحبة لأصحاب النبي ﷺ.

ثانيًا: أن ينشر محاسنهم وفضائلهم.

ثالثًا: أن يُمسِك عن الخوض فيما دار بينهم.

---

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا» حديث (٣٦٧٣)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم حديث (٢٥٤٠).

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان، بَابٌ: عَلامَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ حديث (١٧)، ومسلم في كتاب الإيمان بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ حُبَّ الْأَنْصَارِ وَعَلِيٍّ رضي الله عنهم مِنَ الْإِيمَانِ وَعَلَامَاتِهِ، وَبُغْضِهِمْ مِنْ عَلَامَاتِ النِّفَاقِ حديث (٧٤).

يقول ابن أبي زَمِنِين الأندلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن قول أهل السنة أن يعتقد المرء المحبة لأصحاب النبي ﷺ وأن ينشر محاسنهم وفضائلهم، ويمسك عن الخوض فيما دار بينهم.

قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾ [الفتح:٢٩].

وقال: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨﴾ [الحشر:٨].

قال: وقد أثنى الله -عز وجل- في غير موضع من كتابه ثناءً أوجب التشريف لهم بمحبتهم والدعاء لهم[(١)].

قال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو لم يَرِد من الله ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه، لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة، والجهاد والنُّصرة وبذل المُهَج والأموال، وقتل الآباء والأولاد – يعني الذين كانوا على الكفر- والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان، واليقين؛ القطع بعدالتهم والاعتقاد بنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المُعدَّلين المُزَكين الذين يجيئون بعدهم أبد الآبدين، هذا مذهب كافة العلماء، ومن يعتد بقوله من الفقهاء[(٢)].

(١) أصول السنة لابن أبي زَمِنِين (ص ٢٦٣).
(٢) الكفاية في علم الرواية للخطيب (ص ٤٨).

قال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فتقرَّر أن الصحابة خير العالم بأسره من أوله إلى آخره، لا يفضلهم أحد إلا الأنبياء والملائكة[١].

* تنبيه:

قول الإمام الشوكاني لا يفضلهم أحد إلا الأنبياء هذا صحيح، أما الملائكة فاختلف العلماء في ذلك على أقوال:

فمنهم من يقول: أن الملائكة أفضل؛ لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

ومنهم من يقول: أن الأولياء والصالحين أفضل؛ لا سيما الصحابة فهم أفضل الصالحين والأولياء، وذلك لما جبلهم الله عليه من الشهوات، وما جعل الله لهم من أعداء كالشياطين، وغيرها من شبهات، وحب للدنيا، وغير ذلك، بخلاف الملائكة فالله فطرهم على الطاعة، ولذلك قالوا فالصالح والولي الذي يسير على هذا النهج هو أفضل من الملائكة.

فريق آخر نحى منحًى ثالثًا، قالوا: إن الملائكة أفضل باعتبار البداية؛ يعني الحال الذين هم عليها الآن، لا يعصون الله ما أمرهم، وأنهم خُلقوا من نور، ونحو هذا، والصالحون أفضل من حيث النهاية؛ يعني إذا دخلوا الجنة أعطاهم الله ما لم يعطِ الملائكة، فقالوا: فهم أفضل في الآخرة.

والحقيقة أن مجرد عقد المقارنة بين الأولياء والصالحين مع الملائكة هذا يدل على عِظم فضل الأولياء والصالحين، والصحابة هم رأس الأولياء، وصفوة

---

(١) ولاية الله والطريق إليها للشوكاني (ص ٢٧٧).

الأتقياء.

قال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: فإن لم يكونوا رأس الأولياء، وصفوة الأتقياء؛ فليس لله أولياء ولا أتقياء(١).

ومن ذلك أن الصحابة عدَّلهم الله عز وجل فلقد ثبتت عدالتهم بالنص والإجماع، قال ابن عبدالبر: قد كُفِينا البحث عن أحوالهم؛ لإجماع أهل الحق من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عُدول(٢).

ويقول الإمام ابن الصلاح في هذا الصدد: للصحابة بأسرهم خصيصة، وهي أنه لا يُسأل عن عدالة أحد منهم، لكونهم عدولًا على الإطلاق بالكتاب والسنة، وإجماع من يُعتد به(٣)؛ كل ذلك يدل على فضلهم، وعلى تزكيتهم، وعلى عدالتهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

وكل هذا يُنبئك عن جريمة من وقع فيهم، حتى ولو بالطعن في أمور الدنيا؛ ولا يُعلَم كيف الخلاص لهم.

قال الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مقام أحدهم مع رسول الله ﷺ ساعة واحدة خيرٌ من عَمل أحدنا جميع عُمره، وإن طال(٤).

---

(١) ولاية الله والطريق إليها للشوكاني (ص ٢٧٧).
(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ١٩).
(٣) مقدمة ابن الصلاح (ص ٤٩٠).
(٤) ذكره محيي الدين الحنفي في كتابه الجواهر المضية (٢/ ٤٦٩)، ورواه ابن ماجه (١٦٢)، وابن أبي شيبة (٣٢٤١٥)، والبيهقي في الاعتقاد (٣٢٣)، وغيرهم عن ابن عمر قوله، وسنده حسن، حسنه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقال الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي كِتَابِ الرِّسَالَةِ الْقَدِيمَةِ، بَعْدَ ذِكْرِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ بِمَا هُمْ أَهْلُهُ، فَقَالَ: " وَهُمْ فَوْقَنَا فِي كُلِّ عِلْمٍ، وَاجْتِهَادٍ، وَوَرِعٍ، وَعَقْلٍ، وَأَمْرٍ اسْتُدْرِكَ بِهِ عِلْمٌ وَاسْتُنْبِطَ بِهِ، وَآرَاؤُهُمْ لَنَا أَحْمَدُ وَأَوْلَى بِنَا مِنْ آرَائِنَا عِنْدَنَا لِأَنْفُسِنَا، وَاللهُ أَعْلَمُ[(١)]، يعني حتى أقوالهم لنا من العلم والفقه والفهم والمصلحة أفضل من آرائنا نحن لأنفسنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولهذا كانت معرفة أقوالهم والبحث عنها، وأعمالهم، واتباع آثارهم أفضل قطعًا من غيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وما سبق بعض فضائل الصحابة العامة، وإلا فهناك فضائل خاصة لكثير من الصحابة، ذكرنا بعضها فيما سبق أيضًا في هذه الرسالة المباركة، فإذا كان هذا هو حالهم وفضلهم؛ فللمرء أن يتصور حال من يقع فيهم أو يسبهم أو يلعنهم، لذلك قال: **(من انتقص أحدًا من أصحاب الرسول ﷺ........)**، فمجرد ذكرهم بنقص فإنه مهلكة عظيمة لصاحبه.

۞ المسألة الرابعة: حكم سب وانتقاص الصحابة:

السب أو الانتقاص: هو الكلام الذي يُقصد به الانتقاص والاستخفاف، وهو ما يفهم منه السب في عقول الناس على اختلاف اعتقاداتهم.

وهذا يعني أن السب قد يختلف من زمان إلى زمان، ومن مكان إلى مكان.

قوله:"من انتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ، أو أبْغَضه بحدثٍ كان منه، أو ذَكر مساوئه؛ كان مبتدعًا":

ذكر هنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن سب الصحابة أو الانتقاص منهم من البدع، والبدع كما

(١) المصدر السابق.

هو معلوم أنواع، منها بدع مُكفِّرة، ومنها بدع غير مكفِّرة؛ لذلك ذكر الإمام أحمد عبارة مجملة: **(كان مبتدعًا)**، لكن هل البدعة مُكفرة أم غير مكفرة؟ ذلك على حسب حاله.

لكن المتفق عليه أن الانتقاص من الصحابة رضي الله عنهم بدعة وضلالة، وسبُّهم كبيرة من الكبائر.

ووصف سب الصحابة أنه كبيرة، والإجماع على ذلك لا يعارض أنه قد يكون كفرًا أحيانًا، فالكفر أعظم الكبائرقال ﷺ قال:«اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقاتِ....»[1]، وذكر أولها الشرك.

قال الجلال البلقيني رحمه الله: وكون سَبِّ الصحابة كبيرةٌ، هذا بلا خلافٍ[2].

قال أبو زُرعة الرازي: عمن انتقص أحدًا من الصحابة: إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ، فاعلم أنه زنديق[3].

وتحريم سب الصحابة وارد صريح في النصوص، قال ﷺ«لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي»[4]، بل مجرد التفكر في حالهم وسيرتهم ومناقبهم يمنع من سبهم أو

---

(١) رواه البخاري في كتاب الحدود، باب رمي المحصنات حديث (٦٨٥٧)، ومسلم في كتاب الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها حديث (٨٩).

(٢) ذكره ابن حجر الهيتمي في الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/ ٣٨٠).

(٣) رواه الخطيب في كتابه الكفاية في علم الرواية صـ(٤٩).

(٤) رواه البخاري في كتاب المناقب، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا»، حديث (٣٦٧٣)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم حديث =

الانتقاص منهم، وإن لم يرد في ذلك نصوص تمنع سبهم ومن ذلك:

- حُب النبي ﷺ لهم يمنع سبهم.
- وتَرَضِّي الله تعالى عنهم يمنع سبهم.
- والثناء والمدح عليهم في القرآن والسنة يمنع سبهم.
- وأحوالهم من الطاعات والجهاد، وبذل المُهج في سبيل الله يمنع سبهم، وغير ذلك كثير.

كل هذا يمنع سبهم مع تصريح النبي ﷺبالنهي الذي يقتضي التحريم: «لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي»[(١)].

اختلاف العلماء في حُكم سَبِّ الصحابة:

القول الأول: يرى بعض العلماء أن سَبَّهم كُفر على الإطلاق:

أي أن كل من يسب الصحابة فهو كافر كُفرًا مُخرِجًا عن الملة، ونُقل ذلك عن فريق من العلماء؛ كالثوري، وأبي عبيد القاسم بن سلام، والإمام البخاري، والإمام الطحاوي، وكثير من الحنفية.

ووجه استدلالهم أنهم قالوا: أن سبهم مصادم للقرآن والسنة المتواترة، فهو تكذيبٌ لكلام الله وكلام رسوله ﷺ؛ فالله أثنى عليهم ومدحهم وتَرَضَّى عليهم، وكذلك النبي ﷺ، فمن سبهم فهو مُكذِّب للقرآن والسنة، لذلك حكموا بكفره.

=

(٢٥٤٠).

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا»، حديث (٣٦٧٣)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم حديث (٢٥٤٠).

القول الثاني: يرى أنه ليس بكفر، ولكن صاحبه يُعزَّر ويُحبَس ويؤدَّب، لكنه كبيرة وفسق: ونُقل ذلك عن عمر بن عبد العزيز، وعن المالكية، وغيرهم.

القول الثالث: وهؤلاء جمعوا بين الأقوال، وقالوا: من قال أن سبهم والانتقاص منهم كفر أكبر، يقصد الأقوال الغليظة كالاتهام في الدين ونحو ذلك، كمن يتهمهم بالفسق أو بالخيانة، وكذلك من يتهم بالتحريف، لأن هذا اتهام لهم في دينهم، فما بالك بمن يتهمهم بالكفر ونحو هذا؟ كما يفعل الشيعة عليهم لعنة الله، أو يتهمهم بالوقوع في الفواحش، أو نحو هذا.

ومن قال: أنه صاحب كبيرة وفاسق، لكنه ليس بكافر ويستحق التأديب والتعزير والسجن ونحو ذلك، فمرادهم الأقوال الخفيفة، ومعنى الأقوال الخفيفة: أي الاتهام في الدنيا؛ كأن يتهم بعض الصحابة بالجُبن أو البخل، أو نحو هذا من أمور الدنيا.

القول الرابع: فرقوا بين الصحابة: فمن تواتر فضله كأبي بكر وعمر فسبه كافر، وأما غيره فقد يكون كافرًا أو فاسقًا على حسب قوله وانتقاصه، وذلك للإجماع على فضلهما والتواتر على ذلك، وكل ذلك أيضًا معه لابد أن يُعاقَب من يفعل هذا، سواء كان كافرًا فإنه يُعامل معاملة الكافر المرتد، أو ليس بكافر فإنه يؤدَّب ويُحبس ويضرب ويُعزَّر حتى يرجع، ويترحم عليهم، وليس معنى الرجوع أن يمتنع عن سبهم، بل لابد أن يترحم عليهم ويترضى عنهم، ويذكر محاسنهم ويكف عن مساوئهم، ونحو ذلك.

ومن عظيم ما يدل على ذلك أن الخليفتين عمر وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كانا يجلدان من يفضلهما على أبي بكر فكيف بمن يسبه.

عن علقمة بن قيس قال: خطبنا علي رضي الله عنه فقال: "إنه بلغني أن قوما يفضلونني على أبي بكر وعمر، ولو كنت تقدمت في هذا لعاقبت فيه، ولكني أكره العقوبة قبل التقدم، ومن قال شيئا من ذلك فهو مفتر عليه ما على المفتري، خير الناس كان بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر"(١).

عن ابن أبي ليلى قال: "تداروا في أبي بكر وعمر، فقال رجل من عطارد: عمر أفضل من أبي بكر، فقال الجارود: بل أبو بكر أفضل منه، قال: فبلغ ذلك عمر، قال: فجعل يضربه ضربًا بالدرة حتى شغر برجله، ثم أقبل إلى الجارود فقال: إليك عني، ثم قال عمر: "أبو بكر كان خير الناس بعد رسول الله ﷺ في كذا وكذا"، ثم قال عمر: "من قال غير هذا أقمنا عليه ما نقيم على المفتري""(٢).

قال ابن تيمية رحمه الله: فإذا كان الخليفتان الراشدان عمر وعلي رضي الله عنهما يجلدان حد المفتري من يفضل عليًّا على أبي بكر وعمر، أو من يفضل عمر على أبي بكر، مع أن مجرد التفضيل ليس فيه سب ولا عيب علم أن عقوبة السب عندهما فوق هذا بكثير(٣).

---

(١) **صحيح لطرقه**: أخرجه أحمد من طرق عن علي (٨٣٤، ٨٣٥، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٤)، وأبو يعلى (٥٤٠)، وابن أبي عاصم في السنة (٩٩٣)، وغيرهم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه به.

(٢) **إسناده صحيح إلى ابن أبي ليلى**: أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٣٩٦)، وابنه عبد الله في السنة (١٣٦٤)، وأبو نعيم في الإمامة والرد على الرافضة (٥٦)، عن ابن أبي ليلى به، وهو سند صحيح، وصححه ابن تيمية، ولكن ابن أبي ليلى لم يسمع من عمر.

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية (١/ ٥٨٦).



الأصل الثاني والعشرون: التحذير من النفاق وأنواعه

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَالنِّفَاقُ هُوَ: الْكُفْرُ، أَنْ يَكْفُرَ بِاللهِ وَيَعْبُدَ غَيْرَهُ، وَيُظْهِرَ الْإِسْلَامَ فِي الْعَلَانِيَةِ، مِثْلَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَوْلُهُ ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ» هَذَا عَلَى التَّغْلِيظِ، نَرْوِيهَا كَمَا جَاءَتْ، وَلَا نُفَسِّرُهَا، وَقَوْلُهُ ﷺ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا ضُلَّالًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»، وَمِثْلُ: «إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ»، وَمِثْلُ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»، وَمِثْلُ: «مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا»، وَمِثْلُ: «كُفْرٌ بِاللهِ تَبَرُّؤٌ مِنْ نَسَبٍ وَإِنْ دَقَّ»، وَنَحْوُ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ مِمَّا قَدْ صَحَّ وحُفِظَ، فَإِنَّا نُسَلِّمُ لَهُ، وَإِنْ لَمْ نَعْلَمْ تَفْسِيرَهَا، وَلَا نَتَكَلَّمْ فِيهَا، وَلَا نُجَادِلْ فِيهَا، وَلَا نُفَسِّرْ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ إِلَّا مِثْلَ مَا جَاءَتْ، لَا نَرُدُّهَا إِلَّا بِأَحَقَّ مِنْهَا.

قوله: "وَالنِّفَاقُ هُوَ الْكُفْرُ؛ أَنْ يَكْفُرَ بِاللهِ وَيَعْبُدَ غَيْرَهُ، وَيُظْهِرَ الْإِسْلَامَ فِي الْعَلَانِيَةِ مِثْلَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ":

❋ تعريف النفاق:

النفاق في اللغة:

هو مأخوذ من النفق، وهو السرب في الأرض الذي يستتر فيه؛ سمي النفاق

بذلك؛ لأن المنافق يستر كفره ويغيبه[١].

وقيل إنه مأخوذ من نافقاء اليربوع، وهو باب جحره؛ لأنه في ظاهره أرض مستوية وباطنه حفرة قد أعدها اليربوع للتخلص من الخطر وقت الحاجة؛ فاستطاع بهذا الفعل أن يخدع الصياد؛ فكذلك المنافق يظهر خلاف ما يبطن[٢].

النفاق شرعًا: هو إظهار الإسلام والخير والصلاح، وإبطان الكفر والشر والفساد.

✷ أنواع النفاق:

النوع الأول: النفاق الأكبر: وهو إظهار الإسلام وإخفاء الكفر، وهو ما بدأ به المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذا النفاق فِعله في الأمة من أعظم الأفعال؛ حيث يكون ولاؤه وحبه لأهل الكفر والضلال كاليهود والنصارى وغيرهم، وقد يحارب أهل الإسلام، ويناصر ويعاون أهل الكفر والضلال، عياذًا بالله تعالى من النفاق وأهله، وهذا النوع من النفاق مخرج من الملة، وصاحبه مخلد في النار عياذا بالله

قال تعالى ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾ [النساء ١٣٨]، وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء ١٤٥]، وقال تعالى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾[التوبة: ٦٨].

النوع الثاني: النفاق الأصغر: وهو الذي لا يصل للكفر الأكبر، ولكن يفعل

---

(١) لسان العرب لابن منظور (١٤/ ٢٤٣).

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٤٥٥).

أفعالًا كأفعال المنافقين، أو يتصف ببعض صفاتهم، وهو المشار إليه في حديث النبي ﷺ الآتي.

وَقَوْلُهُ:" قوله ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ» هَذَا عَلَى التَّغْلِيظِ، نَرْوِيهَا كَمَا جَاءَتْ، وَلَا نُفَسِّرُهَا":

والمراد الإشارة إليه هو حديث النبي ﷺ، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»[1].

هذه صفات المنافق النفاق الأصغر؛ لأن هذه أفعال المنافقين، والمسلم قد يكون مسلمًا حقًّا، ويحب الإسلام ويكره الكفر، لكن فيه خصلة من خصال النفاق، ولابد للإنسان أن يتبرأ منها ويبتعد عنها؛ لأن المعاصي يُسلِّم بعضها إلى بعض، ولا يأمن أن هذا النفاق الأصغر قد يؤدي إلى النفاق الأكبر، كما أن صاحبها متوعد بالعقاب إذا لم يتب منها.

وقوله: هذا على التغليظ نرويها كما جاءت ولا نُفسِّرها:

والمعنى: عندما تُذكَر تترك على حالها، وينقل كلام النبي ﷺ كما هو تحذيرًا وترهيبًا للناس، ولا يُقال هذا نفاق أصغر ونحوه.

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق حديث (٣٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق حديث (٥٩).



الأصل الثالث والعشرون:
عدم تكفير العصاة

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَقَوْلُهُ ﷺ: (لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا ضُلَّالًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ)، وَمِثْلُ: (إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ)، وَمِثْلُ: (سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ)، وَمِثْلُ: (مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا)، وَمِثْلُ: (كُفْرٌ بِاللهِ تَبَرُّؤٌ مِنْ نَسَبٍ وَإِنْ دَقَّ)، وَنَحْوُ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ مِمَّا قَدْ صَحَّ وحُفِظَ، فَإِنَّا نُسَلِّمُ لَهُ، وَإِنْ لَمْ نَعْلَمْ تَفْسِيرَهَا، وَلَا نَتَكَلَّمُ فِيهَا، وَلَا نُجَادِلُ فِيهَا، وَلَا نُفَسِّرُ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ إِلَّا مِثْلَ مَا جَاءَتْ، لَا نَرُدُّهَا إِلَّا بِأَحَقَّ مِنْهَا.

قوله:"وَقَوله: ﷺ: (لَا ترجعوا بعدِي كفَّارًا ضُلالًا يضْرب بَعْضُكُم رِقَاب بعض[1]، وَمِثْلُ: إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ[2]،

---

(١) رواه البخاري في كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء حديث (١٢١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان معنى قوله " لا ترجعوا بعدي كفارًا " حديث (٦٥).

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب " وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا" حديث (٣١)، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما حديث (٢٨٨٨).

وَمِثْلُ: سِبَابُ اَلْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ(١)":

فقتال المسلم للمسلم ليس بكفر أكبر، ولا نقول: ليس بكفر؛ لأن النبي ﷺ قال: «لَا ترجعوا بعدِي كفَّارًا»، لكن نقول: ليس بكفرٍ أكبر، لكنه كُفر أصغر، والمعنى أنه لم يخرج عن الإسلام، ولكنه أتى بكبيرة عظيمة من الكبائر، ولعل مراد الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ من ذلك كما سبق لردع الناس وزجرهم ننقلها كما هي بظاهرها ولفظها، ولا نقول: هذا كفر أصغر، لكن نقول: قال النبي: «لَا ترجعوا بعدِي كفَّارًا ضُلالًا يضْرب بَعْضكُم رِقَاب بعض»(٢).

والدليل على أنه ليس بكفر أكبر قول الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩﴾ [الحجرات: ٩]، فسماهما مؤمنين مع وجود قتالهما لبعضهما.

وعَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ»(٣)، فسماهما مسلمين حال اقتتالهما.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله حديث (٤٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي سباب المسلم فسوق وقتاله كفرحديث (٦٤).

(٢) رواه البخاري في كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء حديث (١٢١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان معنى قوله " لا ترجعوا بعدي كفارًا " حديث (٦٥).

(٣) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب " وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا" حديث (٣١)، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما حديث (٢٨٨٨).

قوله:" ومثل: «من قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما»[١]، ومثل: «كُفر بالله تَبرؤٌ من نَسبٍ وإن دق» [٢]": كل هذه النصوص يراد بها الكفر الأصغر.

قوله:"ونحو هذه الأحاديث مما قد صحَّ وحُفِظ، فإننا نُسلِّم له وإن لم نعلم تفسيرها، ولا نتكلم، ولا نجادل فيها، ولا نفسر هذه الأحاديث إلا مثلما جاءت؛ لا نردها إلا بأحق منها":

والمعنى: كما سبق مرارًا ويؤكد عليه الإمام دائمًا في رسالته، وهو التسليم للنصوص وإن لم نعلم تفسيرها، وكذلك ينهى عن الجدال في مثل هذا، وننقله كما أتى وورد في النصوص، ولا يجوز ردها إلا بأحق منها أي من النصوص التي تكون أكثر بيانًا وإحكامًا منها.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال حديث (٦١٠٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر حديث (٦٠).

(٢) **إسناده حسن**: أخرجه أحمد (٧٠١٩)، وابن ماجه (٢٧٤٤)، وغيرهما من طرق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به.



للاستماع للشرح المختصر للأصول السابقة

استخدم الرمز الضوئي:

الأصل الحادي والعشرون: حرمة سب الصحابة والانتقاص منهم.

الأصل الثاني والعشرون: التحذير من النفاق وأنواعه.

الأصل الثالث والعشرون: عدم تكفير العصاة.

امسح الرمز الضوئي





الأصل الرابع والعشرون:
الجنة والنار مخلوقتان الآن ولا تفنيان

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ قَدْ خُلِقَتَا، كَمَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: (دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ قَصْرًا، وَرَأَيْتُ الْكَوْثَرَ...، وَاطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا...، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ ... كَذَا وَكَذَا)، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُمَا لَمْ تُخْلَقَا، فَهُوَ مُكَذِّبٌ بِالْقُرْآنِ وَأَحَادِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا أَحْسَبُهُ يُؤْمِنُ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

قوله:" والجنة والنار مخلوقتان، قد خُلقتا كما جاء عن رسول الله ﷺ، قال: «دخلتُ الجنة فرأيتُ قصرًا، ورأيتُ الكوثر واطَّلعتُ في الجنة فرأيتُ أكثر أهلها.... الحديث. كذلك واطَّلعتُ في النار فرأيتُ كذا وكذا...»، فمن زعم أنهما لم تُخلقا فهو مُكذِّبٌ بالقرآن وأحاديث رسول الله ﷺ، ولا أحسبه يُؤمن بالجنة والنار":

من أصول أهل السنة: الإيمان بالجنة والنار وأنهما مخلوقتان، أي موجودتان الآن؛ واستدل على ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ ببعض الأدلة منها:

عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِيهَا دَارًا أَوْ قَصْرًا، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ»

فَبَكَى عُمَرُ، وَقَالَ: أَيْ رَسُولَ اللهِ أَوَ عَلَيْكَ يُغَارُ؟[(١)].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: لَمَّا عُرِجَ بِنَبِيِّ اللهِ ﷺ فِي الْجَنَّةِ، أَوْ كَمَا قَالَ: عُرِضَ لَهُ نَهْرٌ حَافَتَاهُ الْيَاقُوتُ الْمُجَيَّبُ، أَوْ قَالَ: الْمُجَوَّفُ، فَضَرَبَ الْمَلَكُ الَّذِي مَعَهُ يَدَهُ، فَاسْتَخْرَجَ مِسْكًا، فَقَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ لِلْمَلَكِ الَّذِي مَعَهُ: «مَا هَذَا؟» قَالَ: الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ[(٢)].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ: «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ»[(٣)].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: « انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالنَّاسُ مَعَهُ، فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا قَدْرَ نَحْوِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، ثُمَّ رَفَعَ، فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ قَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ،

---

(١) رواه البخاري في كتاب أصحاب النبي ﷺ، بَابُ مَنَاقِبِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ أَبِي حَفْصٍ القُرَشِيِّ العَدَوِيِّ رضي الله عنه حديث (٣٦٧٩)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رضي الله عنه حديث (٢٣٩٤).

(٢) رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن، بَابُ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٨] حديث (٤٩٦٤)، وأبو داود (٤٧٤٨) واللفظ له من حديث أنس مرفوعًا.

(٣) رواه البخاري في كتاب الإيمان، بَابُ كُفْرَانِ العَشِيرِ، وَكُفْرٍ دُونَ كُفْرٍ حديث (٢٩)، ومسلم واللفظ له في كتاب الرقاق، بَاب أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْفُقَرَاءُ، وَأَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ النِّسَاءُ، وَبَيَانِ الْفِتْنَةِ بِالنِّسَاءِ حديث (٢٧٣٧).

ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدِ انْجَلَتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ، لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَاذْكُرُوا اللهَ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ هَذَا، ثُمَّ رَأَيْنَاكَ كَفَفْتَ، فَقَالَ: «إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنْقُودًا، وَلَوْ أَخَذْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا، وَرَأَيْتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ»، قَالُوا: بِمَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «بِكُفْرِهِنَّ»، قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللهِ؟ قَالَ: « بِكُفْرِ الْعَشِيرِ، وَبِكُفْرِ الْإِحْسَانِ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ»(١).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ: «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ»(٢).

ومما يدل على هذا غير ما ذكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله تعالى عن الجنة: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وعن النار: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١﴾ [آل عمران: ١٣١]، فهي موجودة ومُعدَّة، وقال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا

---

(١) رواه البخاري في كتاب أبواب الكسوف، بَابُ صَلاَةِ الكُسُوفِ جَمَاعَةً وَصَلَّى ابْنُ عَبَّاسٍ لَهُمْ فِي صُفَّةِ زَمْزَمَ وَجَمَعَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَصَلَّى ابْنُ عُمَرَ، حديث (١٠٢٩)، ومسلم في كتاب الكسوف، باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف حديث (٩٠٧).

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان، بَابُ كُفْرَانِ العَشِيرِ، وَكُفْرٍ دُونَ كُفْرٍ حديث (٢٩)، ومسلم واللفظ له في كتاب الرقاق، بَابُ أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْفُقَرَاءُ وَأَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ النِّسَاءُ وَبَيَانِ الْفِتْنَةِ بِالنِّسَاءِ حديث (٢٧٣٧).

وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ [غافر: ٤٦]، فكيف يُعرَضون عليها إلا أن تكون موجودة مخلوقة الآن.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جاءَ، فقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخلَهَا، ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ» قَالَ: «فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ النَّارَ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخلَهَا»(١).

ومن قال بأنهما غير موجودتين استدل بأدلة منها: قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الشعراء: ٩٠-٩١]، قالوا هذا يعني أنها ما كانت موجودة.

والجواب: أن قوله (وَأُزْلِفَتِ) أي: قُرِّبَت، فهذا يعني أنها كانت موجودة لكنها قُرِّبَت يوم الحساب، وكذلك قوله (وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ) أي أن النار ما كانت ظاهرة ثم بَرزت وظَهرت يوم الحساب، كما قال الله -عزَّ وجَل-: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم: ٤٨]، فهم كانوا موجودين، لكنهم برزوا الآن وظهروا؛ إذًا فهذه الآيات لا تدل على أن

---

(١) إسناده صحيح: رواه أحمد (٨٣٩٨)، وأبو داود (٤٧٤٤)، والترمذي (٢٥٦٠)، وغيرهم من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وصححه الألباني.

الجنة والنار خُلقت في ذاك الوقت أي يوم القيامة، وإنما كانت موجودة مخلوقة، ولكن هذه أُزلفت وتلك بُرِّزت.

۞ مسألة: الجنة والنار لا تفنيان:

الجنة والنار لا تفنيان أبدًا، فهما موجودتان الآن، ولا تفنيان أبدًا، ومن زعم أنهما تفنيان واستدل على ذلك بأدلة، فهي أدلة متشابهة تُرَد إلى المحكم الذي يبين أن أهل الجنة خالدون فيها، وأن الكفار من أهل النار خالدون فيها ونحو ذلك، مثل قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود: ١٠٦-١٠٨]، ففي قول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾، لا يعني أنهم يُخرجون منها أو أنها تفنى، ولكن صرف العلماء ذلك إلى أحد أمور منها: أنه إشارة إلى أن كل شيء تحت مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أو أن المراد المؤمنون الذين سيدخلون النار أولا ثم يخرجون ويدخلون الجنة كما سبق.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره:

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾[هود:١٠٨].

يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟﴾ وهم أتباع الرسل ﴿فَفِى ٱلْجَنَّةِ﴾ أي فمأواهم الجنة، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي ماكثين فيها أبدًا ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ معنى الاستثناء ههنا: أن دوامهم فيما هم

فيه من النعيم ليس أمراً واجباً بذاته، بل هو موكول إلى مشيئة الله تعالى، فله المنة عليهم دائمـاً، ولهذا يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس، وقال الضحاك والحسن البصري هي في حق عصاة الموحدين الذين كانوا في النار ثم أخرجوا منها، وعقب ذلك بقوله ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾ أي غير مقطوع قاله مجاهد وابن عباس وأبو العالية وغير واحد؛ لئلا يتوهم متوهم بعد ذكره المشيئة أن ثم انقطاعـاً أو لبسـاً أو شيئـاً، بل ختم له بالدوام وعدم الانقطاع، كما بين هناك أن عذاب أهل النار في النار دائمـاً مردود إلى مشيئته، وأنه بعدله وحكمته عذبهم، ولهذا قال ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾، كما قال: ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣]، وهنا طيب القلوب وثبت المقصود بقوله: ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾، وقد جاء في الصحيحين: «يؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار، ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت»(١)، وفي الصحيح أيضـاً «فيقال يا أهل الجنة إن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا»(٢)(٣).

---

(١) رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ﴾ [مريم: ٣٩] حديث (٤٧٣٠)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون ...، حديث (٢٨٤٩).

(٢) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، بَابٌ فِي دَوَامِ نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣] حديث (٢٨٣٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٥٢)، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع.

فالأدلة المحكمة تدل على أنهما لا تفنيان أبدًا، ومن قال أن النار قد تفنى كما نُقِل عن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قصد بذلك نار العصاة من المسلمين بعد خروجهم منها حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولما كان الناس على ثلاث طبقات: طيب لا يشينه خبيث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب، دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض، وهاتان الداران لا تفنيان، ودار لمن معه خبث وطيب وهي الدار التي تفنى، وهي دار العصاة، فإنه لا يبقي في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنه إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة، ولا يبقي إلا دار الطيب المحض، ودار الخبث المحض(١).

إذًا مراد ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن دركة أهل المعصية في النار تفنى؛ على اعتبار أنها بعد خروج العصاة منها تبقى هذه الدركة لا عمل لها، أما الجنة لا تفنى أبدًا، ومدارك الكفار في النار لا تفنى أبدًا.

❊

(١) الوابل الصيب لابن القيم (ص ٢٠).

الأصل الخامس والعشرون:
الصلاة على من مات مُوَحِّدًا، والاستغفار له

قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَمَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ مُوَحِّدًا يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَيُسْتَغْفَرُ لَهُ وَلَا يُحْجَبُ عَنْهُ الِاسْتِغْفَارُ، وَلَا تُتْرَكُ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ لِذَنْبٍ أَذْنَبَهُ صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا، أَمْرُهُ إِلَى اللهِ تَعَالَى.

قوله:" من مات من أهل القبلة مُوحِّدًا؛ يُصلَّى عليه ويُستغفر له، وَلَا يُحْجَبُ عَنْهُ الِاسْتِغْفَارُ":

أي من مات من أهل القبلة موحدًا؛ يعني المسلم، والتعبير عن المسلم بأهل القبلة يدل على أهمية الصلاة وأنها ركن في الإسلام.

قال: يُصلى عليه: أي صلاة الجنازة، ويُستغفر له، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَخًا لَكُمْ قَدْ مَاتَ، فَقُومُوا فَصَلُّوا عَلَيْهِ»، قَالَ: فَقُمْنَا فَصَفَّنَا صَفَّيْنِ[(١)]

---

(١) رواه البخاري كتاب الجنائز، باب الصفوف على الجنائز حديث (١٣٢٠)، ومسلم كتاب الجنائز، باب في التكبير على الجنازة حديث (٩٥٢).

قال النووي "فيه وجوب الصلاة على الميت، وهي فرض كفاية بالإجماع"[(١)].

وكان رسول الله ﷺ يصلى على الجنائز، ويدعو، ويستغفر لأصحابها، فعن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، قال: صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى جَنَازَةٍ، فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللهُمَّ، اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ - أَوْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ -»[(٢)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، وَعِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»[(٣)]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ»[(٤)].

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (٧/ ٢٣).

(٢) رواه مسلم كتاب الجنائز، باب الدعاء للميت في الصلاة حديث (٩٦٣).

(٣) رواه مسلم في كتاب الوصية، بَابُ مَا يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنَ الثَّوَابِ بَعْدَ وَفَاتِهِ حديث (١٦٣١).

(٤) **إسناده حسن:** رواه أحمد (٨٧٥٨)، وابن ماجه (٣٦٦٠)، والدارمي (٣٥٠٧)، وغيرهم من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

قوله:"ولا تُترَك الصلاة عليه لذنب أذنبه صغيرًا كان أو كبيرًا، فأمره إلى الله تعالى":

والمعنى: لا تُترَك الصلاة على المسلم وإن عُلِم منه بعض الذنوب سواء كانت هذه الذنوب صغيرة أو كبيرة، بل يُترك أمره إلى الله تعالى؛ إذ الصلاة عليه شفاعة من المؤمنين له، ولو كان مذنبًا فإنه أحوج ما يكون إلى هذه الشفاعة، والنبي ﷺ قال من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: أَرْخَصَ النَّبِيُّ ﷺ فِي رُقْيَةِ الْحَيَّةِ لِبَنِي عَمْرٍو، قَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ: وَسَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ: لَدَغَتْ رَجُلًا مِنَّا عَقْرَبٌ، وَنَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرْقِي؟ قَالَ: «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ»(١).

ولا أعظم من أن ينفع المسلم أخاه المسلم عند إقباله على ربه بالشفاعة فيه، والدعاء له أن يغفر الله له، وأن يرحمه، وأن يرفع درجته، ونحوه، وذلك هو الأصل إلا إذا كان هناك مصلحة أكبر تتحقق بترك البعض للصلاة عليه، كما ترك النبي ﷺ الصلاة على صاحب الدَّين.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، كَانَ يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الْمَيِّتِ عَلَيْهِ الدَّيْنُ، فَيَسْأَلُ: «هَلْ تَرَكَ لِدَيْنِهِ مِنْ قَضَاءٍ؟» فَإِنْ حُدِّثَ أَنَّهُ تَرَكَ وَفَاءً، صَلَّى عَلَيْهِ، وَإِلَّا، قَالَ: «صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ»، فَلَمَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ الْفُتُوحَ، قَالَ: «أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ تُوُفِّيَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ فَعَلَيَّ قَضَاؤُهُ، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَهُوَ

---

(١) رواه مسلم في كتاب السلام، باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة حديث (٢١٩٩).

لِوَرَثَتِهِ»[١].

فترك الصلاة عليه لمصلحة، وهذه لا تكون لكل المسلمين، أي لا يترك كل المسلمين الصلاة على المَدين، أو نحو ذلك، بل قد تكون أولًا: لكبار الناس الذين يكون لترك صلاتهم زجرًا ومصلحة.

الأمر الثاني: أن يأتي ذلك بالمصلحة. فلما قال النبي ﷺ: «هل عليهِ دَيْن؟ قيل: نعم، قال: صلوا على صاحبكم»[٢]، فكانت المصلحة أن قام رجل مسرعًا-فالمؤمن للمؤمن كالبنيان-، وقال: "يا رسول الله، عليَّ دَينه"، فكان امتناع النبي ﷺ عنه لمصلحة:

أولًا: لمصلحته أي لمصلحة الميت.

ثانيا: لمصلحة الناس بعد ذلك أن يحتاطوا من الدَّين.

أما الكافر والمنافق النفاق الاعتقادي فلا يصلى عليه لقوله تعالى ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ **[التوبة: ٨٤]**.

قال ابن كثير: أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يبرأ من المنافقين، وألا يصلي على أحد منهم إذا مات، وألا يقوم على قبره ليستغفر له أو يدعو له؛ ولأنهم

---

(١) رواه البخاري في كتاب الكفالة، باب من تكفل عن ميت دينا فليس له أن يرجع حديث (٢٢٩٥)، ورواه مسلم في كتاب الفرائض، باب من ترك مالًا فلورثته حديث (١٦١٩).

(٢) رواه البخاري في كتاب الحوالات، بَابُ إِنْ أَحَالَ دَيْنَ المَيِّتِ عَلَى رَجُلٍ جَازَ حديث (٢٢٨٩)، ومسلم في كتاب الفرائض، باب من ترك مالًا لورثته حديث (١٦١٩).

كفروا بالله ورسوله وماتوا عليه[(١)].

* تنبيهان:

التنبيه الأول: أن هناك من المسائل الفقهية أو السلوكية أو غيرها التي ليست من مسائل الاعتقاد، لكنها توضع في كتب الاعتقاد؛ وذلك لأن هذه المسائل أنكرها بعض أهل البدع والضلالات، وتمسك بها أهل السنة، فأصبحت مميزة لأهل السنة، وصارت من خصائصهم، فوضعت في كتب الاعتقاد من أجل ذلك، ومن ذلك:

- ما ذكره الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه العقيدة المباركة كذكر قتال اللصوص، وقتال الخوارج، ومسألة الرجم، ونحو هذا مما ذكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

- ومن ذلك مسألة المسح على الخفين، وغيرها، كما ذكره صاحب كتاب العقيدة الطحاوية الإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وغيرهما.

التنبيه الثاني: أن المسائل التي تزيد على أصل مسائل الاعتقاد، ووضعت في كتب الاعتقاد، وهي ليست أصالة منها، وأصبحت مميزة لأهل السنة قد تختلف من زمان إلى زمان، ومن مكان إلى مكان؛ حيث النظر لمقولات أهل البدع، والتنبيه عليها، وردها بوضع ما يخالفها أو ما يردها في أبواب الاعتقاد، ومن ذلك:

- ما سبق من وضع الإمام أحمد هنا كمسألة قتال اللصوص والخوارج، ومسالة الرجم وإثباتها والتأكيد عليها، ولم توضع في كثير من كتب العقيدة.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ١٩٣-١٩٤).

- وما وضعه الإمام الطحاوي في العقيدة الطحاوية كمسألة المسح على الخفين، فلم يضعها الإمام أحمد هنا.

- ومن ذلك ما ذكره ابن قدامة في كتابه لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد مثلًا قال(ومعاوية خال المؤمنين، وكاتب الوحي، أحد خلفاء المسلمين رضي الله عنهم)، وجعل ذلك من مسائل الاعتقاد ردًّا على الشيعة الأباغض عليهم من الله ما يستحقون، ولم يضعها الإمام أحمد هنا، وهكذا اختلفت هذه المسائل بين الأزمنة المختلفة، والأماكن المختلفة، ونظرات العلماء المختلفة.

فجزاهم الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء، وجعلنا والمسلمين أجمعين من المتمسكين بالسنة عملًا واعتقادًا، المدافعين المنافحين عنها، وأن يعصمنا من الزيغ والبدع والضلالات.

والحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.



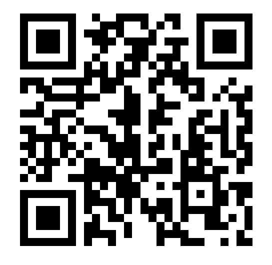
للاستماع للشرح المختصر للأصول السابقة

استخدم الرمز الضوئي:

الأصل الرابع والعشرون: الجنة والنار مخلوقتان الآن ولا تفنيان.

الأصل الخامس والعشرون: الصلاة على من مات موحدًا، والاستغفار له.

امسح الرمز الضوئي







الخاتمة

الحمد لله الذي بتوفيقه وإعانته تتم الصالحات، وأثني عليه الخير كله لا أحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه، وأصلي وأسلم على خير البشر محمد ﷺ.

وبعد:

انتهى ولله الحمد والمنة والفضل الشرح والتعليق على كتاب أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل، وأسأله كما وفق للشرح وأتمه أن يتقبله بقبول حسن، وألا يحرمنا العمل لدينه، والدفاع عن سنة نبيه ﷺ، وشريعته الغراء، وأن يوفقنا دائمًا للاعتقاد الصحيح السليم، والثبات على ذلك، وأن يغفر لنا ما حدث من زلل أو خطإ في الرسالة وغيرها، وأن ينفع بهذه الرسالة، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه.

وصلى الله وسلم وبارك على خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه الغر الميامين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

فهرس الموضوعات

مقدمة المؤلف ٣

ترجمة الإمام المبجل: أحمد بن محمد بن حنبل إمام أهل السنة ٧

اسمه ٧

مولده ٧

نشأته ورحلاته في طلب العلم ٨

شيء من صفته الخَلْقية ٩

شيوخه ٩

تلاميذه ٩

ورعه وشيء من أخباره ٩

سعة حفظه ١١

ثناء العلماء والأئمة عليه ١١

ثناء الناس عليه لثباته في المحنة ١٣

وفـاتـــه ١٣

متن أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل ١٥

الأصل الأول: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ٢٢

المسألة الأولى: تعريف الصحابي ٢٣

المسألة الثانية: أدلة هذا الأصل من الكتاب والسنة ٢٤

الأصل الثاني: ترك البدع ٢٨

المسألة الأولى: تعريف البدعة ٢٨

المسألة الثانية: متى يكون العمل بدعة في الدين؟ ٣٠
المسألة الثالثة: قواعد معرفة البدع ٣٣
أولًا: الأصل الأول: هو التقرب إلى الله تعالى بما لم يشرع: ٣٣
ثانيًا: الأصل الثاني: الخروج على نظام الدين.............................. ٣٦
قاعدة: تشريع الشيء بأصله لا يعني تشريعه بوصفه......................... ٣٧

الأصل الثالث: ترك الخصومات والمراء والجدال والجلوس مع أهل الأهواء ٣٩

المسألة الأولى: معنى الجدال والمراء....................................... ٣٩
الفرق بين الجدل والمناظرة والمحاورة...................................... ٤١
المسألة الثانية: أقسام الجدال.. ٤١
القسم الأول: الجدال المحمود... ٤١
القسم الثاني: الجدال المذموم ٤٧
المسألة الثالثة: صور الجدال المذموم ٥١
المسألة الرابعة: آثار الجدال المذموم...................................... ٥٤
المسألة الخامسة: حكم الجدال ٥٤
المسألة السادسة: آداب الجدال المحمود.................................... ٥٥

الأصل الرابع: الاعتصام بالسنة ومنهج التعامل معها ٦٤

مسألة: أحوال السنة مع القرآن.. ٦٥
مسألة: هل يصح الاستدلال بالقياس في مسائل الإعتقاد ؟.................... ٦٨
النوع الأول: قياس الطرد... ٦٨
النوع الثاني من أنواع القياس: قياس العكس............................... ٦٩

الأصل الخامس: الإيمان بالقدر ٧٣
المسألة الأولى: القدر هو الركن السادس من أركان الإيمان................ ٧٥
المسألة الثانية: اختلف العلماء في تعريف الإيمان بالقدر ٧٦
المسألة الثالثة: مراتب القدر: وهي أربع مراتب............................ ٧٦
المسألة الرابعة: النهي عن الخوض في القدر ٧٨
المسألة الخامسة: هل في القدر شر أم كله خير؟............................ ٧٨
المسألة السادسة: أسباب ضلال الناس في القدر............................ ٨٠
المسألة السابعة: ضوابط لمسائل القدر ٨٢
المسألة الثامنة: أقوال الناس في القدر ٨٤
الأصل السادس: القرآن كلام الله، وليس بمخلوق ٩١
بعض الأدلة من القرآن.. ٩٢
بعض الأدلة من السنة.. ٩٤
الأدلة من اللغة... ٩٥
بعض أدلة من قال كلام الله كلام نفسي وليس حقيقيا والجواب عنها ٩٨
الأصل السابع: رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ١٠٥
الأصل الثامن: الإيمان بالوزن والميزان يوم القيامة........................ ١١٥
الأصل التاسع: الإيمان بالحوض يوم القيامة ١١٩
الأدلة على ثبوت الحوض.. ١٢٠
اختلاف الناس في الحوض.. ١٢٣
صفة الحوض... ١٢٥
طوله وعرضه... ١٢٥

آنيته وكيزانه.. ١٢٥
ماؤه.. ١٢٦
منبع مائه.. ١٢٧
الأصل العاشر: الإيمان بعذاب القبر ونعيمه ١٢٨
مسألة: هل عذاب القبر على البدن أم على الروح أم على الاثنين معًا؟..... ١٣١
الأصل الحادي عشر: الإيمان بالشفاعة يوم القيامة ١٣٣
النوع الأول: الشفاعة في الدنيا.. ١٣٣
النوع الثاني: الشفاعة في الآخرة، وهي المرادة هنا، وهي أنواع ١٣٥
الشفاعة لأهل الكبائرنوعان.. ١٤٠
الشفعاء يوم القيامة.. ١٤٣
الأصل الثاني عشر: الإيمان بخروج المسيح الدجال ١٤٦
صفات الدجال.. ١٤٩
الأصل الثالث عشر: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص ١٥٩
المسألة الأولى: معنى الإيمان.. ١٦٠
المسألة الثانية: الأدلة على أن الإيمان قول وعمل.......................... ١٦٢
أولًا: الأدلة من القرآن.. ١٦٢
ثانيا: الأدلة من السنة.. ١٦٤
ثالثا: الإجماع.. ١٦٦
الإيمان يزيد وينقص.. ١٦٧
الأصل الرابع عشر: حكم تارك الصلاة ١٧١

الأصل الخامس عشر: فضائل الخلفاء الراشدين والصحابة رضي الله عنهم ١٧٤
أبو بكر الصديق رضي الله عنه ١٧٤
عمر بن الخطاب رضي الله عنه ١٧٩
عثمان بن عفان رضي الله عنه ١٨٣
علي بن أبي طالب رضي الله عنه ١٨٥
طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه ١٨٧
الزبير بن العوام رضي الله عنه ١٨٨
عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه ١٩٠
سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ١٩٢
أبوعبيدة بن الجراح رضي الله عنه ١٩٣
الأصل السادس عشر: الأئمة وأمراء المؤمنين، وما يتعلق بهم من أحكام . ١٩٥
الأصل السابع عشر: قتال اللصوص والخوارج ٢٠٧
الأصل الثامن عشر: عدم الشهادة لمعين بالجنة أوالنار ٢١٤
مسألة: الحكم بالجنة والنار ٢١٤
الأصل التاسع عشر: مصير من استوجب العقوبة في الآخرة ٢١٦
الحسنات الماحيات ٢١٧
الأصل العشرون: الرجم حقٌّ على الزاني المحصن ٢٢٢
الأصل الحادي والعشرون: حرمة سب الصحابة رضي الله عنهم أو الانتقاص منهم . ٢٢٨
المسألة الأولى: تعريف الصحابي ٢٢٨
المسألة الثانية: فضل الصحابة ٢٢٩
المسألة الثالثة: واجبنا تجاه الصحابة ٢٣١

المسألة الرابعة: حكم سب وانتقاص الصحابة........................ ٢٣٥

الأصل الثاني والعشرون: التحذير من النفاق وأنواعه ٢٤٠

تعريف النفاق.. ٢٤٠

أنواع النفاق.. ٢٤١

الأصل الثالث والعشرون: عدم تكفير العصاة ٢٤٣

الأصل الرابع والعشرون: الجنة والنار مخلوقتان الآن ولا تفنيان.......... ٢٤٧

مسألة: الجنة والنار لا تفنيان.. ٢٥١

الأصل الخامس والعشرون: الصلاة على من مات مُوَحِّدًا والاستغفار له.. ٢٥٤

الخـاتـمـة... ٢٦١

فهرس الموضوعات.. ٢٦٢